ناعوم تشومسكى

الارهاب الدولى

ترجمة :أسامة عبد الرحمن

الدار الذهبية

للطبع والنشر والتوزيع

15 شارع الجمهورية-عابدين

27951748-2393382تليفون

E-mail:aldaralzahabia50@yahoocom

رقم الايداع 8480/2017

الترقيم الدولى 978-977-145-797-3

مقدمة

يحكي القديس أوغسطين قصة قرصان أسره الأسكندر الأكبر ، وسأله، كيف تجرؤ على الاعتداء على الناس في البحار؟ فأجاب القرصان: وكيف تجرؤ أنت على الاعتداء على العالم بأسره ؟ ألا انني أقوم بذلك بسفينة صغيرة فحسب، أدعي لصا أما أنت ولأنك تقوم بنفس الشيء بأسطول كبير فيدعونك امبراطورا؟

ويعلق القديس أوغسطين على رد القرصان بأنه رائع ودقيق وهذا الرد يرصد بشيء من الدقة العلاقات الراهنة بين الولايات المتحدة والعديد من القائمين بالأدوار الثانوية على مسرح الإرهاب الدولي : مثل ليبيا وبعض أجنحة منظمة التحرير الفلسطينية وغيرها وبوجه عام، تلقى قصة القديس أوغسطين الضوء على معنى مفهوم الإرهاب الدولي في الاستخدام الغربي المعاصر، كما تنفذ الى لب ثورة الغضب إزاء أحداث إرهاب منتقاة، وهي الثورة التي يجرى توجيهها الآن بمنتهى الخبث كستار للعنف الذي يمارسه الغرب .

ولقد بدأ استخدام كلمة ارهابف ي نهاية القرن الثامن عشر للتعبير بشكل أساسي عن أعمال العنف التي تقوم بها الحكومات لضمان خضوع الشعوب وكما هو واضح ، فإن هذا المفهوم لاينطوي على كثير من الفائدة لمن يمارسون إرهاب الدولة، الذين - بحكم سيطرتهم على السلطة - يوجدون في وضع يسمح لهم بالسيطرة على نظام التفكير والتعبير لذلك فقد أهمل المعنى الأصلي للكلمة، وأصبحت كلمة إرهاب تطلق الآن بشكل أساسي على إرهاب التجزئة الذي يقوم به أفراد أو جماعات فعلى حين كانت هذه الكلمة تطلق من قبل على الأباطرة الذين يعتدون على رعاياهم، بل وعلى العالم بأسره، أصبحت الآن تطلق على اللصوص الذين يعتدون على

الأقوياء ولكن ننأي بأنفسنا عن التقوقع في أنظمة فكرية جامدة، فسوف نستخدم تعبير الإرهاب للإشارة إلى التهديد باستخدام العنف أو استخدامه بالفعل للتخويف أو الإكراه التحقيق غايات سياسية في معظم الأحيان، سواء كان إرهاب الجملة الذي يمارسه الأباطرة أو إرهاب التجزئة الذي يمارسه اللصوص .

إن المثل الذي ضرب عن القرصان لايفسر مفهوم الإرهاب الدولي، الذي تطور مؤخرا إلا على نحو جزئى. فمن الضروري إضافة عامل آخر إلى هذا المفهوم : فالعمل الإرهابي لا يندرج في قائمة الأعمال الإرهابية إلا إذا ارتكب من جانبهم ، وليس من جانبنا خذ على سبيل المثال حملة الدعاية التي شنتها إدارة ريجان في أوائل عام ١٩٨١ ضد الإرهاب الدولي، وكان النص الأساسي الذي اعتمدت عليه هذه الحملة هو كتاب لركلير سترلينج تقدم فيه أدلة ساذجة على أن الإرهاب الدولي أداة يحركها السوفييت، بهدف زعزعة المجتمع الديمقراطي الغربي ويتمثل هذا الدليل الذي ساقته كلير سترلينج في أن الأعمال الإرهابية الكبرى تقتصر على الدول الديمقراطية الغربية؛ وأنها لاتوجه ضد الاتحاد السوفيتي أو أي من الدول التي تدور في فلكه أو الموالية له وقد أثر هذا الرأي فيما يبدو على آخرين من الباحثين في شئون الإرهاب، ومن أبرزهم وولتر لاكبر الذي كتب أن سترلينج قد أوردت دليلا دامغا، على أن أعمال الإرهاب تكاد أن تكون مقصورة على الدول الديمقراطية أو شبه الديمقراطية

إن فكرة سترلينج صحيحة، بل إنها في الواقع صحيحة بحكم التعريف، إذا سلمنا بمعنى كلمة إرهاب على النحو الذي يستخدمه الامبراطور والحاشية التي تدين له بالولاء فطالما أن الأعمال التي تقترف من جانبهم تعد إرهابا ، فإن ذلك يستتبع أن ما تقول به سترلينج يكون صحيحا بغض النظر عن الوقائع ولكن الأمر يختلف إذا ما عدنا إلى دنيا الواقع. فإن أغلبية ضحايا

الإرهاب الدولي في العقود الماضية كانوا من الكوبيين، ومن سكان أمريكا الوسطى، ومن اللبنانيين، ولكن أيا من هذه الأعمال لا يدخل في الحساب، بحكم التعريف فعندما تقصف إسرائيل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وتقتل العديد من المدنيين - حتى دون التذرع بالرغبة في الانتقام في أغلب الأحيان أو حين ترسل قواتها إلى القرى اللبنانية في إطار عمليات الإرهاب المضاد حيث تقوم هذه القوات بعمليات القتل والتدمير أو خطف السفن، وإلقاء المئات من الرهائن في معسكرات الاعتقال في ظل ظروف مروعة، فإن هذا لايعد إرهابا بل وتقابل الأصوات النادرة التي تحتج على ذلك بهجوم عنيف من جانب رجال السلطة الأوفياء بزعم معاداتهم للسامية، والكيل بمكيالين الأمر الذي يبرهن عليه عدم انضمامهم لجوقة الإشادة بالدولة التي ترعى حياة الإنسان والتي تلقى أهدافها الأخلاقية العليا الإجلال والتقدير الدائمين ؛ تلك الدولة التي يصفها المصفقون المستأجرون من الأمريكيين بأنها تتمسك بقانون أرقي على النحو الذي يوضحه لها الصحفيون وولتر جولدمان وبالمثل لايعد إرهابا ماتقوم به القوات شبه العسكرية التي تنطلق من قواعد أمريكية وتدربها وكالة المخابرات المركزية، من قصف للفنادق الكوبية وإغراق السفن الصيد ومهاجمة السفن الروسية في الموانيء الكوبية وتسميم المحاصيل والمواشي ومحاولة اغتيال كاسترو وما إلى ذلك من عمليات كان معدلها يكاد يصل إلى عملية كل أسبوع في أوقات ذروتها إن هذه العمليات ومثيلاتها التي لا حصر لها والتي يقوم بها الامبراطور وعملاؤه لاتعقد من أجلها المؤتمرات أو تكتب من أجلها الكتب المتعمقة ولاتكون موضوعا للتعليقات الملتاعة في وسائل الاعلام وصحف الرأي والمعايير التي تطبق على الامبراطور وبلاطه فريدة من نوعها من ناحيتين وثيقتي الصلة بيضهما البعض وبما أن الأعمال الإرهابية التي يقومون بها لاتدخل في قائمة مايسمى بأعمالي الإرهاب، وهو ما أشرنا إليه من قبل؛

وثانيتهما، أنه في حين ينظر إلى الأعمال الإرهابية الموجهة ضدهم بجدية بالغة حتى لو تطلب الأمر اللجوء إلى العنف للدفاع عن النفس ضد خطر هجر قد يحدث في المستقبل، كما سوف نرى، فإن عمليات إرهابية مماثلة أو ربما أكثر خطورة توجه ضد الآخرين إنما لا تستحق الانتقام أو القيام بعمل وقائي؛ ولو أدى ذلك إلى مثل منه الرد، فلن تكون هناك نهاية لموجة الغضب الهستيري .

والواقع أن أهمية مثل هذه الهجمات الإرهابية ضئيلة، حتى أن أخبارها لاتكاد تنشر ومن المؤكد أن أحدا لم يذكرها

لنفترض على سبيل المثال أن قوة بحرية ليبية هاجمت ثلاث سفن أمريكية في ميناء حيفا الإسرائيلي، وأغرقت واحدة منها وأصابت الأخريين بأضرار، وذلك باستخدام صواريخ صنعت في ألمانيا الشرقية إنني لست بحاجة إلى التعليق على ما سيكون عليه رد الفعل ولنعد إلى دنيا الواقع ؛ فقد ذكرت الصحف البريطانية في الخامس من يونيو١٩٨٩ أن قوة بحرية من جنوب أفريقيا قامت بمهاجمة ثلاث سفن سوفيتية في ميناء ناميبي في جنوبي أنجولا وأغرقت احداها، باستخدام صواريخ سكوربيون ابريل الإسرائيلية الصنع.

فلو كان الاتحاد السوفيتي قد يحل هذا العمل الإرهابي الموجه ضد الملاحة التجارية بالصورة التي كانت ستفعلها الولايات المتحدة اذا ما تم حادث مماثل ريما بقصف يكون من شأنه تدمير مدينة جوهانسبرج إلى مقياس رد الفعل الأمريكي الإسرائيلي للانتقام - فإن الولايات المتحدة ريما كانت في هذه الحالة سوف تفكر في استخدام السلاح النووي باعتباره ردا مشروعا على الشيطان الشيوعي وإذا عدنا إلى دنيا الواقع مرة أخرى، فإننا نجد أن الاتحاد السوفيتي لم يتخذ أي إجراء مضاد واعتبرت هذه الأحداث غير ذات أهمية حتى إن الصحف الأمريكية لم تكد تتناولها .

ولنفترض أن كوبا قامت بغزو فنزويلا في محاولة للدفاع عن النفس ضد أعمال الإرهاب، وبهدف إقامة نظام جديد ، وهناك تضطلع به عناصر ، وأنها قتلت مائتي جندي أمريكى كانوا يديرون شبكة للدفاع الجوي وتم غزو السفارة الأمريكية في كاراكاس، وأنها في النهاية قد احتلت السفارة لبضعة أيام خلال غزوها لكاراكاس اعقبت ذلك اتفاقا لوقف إطلاق النار كيف يمكن أن يكون رد الفعل الأمريكي في هذه الحالة؟

١ . :إنه سؤال أكاديمي؛ حيث إن أول بادرة لظهور جندى كوبى واحد بالقرب من فنزويلا، ربما يكون من شأنها أن تؤدي إلى شن هجوم نووى على هافانا وبالعودة مرة أخرى إلى دنيا الواقع، نجد أنه في عام ١٩٨٢ هاجمت إسرائيل لبنان بذريعة مفتعلة بالكامل هي حماية الجليل من الهجمات الإرهابية وبهدف إقامة نظام جديد هناك تضطلع به عناصر موالية لها، وقتلت مائتي سوفيتي كانوا يديرون شبكة سورية للدفاع الجوى، وقصفت بشكل مكثف مبنى السفارة السوفيتية في بيروت، وفي النهاية احتلت السفارة لمدة يومين خلال غزوها لبيروت الغربية أثناء انتهاكها لاتفاق لوقف إطلاق النار وكانت هذه الوقائع تذكر هنا عرضا مع تجاهل السياق والخلفية الضرورية لها أو إهمالها ولحسن الحظ لم يكن هناك رد فعل سوفيتى والا ما كان يمكن أن تكون هنا الآن لبحث هذا الأمر .

وفي عالم الواقع فإننا نعتبر أن من البديهي أن الاتحاد السوفيتي وغيره من الأعداء الرسميين، ومعظمهم بلا حول ولا قوة، سوف يتحملون بهدوء الاستفزازات وأعمال العنف التي كانت ستثير رد فعل عنيف، سواء كان كلاميا أو عسكريا ، إذا كان الامبراطور وحاشيته هم الضحايا .

إن النفاق المذهل الذي يتضح من هذه الأحداث، والعديد غيرها التي ستناقش عددا منها فيما يلي، لا يقتصر على مسألة الإرهاب الدولي فإذا كان لنا أن

نذكر حالة أخرى، فلنبحث في اتفاقيات الحرب العالمية الثانية التي قسمت السيطرة على أجزاء من أوروبا وآسيا على الدول المتحالفة ودعت إلى الانسحاب في أوقات محددة. فقد كان هناك غضب كبير بسبب الممارسات السوفيتية في أوروبا الشرقية وهي في الواقع تبعث على الغضب وهي تلك الممارسات التي تماثل إلى حد كبير ما انتهجته الولايات المتحدة تجاه المناطق المخصصة للسيطرة الغربية بمقتضى اتفاقات الحرب إيطاليا، اليونان، كوريا الجنوبية ..إلخ كما كان هناك غضب كبير بسبب تأخر الانسحاب السوفيتى من شمال ايران، في حين أن الولايات المتحدة قد انتهكت اتفاقيات الحرب التي كانت تنص على الانسحاب من البرتغال وإيسلاند وجرينلاند وغيرها ، على أساس أن الاعتبارات العسكرية تجعل من غير المستحسن القيام بهذا الانسحاب - هذا ما كانت تقول به هيئة رؤساء الأركان المشتركة بالاتفاق مع وزارة الخارجية فلم يكن هناك - وحتى يومنا هذا ليس هناك أي غضب من أن عمليات التجسس الألمانية الغربية الموجهة ضد الاتحاد السوشيتى قد وضعت تحت سيطرة راينهارد جيهلين الذي قام بعمليات مماثلة للنازى في أوروبا الشرقية، أو في أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانت ترسل عملاء ومعونات لدعم الجيوش، التي كان هتلر يشجعها، في القتال في أوروبا الشرقية وأوكرانيا حتى أوائل الخمسينيات في إطار استراتيجية رد السوفيت على أعقابهم التي أصبحت سياسة رسمية بموجب قرار مجلس الأمن القومي رقم ٩٨ أبريل ١٩٥٠ أما لو قدم السوفيت دعما لجيوش يشجعها هتلر للقتال في جبال روكى الأمريكية في عام ١٩٥٢، فقد كان من الممكن أن يؤدي ذلك إلى رد فعل مختلف.

إن الأمثلة على ذلك لاتحصى ومن أكثر هذه الأمثلة فجاجة ذلك المثل الذي يطرح عادة باعتباره الدليل الدامغ على أن الشيوعيين لايعتمد عليهم في

الالتزام بالاتفاقات؛ وهي اتفاقية باريس للسلام عام 1973 المتعلقة بفيتنام ونتائجها غير أنه في الحقيقة أن الولايات المتحدة هي التي أعلنت على الفور رفضها لكافة البنود التي تضمنتها قصاصة الورق التي أكرهت على توقيعها، ومضت في ذلك بالفعل، في حين قبلت وسائل الإعلام، فيما بدا أنه استعراض للخنوع فاق المعتاد ، قبلت النسخة الأمريكية المعدلة من الاتفاقية التي تنتهك كل البنود الأساسية فيها باعتبارها النسخة الفعلية ؛ فأصبحت الانتهاكات الأمريكية تتمشى مع الاتفاق، في حين أن رد الفعل الشيوعي على هذه الانتهاكات إنما كان يثبت الغدر المتأصل فيهم إن هذا المثل أصبح يطرح دائما كمبرر لرفض الولايات المتحدة لإقرار تسوية سياسية عن طريق التفاوض في أمريكا الوسطى كما أنه يوضع فائدة وجود نظام دعائى محكم وكما أشرنا ، فإن إدارة ريجان هي التي ركزت الضوء على معنى الإرهاب الدولي في الاستخدام الغربي المحدد منذ أن تولت السلطة في ١٩٨١ وليس من الصعب إدراك الأسباب وراء ذلك، رغم أنه كان - ولا يزال - يتعذر التعبير عن هذه الأسباب في النظام المذهبي فقد كانت إدارة ريجان ملتزمة بثلاث سياسات مرتبطة ببعضها البعض، وكلها تحققت بقدر كبير من النجاح وهي :

١ -نقل الموارد من الفقراء إلى الأغنياء .

٢ -تحقيق زيادة ضخمة في القطاع الحكومي من الاقتصاد بالطريقة الأمريكية التقليدية، من خلال نظام البنتاجون وزارة الدفاع، وهو وسيلة لإجبار الشعب على تمويل صناعات التكنولوجيا رفيعة المستوى عن طريق قيام الحكومة بضمان سوق المنتجات نفايات التكنولوجيا، وبالتإلى الإسهام في برنامج الدعم الحكومي والربع الخاص، الذي يسمى المشروع الحر .

٣ - إنجاز زيادة كبيرة في التدخلات الأمريكية في شئون الدول الأخرى والتخريب والإرهاب الدولي بالمعنى الحقيقي للكلمةإن مثل هذه السياسات

لايمكن أن تطبق إلا إذا تم تخويف الشعب بصورة صحيحة من وحوش يتعين أن نحمي أنفسنا منها والحيلة النمطية المتبعة لهذا الغرض هي حشد الجماهير ضد التهديد الذي يسميه الرئيس المؤامرة المتكتلة التي لاترحم التي عقدت العزم على بسط هيمنتها على العالم - وكان ذلك هو التعبير الذي استخدمه الرئيس كيندي، وهو يبدأ برنامجا مماثلا -ومايسميه ريجان امبراطورية الشر غير أن الدخول في مواجهة مع امبراطورية الشر يمكن أن يكون أمرا خطيرا والأكثر أمنا هو الاشتباك في معارك مع أعداء بلا حول يجرى وصفهم بأنهم وكلاء امبراطورية الشر، وهو اختبار يتوافق مع العنصر الثالث في جدول أعمال ريجان، وهو اختيار يجرى انتهاجه لأسباب مختلفة تماما: وهي ضمان الاستقرار والنظام في مناطق نفوذنا الواسعة إن أعمال الإرهاب التي يقوم بها قراصنة يتم اختيارهم بعناية، أو أعداء مثل نيكاراجوا أو فلاحي السلفادور الذين يجرؤون على الدفاع عن أنفسهم ضد هجماتنا الإرهابية، هي هدف أكثر سهولة، ويمكن استغلاله باستخدام جهاز دعائي عالي الكفاءة في خلق إحساس قوى بالخوف والتعبئة بين السكان المحليين الأمريكيين .

وفي هذا السياق حل في الثمانينيات الإرهاب الدولي محل حقوق الإنسان كجوهر لسياستنا الخارجية ، حيث كانت قضية حقوق الإنسان قد حققت هذه المكانة الرفيعة كجزء من الحملة التي استهدفت وقف التحسن الملحوظ في المناخ الأخلاقي والفكري خلال الستينيات، والذي أطلق عليه عقدة فيتنام، والتغلب على أزمة الديمقراطية المروعة التي نشأت في نفس السياق، عندما انخرطت أعداد كبيرة من عامة السكان في تنظيمات للعمل السياسي، بما كان يهدد نظام قيام الصفوة باتخاذ القرارات والتصديق الشعبي عليها ، وهو النظام المسمى الديمقراطية في اللغة الجديدة المستخدمة في الغرب .

وسوف أتناول فيما يلي الإرهاب الدولي في دنيا الواقع، مركزا الاهتمام بشكل أساسي على منطقة البحر المتوسط فقد اختار الصحفيون والإذاعيون- الأمريكيون أساسا - موضوع الإرهاب في الشرق الأوسط وحوض البحر المتوسط باعتباره أهم موضوع لعام ١٩٨٠،

وذلك خلال اقتراع قامت به وكالة أنباء الأسوشيتد برس؛ وجرى الاقتراع قبل الهجمات الإرهابية التي وقعت في شهر ديسمبر على مطارى روما وفيينا، والتي ربما كان من شأنها أن تزيل أي شك في أهمية هذا الموضوع وفي الأشهر الأولى في عام1986 ، بلغ الاهتمام بموضوع الإرهاب في الشرق الأوسط وحوض البحر المتوسط أعلى درجاته؛ ثم بلغ ذروته بالقصف الأمريكي لليبيا في شهر أبريل - والرواية الرسمية تفيد أن هذا العمل التأديبى الشجاع الذي استهدف أبرز ممارسي الإرهاب الدولي قد حقق الهدف منه. فالقذافي وغيره من كبار المجرمين قابعون الآن في مخابئهم، بعد أن أذلهم المدافع النبيل عن حقوق الإنسان وكرامته .ولكن بالرغم من هذا الانتصار العظيم على قوى الظلم، فإن قضية الإرهاب النابع من العالم الاسلامي والطريقة المثلى للرد عليه من جانب الديمقراطيات التي تدافع عن القيم الحضارية، مازالت من أبرز موضوعات الاهتمام والجدال ؛ وهو ما يتضح من أعداد الكتب والمؤتمرات والمقالات والبرامج التلفزيونية التي تناولت هذا الموضوع وفيما يتعلق بما يمكن أن يصل إلى الصفوة أو غالبية العامة، فإن المناقشة تراعي بشكل صارم المبادىء التي ذكرناها توا؛ فالاهتمام منصور على إرهاب اللص وليس إرهاب الامبراطور وعملائه: أي عليهم وليس علينا ومع ذلك فأنا لا أهتم كثيرا بمراعاة مقتضيات اللياقة في هذا النوع سيخصص الفصل الأول من هذا الكتاب للإطار النظري الذي تطرح فيه هذه القضايا وقضايا أخرى متعلقة بها داخل النظام المذهبي السائد أما الفصل الثاني فيقدم عينة - مجرد عينة - من إرهاب الشرق

الأوسط في دنيا الواقع، فضلا عن قدر من المناقشة النوع التبريرات التي تستخدم لضمان استمراره دون أي عوائق وفي الفصل الثالث سوف أبحث الدور الذي لعبته ليبيا في النظام المذهبي الأمريكى .

بين اللغة والسياسة

اذا كانت وظيفة اللغة هي ابلاغ الفكر والخاطر والوجدان، والافصاح عنها جميعا، فإن وظيفة اللغة التي تتواتر في السياسة، يغلب أن تكون إخفاء الفكر والخاطر وتضليل الوجدان .

واذا كان من الأوصاف التي تسبغ على اللغة - استحسانا - أن توصف بالفصاحة لأنها تنصع وبالبلاغة لأنها تبلغ، فإن السياسي الأريب يجفل من الافصاح وينأى عن الابلاغ، حتى لايفضح الطوايا والطوية، فليس النضح من حسن السياسة .

وللسياسة في هذا السبيل حيل تكثر وتتكاثر، تمتد من سحر البيان حيث تخفي حلاوة الكلام مرارة المعاني، وبراءة الصياغة لؤم المقاصد، إلى خُلف المعانى، حيث تظهر الكلمات نقائض مايضمر القائلون .

لسحر البيان أمثلة شائعة، كالقول مثلا، في سبيل حل الصراع العربي - الصهيوني، أنه يجب الاعتراف بحق جميع الدول في العيش في سلام كى يختفي داخل هذه العبارة، اقرارنا في نهاية المطاف بحق للحركة الصهيونية في استبقاء ما اغتصبت، واضفاء الشرعية عليه، وانتزاع اعتراف من الذين اغتصبت أراضيهم بحق المغتصب في ما اغتصب .

كما أن خلف المعانى له تاريخ غير قصير ومتواصل، منذ أن سمى الاحتلال، حماية ومنذ أن سميت الهيمنة انتدابا، بل ومنذ سمى النهب الاستعمارى عبء الرجل الأبيض ورسالته، إلى أن استبدلت هذه التسميات المضللة بتسميات أخرى لاتقل عنها ضلالا وتضليلا، إنما تتفق مع روح العصر، فدخلت إلى المعجم السياسي المتداول كلمات جديدة : المعونات الدولية، القروض، نقل التكنولوجيا، الاعتماد المتبادل والحاصل أن المعونات لاتعين سوى أصحابها الذين يقدمونها، فوظيفتها هي فتح

الأسواق، بتقديم مايخلق احتياجا إلى الاستيراد من الذين يقدمون المعونة، والقروض تدور لتعود إلى أصحابها أضعافا مضاعفة، وهذا أهون شرورها، أما الشر الحقيقي فيها فهو ماتؤدي إليه قصدا من استنزاف قدرة المقترضين على الادخار الذين يوفر التراكم اللازم لتحقيق التنمية التي تغني عن طلب المعونة والاقتراض، وأن نقل التكنولوجيا لايغني أكثر من بيع منتجاتها وتطبيقاتها على نحو يخلق تبعية لاتنفك وأن الاعتماد المتبادل لايعنى أكثر من وضع الضعيف تحت طائلة الأقوياء على أن من أخطر حيل السياسة باللغة : الاعتياد

فالكلمة عندما نعتادها لاندقق في مراميها، ومن هذا القبيل أن الصحافة المقروءة والمسموعة والمرئية، تطلع على الناس كل يوم، ولسنوات تزيد على العشرين، بكلمة الارهاب، وفي هذا الالحاح تقع الكلمة على الأسماء في باب الاتهام والسباب، تشهيرا سياسيا وأخلاقيا من تلصق بهم من الناس والمنظمات والدول، حتى أصبحت من أفعل أدوات اغتيال الشخصية، أي تصويرها في أبشع الصور، حتى يستحيل أن تنسب إليها أي فضيلة .

ويتعزز هذا الاستخدام لكلمة الإرهاب بأساس مؤسس، اذ أصبحت موضوعا لكتب ومؤلفات، وصار للإرهاب خبراء معتمدون ومعمدون، بل ودخل إلى برامج الدراسة في أقسام العلوم السياسية وسواها من العلوم الاجتماعية في عدد غير قليل ومتزايد من الجامعات الغربية والأمريكية بالذات بل أن منظمة الأمم المتحدة، قد انزلقت إلى قبول تعريف الإرهاب على هذا النحو الذي يجري ترويجه، فعقدت حلقات دراسية حوله، لم تكد تسمع فيها الأصوات التي تدعو إلى التمييز بين الإرهاب على النحو الرائج في هذا الاستخدام اللغوي المعوج وبين الحرب المشروعة التي هي حرب الضعفاء ضد الأقوياء، وإن سمعت هذه الأصوات، فإنها لم تقبل حتى في

منتديات الأمم المتحدة، التي يفترض فيها أنها ميزان العقل والرشاد في العلاقات الدولية .

وكان من أخطر آثار هذا الاعتياد أن المتهمين بالإرهاب انبروا ينكرونه ويستنكرون مايفعلون أو كانوا يفعلون بينما الإرهاب، الكلمة والفعل، حمال أوجه فالدول التي ترهب مواطنيها ليست قليلة الوسائل ولاتفتقر في هذا السبيل إلى العدة والعداء. فإذا وصفها واحد من هؤلاء المواطنين بصفتها هذه، وجد نفسه متهما بمعاداة الدولة، وربما الوطن، وبالاخلال بالأمن وتعكير صفو حياة المواطنين، الذين تعكر هذه الحكومات صفو حياتهم، وإذا رفع يدا أو إصبعا في وجه الدولة انصبت عليه تهمة الإرهاب والدول الكبيرة التي تنشر أساطيلها في عرض المحيطات والبحار وبالقرب من سواحل يحق لها ولأهلها أن تكون آمنة وأن يكونوا آمنين، من يعترض منهم على هذا بأنه يبيت نيه الإرهاب أما من يتعرض لهذا التحرش فهو إرهابي لا مناص ومن يقذف حجرا أو يطلق رصاصة على من يحتل أرض وطنه، ويسلبه كرامة المواطن إرهابى مدموغ، دون المحتل الذي يبدو وكأنه بالاحتلال يؤدي حقا تقره الاعراف .

وفي الإرهاب كما تذيع الكلمة الآن، مثال فذ على امتهان السياسة للغة أو على امتهان اللغة لأغراض السياسة، فالكلمة أصبحت مسطحة مخصوصة القوام، تحمل ما تحمله الشتائم والتهم الخسيسة من احتقار، ويستخدمها من سطحوها لتنفث شحنة من الأزدراء لخصومهم الذين غالبا ما يكونون على حق، ويصبح الذي يذود عن نفسه، بما تيسر له من قدرة محدودة وأدوات قليلة شحيحة القدرة ، باغيا ينشر الرعب ويشيع الهول .

وكان الفعل يحكم على نفسه، وكأن الحق ليس معيار الفعل .

وهكذا تستخدم كلمة الإرهاب، كما أصبحت رائجة، سلاحا في القمع الفكري، مهمته تجريم الضعيف اذا لجأ لاستخدام مايتيسر له من قوة لمحاولة درء الظلم الواقع عليه، بينما يعتبر استخدام الأقوياء للقوة الفائقة والغاشمة اقرارا للقانون والنظام حسب مايراهما ويعتنقهما حاكم جائر، أو محافظة على النظام الدولي، ورعاية للسلوك الدولي المتحضر كما يراه في عالم اليوم الكبار والأقوياء، ومعهم الذين يستكبرون ويستقرون بكبر الكبار وقوة الأقوياء .

وبدلا من هذا الاجمال في وصف غرض هذا الاستخدام الرائج للكلمة، وجلاء لما في الاجمال من إيهام، فإن الشاهد في تاريخ استخدام هذه الكلمة، أن أول استخدام في التاريخ الحديث لصفة الإرهاب، سياسى هدفه التشهير وفرض حصار عاطفى جماهيرى ضد حركة أو اتجاه غير مرغوب، أي أول استخدام لهذه الصفة كأداة في الصراع السياسي، كان عندما وصف الوسطيون والمعتدلون في الثورة الفرنسية، عهد روبسبيير بأنه عهد الإرهاب لأنه كان يرى للثورة بعدا أعمق وأفقا أبعد مما يوافق رؤيتهم ومصالحهم في التحالف مع الأرستقراطية الفرنسية التي قامت الثورة ضدها، تحالفا غرضه إقامة سد أمام تفاعلات مبادئ الثورة مع مصالح أغلبية الجماهير الفرنسية، ومع رؤية المثاليين من مثقفيها .

أما استخدامها مرة أخرى لأغراض السياسة في ما نعاصره الآن من تاريخ، فقد أحيته الدولة الصهيونية، عندما أطلقتها على حركة المقاومة الفلسطينية، وبلغ من فعالية هذا الاستخدام أن بعض المتحدثين باسمها يتحدثون عن القتال، وعن الإرهاب، باعتبارهما ظاهرتين متمايزتين، بل أن قبلت تلك الحركة أو بعض المتحدثين باسمها التعهد بالتخلي عن الإرهاب، بينما من طالبوهم بالتعهد وتلقوه يقصدون أنها تتخلى عن استخدام القوة في مواجهة عدو لاينقصه من عوامل القوة العسكرية شئ، ولايقصر في استخدامها في

شئ وأخذت الولايات المتحدة، في مستوى الاعلام كما في مستوى السياسة الرسمية، تروج لهذا الاستخدام وتتوسع فيه، وكان المستهدف الأول في هذا الترويج الأمريكى هو الفلسطينيين، ثم توسع ليشمل دولا عربية، ثم أضيفت إيران بعد سقوط الشاه، ثم دمغت بالإرهاب الطائفة الشيعية جميعا ومذهبها ذاته، ثم أصبح الإرهاب إسلامي، حتى كاد الإسلام يصبغ في الذهن الأمريكي العام صنوا للعنف .

بل وأصبح الإرهاب، كما تراه الولايات المتحدة الأمريكية معيارا مقبولا ومعترفا به في تبرير مسالك الدول فأخذت واشنطن تصدر قائمة سنوية بالدول التي تشجع الإرهاب أو تدعمه أو تمارسه، وبيانا بالمنظمات الإرهابية تحذر العالم منها ومن التعامل معها، بل من الاستماع لقولها، وتدعوها إلى مطاردتها وأخذت تفرض على الدول التي تضمها قائمتها عقوبات تتراوح ما بين السلبي - حرمانها من أفضليات التجارة مع الولايات المتحدة وحرمانها من المعونات الأمريكية، ومابين الايجابي بل العدوانى فرض الحصار الاقتصادي، وفي أحيان غير قليلة توقيع العقوبات العسكرية .

وما أكثر ماضغطت الولايات المتحدة على حلفائها الغربيين وعلى أصدقائها العديدين في العالم الثالث كى يشاركوها توقيع العقوبات، وأصابت في هذا غير قليل من النجاح على أن استخدام الولايات المتحدة لكلمة الإرهاب على هذا النحو لا يقتصر في الحقيقة على هذه الحدود ولايقف عندها .

بل إنه كان في الحقيقة أساسا نظريا يبرر استراتيجية أمريكية للتدخل في العالم الثالث، وبهذا المعنى فهو حلقة في سلسلة متعاقبة ومترابطة ومتداخلة من النظريات التي ابتدعتها واتبعتها واشنطن منذ أن أصبحت عاصمة أغنى دول العالم وأقواها في نهاية الحرب العالمية الثانية وكانت كلها نظريات تنشئ لها حقا ، في التدخل في كل مكان وأي مكان في العالم وتبرره .

وقد أعتمدت هذه النظريات جميعا على خلق بعبع تسعى إلى إخافة العالم من أخطاره وشروره، كى تنطلق لمبارزته وهزيمته وحماية العالمين منه .

ولقد كان البعبع الأول الذي عاش طويلا هو الخطر الشيوعي وكان في أساس النظريات التي سادت منذ نهاية الحرب وعهد الرئيس هاري ترومان إلى منتصف السبعينات ونهاية عهد الرئيس ريتشارد نيكسون إنما بتنويعات وصياغات مختلفة ومتباينة، مع اختلاف الظروف الدولية وتباينها .

ومع نهاية عهد نيكسون، وامتداده جيرالد فورد ، بدأت الولايات المتحدة تدرك أن الخطر الشيوعي بدأ يفقد جديته أو مصداقيته أو إن شئت جاذبيته في نظر العالم، باختصار لم يعد يقنع أحدا، ولم يعد قادرا على أن يبرر للولايات المتحدة تدخلا ورزقت واشنطن برئيس يرتدي مسوح الرجل المسيحي الريفي الطيب هو جيمى كارتر، فإهتدي إلى بعبع جديد وأسماه انتهاك حقوق الإنسان، وكان اختيار هذا البعبع متلائما ومتناسبا مع استقرار موازين الرعب النووي والردع الأقصى المتبادل، وادراك العالم كله أن دفع الأمور على نحو قد يجلب مواجهة بين موسكو وواشنطن يؤدي لا محالة إلى الدمار الشامل فكان لابد أن تكون استراتيجية التدخل سلمية، تكتفي في مواجهة السوفييت ومن يدور في فلكهم بالتشهير الذي قد يشجع تشققات داخل النظام والمعسكر ودوله ويبدو أنه قد تحقق هنا قدر غير قليل من النجاح، ظهر متأخرا ويمارس على العالم الثالث ضغطا شديدا، لكن الضغط بالطبع كان انتقائيا فلم تكن العقوبات المبنية على قيام الدول بانتهاك حقوق الإنسان توقع إلا على الدول التي لاتسلم للولايات المتحدة بمصالحها القومية، غير المحددة وغير المحدودة بينما تغمض واشنطن عينها ، وتفتح خزائنها لمن ينتهكون الحقوق ذاتها من بين حلفائها وأصدقائها والموالين لها : من كوريا الجنوبية وتايوان إلى الفلبين وايران في عهد الشاه إلى اسرائيل،

إلى شيلي والسلفادور إلى آخر القائمة الطويلة الممتدة من شرق المحيط الباسيفيكي إلى غربه مع اكتمال استدارة كوكب الأرض .
لكن حذر كارتر، وإن كان حذرا ماكرا وخبيثا، لم يقنع الرجعيين والمحافظين الجدد الذين أصبحوا أغلبية أخلاقية، كما يسمون أنفسهم في الولايات المتحدة، فرأوا في نظريته اعلانا عن ضعف قيادة العالم الحر لايليق بأمريكا التي يجب أن تعلو قامتها
نجا موا إلى سدة الرئاسة بواحد من عدادهم هو رونالد ريجان الذي هداه إيمانه بالطوفان الثاني الذي يعود بعده المسيح ليملأ الأرض عدلا بعد أن امتلأت جورا، ويستمر هذا ألف عام بعدها تحين الساعة وتقوم القيامة، هداه هذا الإيمان إلى شبح الإرهاب الذي أصبحت مقاومته هي الصيغة الجديدة التي يتأسس عليها حق الولايات المتحدة في التدخل في شؤون العالم كله للقضاء على الشبح الشرير .
وبالمناسبة، فإن الإرهاب، ومقاومته كأساس لاستراتيجية التدخل الأمريكي لم تصبح أخر حلقات هذه الاستراتيجية ونهايتها، رغم مايشهده العالم من معالم الانفراج الدولي، والاتجاه الحثيث نحو نهاية الحرب الباردة، فقد جاء الرئيس الأميركي جورج بوش بمبرر جديد، بعد أن أخذت الموجة التي سميت إرهابا ، في الانحسار اعلاما على نجاح الاستراتيجية الأمريكية؟، ووجد بوش ضالته في مقاومة خطر المخدرات، وهو قناع جديد رأينا حتى الآن من أفضاله، غزو بنما، وفرض المعونة العسكرية الأمريكية على كولومبيا، وسوف نرى الكثير في قابل السنوات وكل هذا رغم مايبدو ظاهريا من نبل المقاصد .
كما نرى، قامت استراتيجية التدخل على ابتكار أقنعة تستر نوايا البغي والشر والعدوان، وهي أقنعة تعتمد على البغي باللغة .

وربما لذلك كان منطقيا أن يتصدى عالم مرموق في اللغويات، مثل ناعوم شومسكى لفض هذا القناع في هذا الكتاب .

وليس شومسكى واحدا من جمهرة علماء اللغويات، بل هو بينهم عمدة من البارزين، وعلم على مدرسة، فاللغويات عنده في علم استكشاف قدرة الإنسان على الإدراك ونمو تلك القدرة التي تعبر عن نفسها من خلال اللغة . وهذا مايعقد صلة وثيقة بين تخصصه وبين جلاء امتهان اللغة في الاستخدام السياسي الأمريكي لكلمة الإرهاب لأن اشاعة تعريف وفهم مشوهين ومغرضين للكلمة، إنما يؤثر على إدراك من يتلقون التعريف والفهم لحقيقة الظاهرة التي تزعم الكلمة التعبير عنها ، بهدف تشويه هذا الإدراك العام لظاهرة العنف الذي تمارسه بعض حركات التحرر الوطني، في مقابل عنف العسكرية العدوانية الأمريكية والاسرائيلية التي نشارك فيها دول غربية كبيرة أخرى .

فإذا تشوه الإدراك العام على النحو الذي يشبعه الاستخدام السياسي الأمريكي للكلمة، تكون السياسة الأمريكية قد حققت أكثر من نصف هدفها : عزلت عنف الضعفاء من امكانية تعاطف الناس معه، وجردت هؤلاء الضعفاء من واحد من أسلحتهم القليلة لأن الرأي العام لم يعد يقبله فإذا نظرنا إلى ما كتبه شومسكى من زاوية ميدانه الأصلي؛ علم اللغويات، فإن ماكتبه يكون دراسة تطبيقية في الانحراف بالإدراك العام من طريق العبث باللغة لتحقيق أغراض سياسية خبيثة .

وفي سياق الكتاب، استعان شومسكي أكثر من مرة، وفي أكثر من سياق، بما سبقه إليه وسبق كثير من غيره الكاتب البريطاني ذو الأصل المجرى جورج أورويل، عندما اعتمد اثنان على الأقل من مؤلفاته على غش اللغة، بالازدواج. في ما أصبح يعرف باسم اللغة الأورويليه .

وإذا كان أورويل قد رصد هذا الغش في الرطانة التي سادت كثيرا من الكتابات في البلدان الشيوعية، فها هو شومسكييبرصد الغش ذاته، وعلى نحو يعالج الواقع السياسي المباشر، خلافا لرمزية أورويل، وفي الاستخدامات السياسية التي تروج لها بلاده: الولايات المتحدة الأمريكية وفي صنيعتها وأداتها، اسرائيل، أي في المعسكر المقابل للمعسكر الذي تناوله أورويل .

وربما كان من المفيد لقارئ هذا الكتاب، التنويه بأن التحليل الذي يسوقه شومسكى فيه، لايتناول ظاهرة استخدام التشويه اللغوى لتحقيق أغراض سياسية خبيثة بالتطبيق على كلمة الإرهاب، لايتناولها من جوانبها جميعا ، إنما هو يتناول زاويتين محددتين، لخص الأولى في رواية القديس أوغسطين عن الاسكندر الأكبر والقرصان التي أوردها في مقدمة كتابه، وخلاصتها أن القتل والنهب بالجملة يسمى حربا مشروعة، ويسمى من يمارسها امبراطورا ، أما القتل والنهب بالتجزئة فتسمى إرهابا ويسمى من يمارسها قرصانا أو لصا ، والثانية في امتداد هذه الخلاصة وتكملتها في التجربة السياسية الأمريكية المعاصرة، أي ما نمارسه نحن - الولايات المتحدة - وبالجملة يسمى حربا ، أما مامارس ضدنا فهو رهاب أما التمييز بين الإرهاب و حرب التحرر الوطني أو الحرب الثورية، فلم يتعرض له شومسكى، ولابأس عليه من ذلك فهو ليس موضوعه على أي حال .
وان كان لنا عليه مأخذ في هذا الشأن، فهو أن سياق الكتاب يحمل شبهة أنه يقبل أن تكون بعض أعمال العنف التي تقع ضد الولايات المتحدة وإسرائيل، واقعة ضمن تعريف صحيح للإرهاب وإن كان يخفف من هذه الشبهة أنه يقف بحسم ضد الإرهاب بالجملة، وضد النسبية المختلة التي تبرر للأميركيين والإسرائيليين مايفعلون، نسبية نحن على حق وهم على باطل .

ولعل ما نلتمسه تشومسكى من عذر أيضا، أن الظاهرة التي أصبع مصطلحا على تسميتها الإرهاب حافلة بقدر غير قليل من الاشكاليات الدقيقة حول المعايير والمقاييس والظروف والملابسات التي تودي إلى اعتبار عمل من أعمال العنف، من وقائع النضال المشروع، وتؤدي إلى اعتبار عمل مماثل عملا من أعمال الإرهاب بتعريف برئ وصحيح للإرهاب .

الفصل الأول : التحكم في الأفكار

حالة الشرق الأوسط

إننا نجد ، من منظور مقارن، أن الولايات المتحدة تصل إلى درجة غير عادية، إن لم تكن متفردة، من حيث عدم وجود قيود على حرية التعبير فيها كما أنها تصل أيضا إلى درجة متفردة من حيث اتساع وفعالية الوسائل التي تستخدمها لتقييد حرية التفكير وترتبط هاتان الظاهرتان ببعضهما البعض فقد لاحظ المنظرون الديمقراطيون الليبراليون منذ زمن طويل أنه في المجتمع الذي يكون للشعب فيه صوت مسموع، يتعين على النخبة ضمان ألا ينطق هذا الصوت إلا بالأشياء الملائمة فكلما تقلصت قدرة الدولة على استخدام العنف في الدفاع عن مصالح النخبة التي تسيطر من الناحية الفعلية على شئون البلاد ، كلما ازدادت أهمية ابتكار أساليب، لصناعة الموافقة، على حد تعبير والتر ليبمان منذ أكثر من ستين عاما، أو هندسة الموافقة وهي العبارة التي يفضل استخدامها ادوارد برنيز، وهو واحد من الآباء المؤسسين لصناعة العلاقة العامة الأمريكية.

كتب هارولد لاسويل في موسوعة العلوم الاجتماعية عام ١٩٣٣ إننا يجب ألا نستسلم للأفكار الديمقراطية الجامدة التي تفيد أن الناس هم أفضل من يقدرون مصالحهم إذ يتعين علينا أن نجد السبل لضمان قبولهم للقرارات التي يتخذها زعماؤهم الذين يتسمون ببعد النظر، وهو الدرس الذي تعلمناه قبل ذلك بكثير على يد النخب المسيطرة، والذي كان نشوء صناعة العلاقات العامة دليلا واضحا عليه فأينما تكون الطاعة مفروضة بالقوة، فإن الحكام يميلون إلى انتهاج مفهوم سلوكى : يكفي أن الشعب يطيع؛ أما مايفكر فيه فلا يهم كثيرا ولكن حين تفتقر الدولة إلى وسائل كافية للقهر والإكراه، يكون من المهم أن تسيطر كذلك على مايفكر فيه الشعب .

وينتشر هذا السلوك بين المثقفين عبر تلاوين الساحة السياسية؛ وهم ينتهجونه بانتظام عندما يتحولون من لون لآخر عبر الساحة حسبما تقتضى الظروف وقد عبر عن هذه الصيغة راينهولد نيبور المعلق السياسي والكاتب الأخلاقي الذي يتمتع باحترام كبير، عندما كتب في عام ١٩٣٢ - من منظور يسارى مسيحي في ذلك الوقت - أنه نظرا لحماقة الرجل العادي فإن المسئولية تقع على كاهل المراقبين الهادئين في توفير الوهم اللازم الذي يوفر الإيمان الذي لابد من غرسه في عقول الأقل ذكاء وهذا المبدأ معروف أيضا في صيغته اللينينية، وكذلك في علم الاجتماع الأمريكي والنقد الليبرالي بشكل عام خذ على سبيل المثال قصف ليبيا في عام ١٩٨6 فنحن نقرأ بلا أي دهشة أن هذا الحدث حقق نجاحا في مجال العلاقات
العامة في الولايات المتحدة. فالقصف يحدث نتائج طيبة في أنحاء البلاد ، كما أن تأثيره السياسي الإيجابي من شأنه أن يقوى من وضع الرئيس ريجان في تعامله مع الكونجرس بشأن قضايا الميزانية العسكرية وتقديم المعونات لجماعات والكونترا في نيكاراجوا وكما قال الدكتور إيفارت لاد الأكاديمي الشهير المتخصص في الرأي العام، فإن مثل هذا النوع من حملات التربية العامة هو جوهر فن الإدارة السياسية ثم يضيف أن الرئيس يجب أن يشترك في هندسة الموافقة الديمقراطية مستخدما تعبير جورج أورويل الشهير الذي يشبع استخدامه في مجال العلاقات العامة والدوائر الأكاديمية للإشارة إلى سبل تقويض المشاركة الديمقراطية الحقيقية في تشكيل السياسة العامة .
إن مشكلة هندسة الموافقة الديمقراطية تبرز بشكل بالغ الحدة عندما يتعذر الدفاع عن سياسة الدولة أو تبريرها، وتصبح هذه المشكلة خطيرة بقدر خطورة الأحداث المطروحة. وليس هناك شك في خطورة القضايا التي تبرز في الشرق الأوسط، وبخاصة فيما يتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي، الذي أصبح بعد - وهو أمر ممكن الحدوث الشرارة التي يرجح

أن تتسبب في اشعال حرب نووية أخيرة حيث تتورط القوى العظمى في هذا الصراع الإقليمي؛ وهو ما أوشك على الحدوث في الماضي، وما سيوشك على الحدوث مرة أخرى وعلاوة على ذلك، فقد أسهمت السياسة الأمريكية بشكل ملموس في الإبقاء على حالة المواجهة العسكرية؛ وكانت هذه السياسة تقوم على أساس افتراضات عنصرية ضمنية لم يكن من الممكن تقبلها إذا أعلنت بصراحة هناك كذلك خلاف واضح بين المواقف الشعبية التي تؤيد بشكل عام قيام دولة فلسطينية إذا ما طرحت القضية في استفتاء، وبين سياسة الدولة التي ترفض بوضوح هذا الخيار - رغم أن هذا الخلاف لايتسم بأهمية كبيرة طالما تلتزم العناصر المحركة والنشطة سياسيا من الشعب بالنظام الملائم ولضمان هذه النتيجة فلابد من ممارسة ما أسماه المؤرخون الأمريكيون هندسة التاريخ عندما أولوا خبراتهم ومواهبهم لإدارة ويلسون خلال الحرب العالمية الأولى في واحدة من أوائل ممارسات صناعة الموافقة المنظمة وهناك العديد من الطرق التي تكفل الوصول إلى هذه النتيجة وتتمثل إحدى هذه الطرق في استخدام شكل ملائم من اللغة الجديدة يكون فيها للمصطلحات الهامة معنى فنية آخر يجردها من معناها الأصلي خذ على سبيل المثال مصطلح عملية السلام، فبمعناه الفني الذي تستخدمه وسائل الإعلام والمؤسسات البحثية بشكل عام في الولايات المتحدة، فإنه يشير إلى مقترحات السلام التي تقدمت بها الحكومة الأمريكية لذلك يكون صحيحا بحكم التعريف أن الولايات المتحدة ملتزمة بالسلام - وهي نتيجة مفيدة والذين يفكرون بشكل صحيح يأملون أن ينضم الأردن إلى مسيرة السلام - وهو ما يعني أن يقبل الشروط الأمريكية ولكن السؤال الهام هو ما إذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية استوافق على الانضمام إلى مسيرة السلام، أو هل من الممكن أن يسمح لها بالمشاركة في هذه العملية المهيبة ونجد أن مقالا صحفيا كتبه جفرتزمان عن عملية السلام في صحيفة

نيويورك تايمز حمل عنوانا يقول : هل الفلسطينيون على استعداد للسعي إلى السلام؟ بالمعنى المعروف لكلمة سلام، يكون الرد المؤكد هو نعم، طبعا فالجميع يسعون إلى السلام بطريقتهم؛ هتلر على سبيل المثال كان بالتأكيد يسعى إلى السلام على طريقته في عام ١٩٣٩ ولكن في إطار نظام السيطرة على الأفكار، يعني هذا السؤال شينا آخر، وهو : هل الفلسطينيون على استعداد لقبول الشروط الأمريكية للسلام ؟ علما بأن هذه الشروط تنكر عليهم حق تقرير المصير القومي؛ غير أن عدم استعدادهم لقبول هذه النتيجة إنما يؤخذ على انه يوضح أن الفلسطينيين لايسعون إلى السلام، بالصورة التي تعرفه بها اللغة الجديدة المتفق عليها .

ونلاحظ أنه ليس من الضروري عند جفرتزمان أن يسأل ما إذا كانت الولايات المتحدة أو إسرائيل على استعداد للسعي إلى السلام فبالنسبة للولايات المتحدة فإنها تسعى إلى السلام بحكم التعريف؛ كما أن قواعد الصحافة المسئولة، وهو استخدام آخر من استخدامات جورج أورويل - تستتبع أن يسرى الشيء نفسه على هذه الدولة العميلة المطيعة ويؤكد جفر تزمان كذلك أن منظمة التحرير الفلسطينية كانت ترفض دائما أي حديث عن التفاوض بشأن السلام مع إسرائيل إن هذا غير صحيح فعليا؛ ولكنه صحيح في عالم الوهم الضروري الذي خلقته صحيفة سجل الوقائع، والتي قامت بالاشتراك مع صحف أخرى تتسم بالمسئولية بإخفاء الحقائق الخاصة بالموضوع أو إحالتها إلى ثقب الذاكرة الذي يتحدث عنه أورويل .

وهناك بالطبع مقترحات سلام عربية، من بينها مقترحات لمنظمة التحرير الفلسطينية؛ ولكنها لاتعد جزءا منعملية السلام لذلك فإن توماس فريدمان مراسل صحيفة نيويورك تايمز في القدس في مقال كتبه بعنوان عقدين من السعي إلى السلام في الشرق الأوسط، قد استبعد مقترحات السلام العربية الرئيسية بما فيها مقترحات منظمة التحرير الفلسطينية؛ بينما لم تضم القائمة

مقترحات سلام إسرائيلية، لأنه لم يكن هناك أية مقترحات جادة مطروحة - وهي حقيقة لم توضع موضع النقاش الأسباب واضحة ولكن ماهي السمات المميزة لعملية السلامه الرسمية والمقترحات العربية التي استبعدت منها ؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال، يجب علينا أن نوضح مصطلحا آخر من مصطلحات جورج أورويل، وهو: الرفض هذا المصطلح يشير بطريقة استخدام أورويل له إلى موقف العرب الذين ينكرون حق تقرير المصير القومي على اليهود والإسرائيليين، أو الذين يرفضون قبول حق إسرائيل في الوجود ، وهو مفهوم جديد بارع يهدف إلى استبعاد الفلسطينيين عن عملية السلام عن طريق اظهار تطرف أولئك الذين يرفضون الاعتراف بعدالة مايرونه سلبا لوطنهم، والذين يتمسكون بالرؤية التقليدية القائلة بأن الاعتراف ينصب في النظام الدولي على الدول، وليس على حقها في الوجود - وهي الرؤية التي يتبناها النظام الأيديولوجى السائد في الولايات المتحدة والتي سادت في الممارسات الدولية المتعلقة بجميع الدول عدا إسرائيل .

وينطبق مصطلح الرافضين على بعض عناصر العالم العربي مثل : ليبيا وجبهة الرفض التي تمثل الأقلية من منظمة التحرير الفلسطينية وآخرين ولكن يجب ألا يفوتنا أن هذا المصطلع من مصطلحات اللغة الجديدة الرسمية يستخدم بمعنى يتسم بدلالات عنصرية واضحة وإذا تركنا جانبا افتراض العنصرية، سنلحظ أن هناك جماعتين تزعم كلتاهما حقها في تقرير المصير القوم على أرض فلسطين السابقة وهما: الشعب الأصلي الذي كان يمثل دائما الأ غلبية قبل قيام دولة إسرائيل والمستوطنون اليهود الذين قاموا بتشريد الشعب الأصلي بشكل واسع النطاق، وعن طريق العنف الشديد في بعض الأحيان ومن الممكن افتراض أن السكان الأصليين لهم حقوق مماثلة لحقوق المهاجرين اليهود وقد يقول البعض بأن هذه العبارة لاتظهر البعد

الحقيقي للمشكلة غير أنني أنحي هذا الأمر جانبا وإذا كان الأمر كذلك، فإن مصطلح الرفض، يجب أن يستخدم للإشارة إلى رفض حق تقرير المصير القومي لكل من القوتين القوميتين المتنازعتين، غير أن هذا المصطلح لايمكن أن يكون مجردا من دلالته العنصرية داخل النظام الذهبي الأمريكى، وإلا سيتضع على الفور أن الولايات المتحدة وإسرائيل تقودان معسكر الرفض - فهذه رؤية لايمكن تحملها في دنيا الواقع .

وبهذه الإيضاحات، يمكننا أن نتحول إلى السؤال : ما هي عملية السلام ؟

إن عملية السلام الرسمية هي بوضوح عملية رفض ، تضم الولايات المتحدة والتكتلين السياسيين الأساسيين في إسرائيل ورفضهم يصل في الواقع في تطرفه إلى حد عدم السماح للفلسطينيين حتى باختيار ممثليهم في المفاوضات النهائية بشأن تقرير مصيرهم - تماما كما ينكرون عليهم حقهم في الاشتراك في الانتخابات المحلية أو في الأشكال الديمقراطية الأخرى في ظل الاحتلال العسكري الإسرائيلي. ولكن هل يضم جدول الأعمال عملية سلام غير رافضة بالمعنى غير العنصرى للمصطلع ؟ وفقا للنظام المذهبي الأمريكي، يكون الرد طبعا بالسلب، بحكم التعريف .

الأمور تختلف في دنيا الواقع فالبنود الأساسية لهذا الاقتراح معروفة، وتعكس إجماعا دوليا واسع النطاق: فهي تتضمن اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، إلى جانب إسرائيل، كما تتضمن المبدأ القائل بضرورة ضمان أمن وسيادة جميع دول المنطقة بما فيها إسرائيل .

إن العبارة الأخيرة مأخوذة من نص خطاب ألقاه ليونيد بريجنيف أمام مؤتمر الحزب الشيوعي السوفيتي في فبراير ١٩٨١، وهي تعبر عن الموقف الثابت للاتحاد السوفيتى وقد نقلت صحيفة نيويورك تايمز مقتطفات من خطاب بريجنيف بعد حذف هذه المقاطع الهامة؛ أما الأجزاء التي حذفتها

صحيفة البرافدا ، من تصريحات ريجان قبل مؤتمر القمة فقد أثارت الكثير من السخط الذي له مايبرره وفي أبريل عام ١٩٨١، أقرت منظمة التحرير الفلسطينية بالإجماع تصريحات بريجنيف، غير أن صحيفة نيويورك تايمز لم تنشر هذه الحقيقة .فالمذهب الرسمي يتضمن أن الاتحاد السوشيتي يسعى فقط إلى خلق المشكلات واعاقة السلام على الدوام، لذلك فهو يدعم الرفض والتطرف لدى العرب إن وسائل الإعلام تقوم حقا بالدور الموكل إليها بجد واجتهاد .

ويمكننا أن نورد أمثلة أخرى ففي أكتوبر ١٩٧٧، دعا بيان مشترك أصدره كارتر وبريجينيف إلى إنهاء حالة الحرب وإقامة علاقات سلام طبيعية بين إسرائيل وجيرانها وقد أقرت منظمة التحرير الفلسطينية هذا البيان؛ غير أن كارتر سحبه بعد رد فعل صاخب من جانب إسرائيل وجماعة الضغط الأمريكية التابعة لها وفي يناير ١٩٧٩، تقدمت الأردن وسوريا ومصر إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة باقتراح تسوية تضمن قيام دولتين تمشيا مع الإجماع الدولي. وأقرت منظمة التحرير الفلسطينية هذا الاقتراح ؛ وفقا لما ذكره الرئيس الإسرائيلى حاييم هرتزوج الذي كان سفيرا لدى الأمم المتحدة في ذلك الوقت، كان هذا الاقتراح معدا، من قبل منظمة التحرير الفلسطينية. ورفضته الولايات المتحدة .

وقد حذفت معظم هذه الأحداث من التاريخ؛ فلم تعد تذكر في الصحف أو في الأبحاث الأكاديمية فلم يرد ذكر للمبادرة العربية لعام ١٩٧٩ حتى في العرض الذي أعده سيث تيلمان بعناية فائقة في كتابه الولايات المتحدة والشرق الأوسط انديانا ١٩٨٢ولكنها وردت في كتاب الصراع العربي - الإسرائيلي الآخر لستيفن شبيجل شيكاغو ١٩٨٠ ص٣٠١؛ وهو عمل أكاديمى حظى بتقدير كبير فضلا عن بعض التعليقات الهامة وقد كتب شبيجل إن الولايات المتحدة واستخدمت حق النقض الفيتو ضد الحل الموالي

للفلسطينيين، حتى د تبين أنها على استعداد لسماع المطالب الفلسطينية ؛ ولكنها لن تستجيب لأية مطالب من شأنها أن تهدد إسرائيل إن الالتزام بالرفض الأمريكي - الإسرائيلي لا يمكن أن يكون أوضع من ذلك، وهو يحظى بالقبول في الولايات المتحدة باعتباره أمرا سليما إلى جانب المبدأ القائل بأن المطالب التي تشكل تهديدا للفلسطينيين إنما هي مشروعة تماما ، بل وتستحق الإطراء : خذ هذا على سبيل المثال بنود عملية السلامه الرسمية. وفي الأحاديث العامة، نجد أن العقيدة الصحيحة أن البيان المشار إليه صدر عن وزير الخارجية الأمريكية والسوفيتية في ذلك الوقت؛ سايروس شانس وأندريه جروميكو ولعلها زلة قلم من المؤلف .الناشر
السائدة في تلك القائلة بأن الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية لم تحد عن رفضها للاتفاق مع إسرائيل بأي شكل من الأشكال، باستثناء السادات بعد رحلته للقدس في عام ١٩٧٧فالحقائق يجب ألا تكون مصدرا للحرج، أو حتى المضايقة الخفيفة، بالنسبة لنظام الهندسة التاريخية، الذي يعمل بدقة فائقة لقد كان رد فعل إسرائيل على مقترحات السلام التي تقدمت بها منظمة التحرير الفلسطينية ودول المواجهة، في عام ١٩٧١ هو قصف لبنان حتى دون التذرع بأن ذلك رد انتقامى، اللهم إلا إذا كان الانتقام من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وقتل ما يربو على خمسين شخصا، وإعلان أنها لن تدخل في أي اتفاقات مع أي فلسطيني حول أي قضية سياسية وكانت هذه هي حكومة العمل المعتدلة الحمائم التي كان يرأسها اسحاق رابين ٧ الذي عرف في مذكراته نوعين من التطرف ذلك التطرف الخاص بحكومة بيجن، وذلك الاقتراح الذي تقدم به المتطرفون الفلسطينيون منظمة التحرير أساسا الخاص بإقامة دولة فلسطينية ذات سيادة في الضفة الغربية وقطاع غزة فأسلوب حزب العمل في الرفض هو وحده الذي لايعد تطرفا ؛ وهو موقف يوافق عليه المعلقون الأمريكيون .

ونشير بالمناسبة إلى مصطلحين آخرين من مصطلحات اللغة الجديدة وهما: التطرف والاعتدال فالاعتدال يشير إلى أولئك الذين يقبلون موقف الولايات المتحدة، والتطرف يشير إلى من يرفضونه وهكذا يكون الموقف الأمريكى معتدلا بحكم التعريف ؛ كما هو الحال أيضا بالنسبة لموقف ائتلاف العمل الإسرائيلي بشكل عام، حيث إن شعاراته تميل إلى الاقتراب من الشعارات الأمريكية وهكذا فإن رابين يتوافق مع الاستخدام المعتمد لمصطلحي معتدل ومتطرف وبالمثل فإن توماس فريدمان في مقال له يتسم بقدر مناسب من التوجع والألم حول الإرهاب وصعوده، إنما يدرج ضمن هذا التعبير أولئك الذين يدعون إلى تسوية غير عنصرية اتفاقا مع الإجماع الدولي، في حين أن الزعماء الغربيين لمعسكر الرفض، والذين يمثلون كذلك طليعة القائمين بالأعمال الإرهابية، يكونون هم المعتدلين - وقد نضيف هنا أنهم معتدلون بحكم التعريف ويكتب فريدمان كذلك أن المتطرفين كانوا دائما هم الأقدر على استغلال وسائل الإعلام وهو على حق تماما؛ فقد أظهرت كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية كفاءة لانظير لها في إتقان هذا الفن، وهو مايتضح كذلك في المقالات والتقارير الإخبارية التي كتبها فريدمان نفسه - بالدرجة التي جعلت البعض يتساءلون عما إذا

كان يجب أن يوصف بأنه مندوب إسرائيل لدى النيويورك تايمز» ٨. فالصيغة الملائمة للتاريخ التي يطرحها ، بالإضافة إلى الإطار النظري لكتاباته - كما أوضحنا لتونا - يوفران بعضا من الأمثلة العديدة التي تدل على نجاح المتطرفين في استغلال وسائل الإعلام - إذا ما استخدمنا هذه العبارة هنا بالمعنى غير الأورويلى .

.وبتبني هذا الإطار النظري الذي يستهدف استبعاد أي فهم محتمل للحقائق والأمور، فقد اتبعت النيويورك تايمز ممارسات النماذج الإسرائيلية ذاتها، مثل رابين، والتي وصلت إلى مرتبة المعتدلين بفضل امتثالها بوجه عام

لمطالب حكومة الولايات المتحدة . وبالتالي فإن من الطبيعي تماما أنه عندما يكتب فريدمان عقدان من السعي إلى السلام في الشرق الأوسط فإنه يحذف المقترحات الرئيسية التي ترفضها الولايات المتحدة وإسرائيل، باعتبارها غير ملائمة للتسجيل التاريخي .

وفي نفس الوقت، كان محررو النيويورك تايمز يشيدون بالزعماء الإسرائيليين لنزعتهم البرجماتية العملية الصحيحة، في حين كانوا يشجبون منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها عقبة في طريق السلام وبالمناسبة، فإن من العناصر الرئيسية في النظام الأيديولوجي أن توجه وسائل الإعلام انتقادات شديدة لإسرائيل والولايات المتحدة، بينما تكون أكثر صرامة بكثير في تناولها للمتطرفين العرب وإن أمكن استخدام مثل هذه العبارات حتى بدون أن تثير السخرية، لهو أحد الدلائل على النجاح غير العادي الذي يحققه نظام توجيه الأفكار والعقول .

وإذا ما عدنا إلى الحديث عن المتطرفين، نجد أنه في شهر أبريل ومايو 1984، أصدر ياسر عرفات سلسلة من التصريحات يدعو فيها إلى مفاوضات تؤدي إلى الاعتراف المتبادل ورفضت الصحف القومية نشر هذه الحقائق ؛ بل وفرضت النيويورك تايمزحظرا على الرسائل التي تشير إلى هذه التصريحات، في حين استمرت في إدانة عرفات المتطرف لعرقلته التوصل إلى تسوية سلمية وهذه الأمثلة والعديد غيرها يوضح أن هناك مقترحات غير رافضة قد طرحت وحظيت بتأييد واسع النطاق ؛ وفي الواقع فإنها تحظى بتأييد متفاوت الدرجات من جانب معظم الدول الأوروبية والاتحاد السوفيتي ودول عدم الانحياز وأغلبية الدول العربية والتيار الرئيسي في منظمة التحرير الفلسطينية وأغلبية الرأي العام الأمريكى إذا ما استندنا إلى استطلاعات الرأي القليلة الموجودة غير أن هذه المقترحات لاتعد جزءا من عملية السلام، لأن الولايات المتحدة تعارضها لذلك فإن هذه

الأمثلة التي أوردناها لم ترد في العرض الذي نشرته النيويورك تايمزتحت عنوان عقدان من السعي لتحقيق السلام ولا في الكتابات الصحفية والأكاديمية كلها تقريبا .

وهناك أحداث أخرى لا تعد صالحة لأن تكون جزءا من عملية السلام فلم تذكر النيويورك تايمز ذلك العرض الذي تقدم به أنور السادات في فبراير ١٩٧١ لإبرام معاهدة سلام كاملة تقوم على أساس الحدود المعترف بها دوليا - تمشيا مع الصياغات الأمريكية الرسمية في ذلك

يختلف مدلول عبارة الصحف القومية، هنا عن مدلوله الشائع في الصحافة المصرية المقصود هنا مى الصحف التي توزع في جميع أنحاء الولايات المتحدة الناشر

-الوقت - وهو العرض الذي رفضته إسرائيل بمساندة الولايات المتحدة .

ويلاحظ أن هذا العرض كان يتسم بنزعة الرفض، لأنه لم يكن يقدم شيئا للفلسطينيين وقد أوضع هنرى كيسنجر في مذكراته سياسته في ذلك الوقت قائلا :حتى تبدى بعض الدول العربية استعدادها للانفصال عن الاتحاد السوفيتي، أو يكون السوشيت على استعداد للتخلي عن معظم خططهم العربية، فليس لدينا سبب يدفعنا لتعديل سياستنا وهي سياسة الجمود وهكذا، كان الاتحاد السوشيتى متطرفا، بالمعنى الفني للكلمة، لتأييده للسياسة الأمريكية الرسمية او إن لم تكن قابلة للتنفيذ وكان كيسنجر على حق بالتأكيد في إشارته إلى أن بعض الدول العربية مثل المملكة العربية السعودية ترفض الانفصال عن السوفيت، مع أنه لم يلحظ، أو لم يكن على علم فيما يبدو، بأن في ذلك استحالة منطقية حيث إن السعودية لاتربطها علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي، ولم تكن هذه العلاقات موجودة على الإطلاق وينكشف الانضباط المذهل لوسائل الإعلام ومؤسسات البحث من

حقيقة أن هذه الأقوال المدهشة لم تلق أي تعليق؛ بالضبط كما لم يكن بمقدور أي مراقب مسئول أن يعبر عن حقيقة أن جهل كيسنجر المحمود بالحقائق وإصراره على المواجهة العسكرية كان هو العامل الأساسي الذي أدى إلى حرب ١٩٧٣ .

وحذف اقتراح السادات من السجل التاريخي. واكتفت القصة الرسمية بالقول أن السادات كان سفاحا عربيا تقليديا لايهتم إلا بقتل اليهود ، وإن كان قد أدرك خطأ أساليبه بعد فشل محاولته لتدمير إسرائيل في عام 1973، وأصبع رجل السلام في ظل الرعاية الكريمة الكيسنجر وكارتر. لذلك فإن صحيفة النيويورك تايمز لم تكتف في صفحتي الرثاء المنشورتين في عددها الصادر بعد اغتيال السادات باخفاء الحقائق الفعلية، بل كانت تنكرها بشكل سافر، قائلة إن السادات ظل حتى رحلته للقدس في عام ١٩٧٧ رافضا لايقبل وجود إسرائيل دولة ذات سيادة ورفضت النيويورك تايمز نشر رسالة كانت تسعى لتصحيح الأكاذيب الكاملة التي أوردها الكاتب جورج ويل بهذا الصدد، رغم أن إدارة الأبحاث قد اعترفت بصحة هذه الحقائق. فهذا هو الأسلوب المعتمد في الإعلام الأمريكى

والإرهاب والرد الانتقامى هما أيضا مصطلحان يتسمان بجمعان خاصة في اللغة الجديدة المستخدمة في الولايات المتحدة. فكلمة الإرهابتشير إلى الأعمال الإرهابية التي يقوم بها مختلف القراصنة، ولاسيما العرب منهم أما الأعمال الإرهابية التي يقوم بها الامبراطور وعملاؤه، فتسمى ردا انتقاميا، أو ربما ضربات وقائية مشروعة للحيلولة دون وقوع أعمال الإرهاب، بشكل منفصل تماما عن الحقائق، كما سنرى في الصفحات التالية .

كما أن تعبير رهينة - مثله مثل الإرهاب ومعتدل وديمقراطي، وغيرها من التعبيرات المستخدمة في الخطاب السياسي - له أيضا معنى فنى داخل النظام المذهبى السائد فبالمعنى المعروف في القواميس للكلمة، نجد أن

شعب نيكاراجوا محتجز الآن كرهينة في إطار عملية إرهابية كبرى موجهة من مراكز الإرهاب الدولي في واشنطن وميامى والهدف من هذه الحملة في الإرهاب الدولي يتمثل في إحداث تغييرات في سلوك حكومة نيكاراجوا : أساسا، وضع حد للبرامج التي توجه الموارد للأغلبية الفقيرة والعودة للسياسات المعتدلة ، الديمقراطية التي تخدم مصالح دوائر الأعمال الأمريكية وعملائها المحليين. ويمكن إقامة حجة قوية جدا على أن هذا هو السبب المحوري لهذه الحرب الأرهابية التي تشنها الولايات المتحدة ضد نيكارجوا، وهي الحجة التي لا ترفض، ولكنها لاتطرح للنقاش داخل نظام التحكم في الأفكار في الولايات المتحدة وتنطوي هذه الحرب على ممارسة سادية بشكل خاص للإرهاب، ليس فقط بسبب اتساع نطاقها ووضوح غايتها، ولكن أيضا بسبب الوسائل المستخدمة فيها، والتي تتجاوز بدرجه واسعة الممارسات العادية للإرهابيين بالتجزئة الذين أثارت أعمالهم الرعب في الدوائر المتحضرة ، فمثلا: قتل ليون كلينجوفر وناتاشا سيمبسون على أيدي إرهابيين، ولكنهما لم يتعرضا قبل قتلهما للتعذيب الوحشي والاعتداء والاغتصاب وغير ذلك من الأساليب التقليدية للإهابيين الذين تدربهم وتساندهم الولايات المتحدة، وهو الأمر الذي توضحه بشدة السجلات، التي يتم تجاهلها هنا بشكل عام. وتتمثل سياسة الولايات المتحدة في ضمان استمرار الهجمات الإرهابية حتى تستسلم الحكومة أو يتم الاطاحة بها، في حين تلقى حاشية الامبراطور بالمواعظ والعبارات الملطفة عن الديمقراطية وحقوق الإنسان .

غير أن تعبيرى إرهاب ورهينة عند أورويل إنما يقتصر استخدامهما فقط على نوع معين من الأعمال الإرهابية: ليس الإرهاب بالجملة الذي يمارسه الامبراطور، بل بالأحرى الإرهاب بالتجزئة الذي يقوم به القرصان، والموجه ضد أولئك الذين ينظرون إلى أعمال الإرهاب، واحتجاز الرهائن

على نطاق واسع باعتبارها امتيازات خاصة بهم فما تقوم به إسرائيل من قرصنة واحتجاز للرهائن وهجمات إرهابية ضد القرى التي لا تملك دفاعا عن نفسها ، وغير ذلك من الأعمال التي تقع في الشرق الأوسط، لا تدخل في مفهوم الإرهاب، بالصورة التي يفسر بها داخل النظام المذهبي .

إن السجل المغلوط المتعلق بالإرهاب والذي سنعود للحديث عنه في الصفحات التالية، هو سجل واسع إلى درجة أننا لايسعنا هنا سوى بحث بعض العينات منه وهو مفيد جدا في الكشف عن طريقة عمل الدعاية الغربية وطبيعة الثقافة الغربية والنقطة الوثيقة الصلة بالموضوع هنا إنما تتمثل في أن تاريخا معينا وشكلا ملائما من أشكال اللغة الجديدة قد سخرا الاستنباط أن الإرهاب هو شيء يدخل في دائرة اختصاص الفلسطينيين، في حين أن مايقوم به الإسرائيليون إنما هو الانتقام، أو في بعض الأحيان الأعمال الوقائية المشروعة التي تتسم أحيانا بعنف يستوجب الندم، كما تفعل أي دولة تتعرض لهذه الظروف الصعبة وقد صمم النظام المذهبي ليضمن أن تكون هذه النتائج صحيحة بحكم التعريف، بغض النظر عن الحقائق - التي إما أنها لاتذكر على الإطلاق، أو تذكر بشكل يجعلها تتوافق مع الضرورات المذهبية أو - في بعض الأحيان - تذكر بأمانة ثم يلقي بها في سلة مهملات الذاكرة ولما كانت إسرائيل دولة عميلة مخلصة ومفيدة جدا، وتعمل كرصيد استراتيجي في الشرق الأوسط، وهي على استعداد للقيام بمهام من قبيل تقديم يد العون في الإبادة شبه الكاملة في جواتيمالا في الوقت الذي يمنع فيه الكونجرس الإدارة الأمريكية من الاشتراك بالقدر الذي كانت تريده في هذه الممارسة الضرورية، فإنه يصبح من الصحيح، بصرف النظر عن الحقائق، أن إسرائيل إنما تلتزم بالقيم الأخلاقية العليا وطهارة السلاح، في حين يكون الفلسطينيون هم خلاصة التطرف والإرهاب والبربرية أما القول بأنه قد يكون هناك تماثل معين بين الحقوق والأعمال

الإرهابية فهو مرفوض بالاجماع في التيار الرئيسي - أو سوف يكون مرفوضا إذا ما قدر لمثل هذه الكلمات أن تصل إلى الأسماع - باعتباره معاداة واضحة للسامية فأي تقييم عقلانى يعطي وصفا دقيقا وتحليلا لنطاق وغايات إرهاب كل من الامبراطور والقرصان هو أمر مستبعد بشكل مسبق :بل سيتعذر في الواقع فهمه، لأنه سيكون بعيدا جدا عن التعاليم القومية السائدة .

إن الخدمات التي قدمتها إسرائيل للولايات المتحدة باعتبارها رصيدا استراتيجيا لها في الشرق الأوسط وفي غيره، تساعد على توضيح تفاني الولايات المتحدة، منذ تولي كيسنجر الشئون السياسية المتعلقة بالشرق الأوسط في أوائل السبعينيات في الإبقاء على المواجهة العسكرية والجمود الكيسينجرى فلو سمحت الولايات المتحدة بتسوية سلمية تمشيا مع الاجماع العالمي، فإن إسرائيل ستندمج تدريجيا في المنطقة وتفقد الولايات المتحدة بذلك الخدمات التي تحصل عليها من دولة مرتزقة ذات قيمة كبيرة، متفوقة في المجال العسكري ومتقدمة على الصعيد التكنولوجي، ودولة منبوذة، تعتمد بشكل كامل على الولايات المتحدة في بقائها الاقتصادي والعسكري، وبالتالي فهي دولة يمكن الاعتماد عليها، وهي مستعدة لتقديم الخدمات عند الحاجة إليها .

كذلك فإن العناصر المنتمية إلى ما يسمى جماعات الضغط الإسرائيلية، لها مصلحة في الابقاء على المواجهة العسكرية، كما اتضح للصحفي الإسرائيلى دانى روبنشتاين الذي يعمل في صحيفة دافار، التابعة لحزب العمل خلال زيارة قام بها للولايات المتحدة في عام ١٩٨٣ فقد اكتشف روبنشتاين خلال لقاءاته مع ممثلين عن المنظمات اليهودية الكبرى مثل بناى بريث، ورابطة مناهضة التشهير، والمؤتمر اليهودي العالمى، و حداسة وحاخامات من كافة الأشكال والألوان، إلخ كتشف أن الآراء التي

طرحها فيما يتعلق بالوضع الراهن في إسرائيل قد أثارت قدرا ليس ضئيلا من المشاعر العدائية، لأنه أكد على حقيقة أن إسرائيل لاتواجه خطرا عسكريا بقدر ماتواجه خطر التدمير السياسي والاجتماعي : والأخلاقي نتيجة لاستيلائها على الأراضي المحتلة فقد قال أحد هؤلاء الممثلين لروبنشتاين، إن هذا الأمر لايهمني، ولا يمكنني أن أفعل أي شيء بمثل هذه الحجج وكان المعنى الذي توصل اليه روبنشتاين من خلال العديد من أمثال هذا الحوار هو :

إن الأمر المهم في رأي معظم أعضاء المؤسسة اليهودية الأمريكية إنما هو التأكيد مرارا وتكرارا على المخاطر الخارجية التي تواجهها إسرائيل فالمؤسسة اليهودية في أمريكا لاتحتاج إسرائيل إلا باعتبارها ضحية لهجوم عربى قاس فلمثل هذه الدولة يمكن للمرء الحصول على الدعم والتبرعات والأموال فكيف يمكن لأحد أن يجمع الأموال لمواجهة خطر ديموجرافي؟ من يمكن أن يدفع دولارا واحدا لمواجهة ما أطلق عليه خطر الضم والإلحاق؟ فالجميع يعرفون الحساب الرسمي للتبرعات التي تجمعها منظمة النداء اليهودي الموحد في أمريكا، والتي يستخدم لجمعها اسم إسرائيل رغم أن نصف هذه المبالغ لاتذهب إلى إسرائيل، وإنما إلى المؤسسات اليهودية في أمريكا هل هناك نفاق أشد من هذا ؟

ويمضي روبنشتاين في ملاحظاته إلى القول بأن منظمة النداء اليهودي :

التي تدار كعمل تجاري يتسم بالانضباط والكفاءة، إنما تشترك في لغتها مع المواقف التي ينتهجها الصقور في إسرائيل. ومن ناحية أخرى، فإن محاولات الاتصال بالعرب والسعي من أجل التوصل إلى اعتراف متبادل مع الفلسطينيين، ومواقف الحمائم المعتدلين، إنما تعمل جميعها ضد عملية جمع التبرعات فكل ذلك لايقلل فحسب من حجم الأموال التي تحول إلى إسرائيل، بل - وهذا هو الأهم - يخفض أيضا من حجم الأموال المتاحة

لأنشطة الجماعات اليهودية المراقبون للأنشطة المنتظمة لشرطة مراقبة الأفكار في جماعات الضغط الإسرائيلية، وهي الشرطة الحريصة على رصد أدنى إشارة بشأن التوصل إلى مصلحة أو تسوية سياسية ذات معنى، ونسف هذه البدعة عن طريق المقالات والبرقيات الغاضبة في الصحف، وإشاعة القضايا الملفقة التي تسيء إلى سمعة هؤلاء الكفرة، إلخ سيعرف هؤلاء المراقبون بالضبط ما الذي كان روبنشتاين يصادفه .

وتلفت تعليقات روبنشتاين انتباهنا إلى تعبير أورويلى آخر: هو مؤيدو إسرائيل الذي جرى العرف على استخدامه للإشارة إلى أولئك الذين لايشغلهم أمر التدمير السياسي والاجتماعي والأخلاقي لأسرائيل والذي من المحتمل أن يؤدي على المدى الطويل إلى تدميرها الفعلي أيضا، والذين يسهمون حقا في تحقيق هذه النتائج عن طريق التأييد

الشوفيني الأعمى والضيق الأفق لموقف التعنت المتصلب لذي تتخذه إسرائيل - وهو ماحذر منه الحمائم الإسرائيليون مرارا .

وفيما يتعلق بالموضوع نفسه، يمكننا أن نلاحظ الطريقة المثيرة للاهتمام التي يقوم بها من يضطلعون بدور حراس نزاهة النظام المذهبي بتعريف تعبير الصهيونية، في الوقت الراهن - بشكل ضمني طبعا فوجهة نظري الخاصة، على سبيل المثال، تدان بشكل دائم باعتبارها نضالا ضد الصهيونية من جانب أناس يعلمون جيدا وجهات النظر هذه، والتي أعبر عنها بشكل واضح ومتكرر : وهي أن إسرائيل تتمتع داخل حدودها المعترف بها دوليا بنفس حقوق أي دولة أخرى داخل النظام الدولي لا أكثر ولا أقل؛ أنه يتعين تفكيك الأبنية المؤسسية التمييزية التي ترتب عن طريق القانون والممارسة الفعلية أوضاعا خاصة لفئة واحدة من المواطنين هم اليهود ، البيض، المسيحيون، إلخ ، وتضمن لهم حقوقا يحرم منها الآخرون. ولن أتعرض هنا إلى المسألة الخاصة بما ينبغي أن يطلق عليه بصورة

صحيحة اسم صهيونية ولكن سأشير فقط إلى مايستتبع تسمية أوجه النظر هذه النضال ضد الصهيونية : فالصهيونية في المذهب القائل بأن إسرائيل لابد وأن تحصل على حقوق أكثر من أي دولة أخرى؛ وأنها لابد وأن تحتفظ بسيطرتها على الأراضي المحتلة، وربما يحول دون تمتع الفلسطينيين بأي شكل معقول من أشكال الحكم الذاتي؛ وأنها لابد أن تظل الدولة التي تقوم على أساس التمييز ضد المواطنيين غير اليهود ومن المحير بشكل خاص ملاحظة أن مؤيدى إسرائيل يصرون على صلاحية قرار الأمم المتحدة الشهير بشأن الصهيونية والعنصرية .

ويتعين أن نشير إلى أن هذه الأسئلة ليست أسئلة مجردة أو نظرية فمشكلة التمييز تتسم بالحدة في إسرائيل، حيث إن نسبة 10 في المائة من الأراضي مثلا توضع بمقتضى القانون تحت سيطرة تنظيم مكرس لخدمة مصالح الأشخاص المنتمين للدين أو الجنس أو الأصل اليهودى بما يستبعد المواطنين غير اليهود من الناحية الفعلية. ويبلغ الالتزام بممارسات التمييز حدا من العمق يتعذر معه حتى أن تثار أمام البرلمان، حيث تحظر القوانين الجديدة التقدم بأي مشروع قانون من شأنه أن ينفي وجود إسرائيل باعتبارها دولة للشعب اليهودي، وليست دولة لمواطنيها وهكذا، فإن هذا التشريع يلغي أي تحد برلماني لطبيعة الدولة القائمة في جوهرها القائم على التمييز باعتباره أمرا غير قانونى؛ كما أن هذا التشريع يحظر من الناحية الفعلية الأحزاب السياسية التي تلتزم بالمبادىء الديمقراطية المعروفة، والتي تقول بأن الدولة هي دولة مواطنيها ومن الملحوظ أن الصحف الإسرائيلية، ومعظم كتاب الرأي لم يلحظوا أي غرابة في أن يتواكب هذا التشريع مع قانون لمناهضة العنصرية وكانت الأصوات الأربعة المعارضة تعارض في الواقع هذا الجانب من ذلك التشريع وكتبت صحيفة الجيروزاليم بوست في عنوانها: الكنيسيت بحظر المشاريع العنصرية والمناهضة للصهيونية -

وبدون أي تهكم فقد جرى تفسير تعبير الصهيونية، وفقا لما هو وارد في التشريع الجديد ويبدو كذلك أن قراء والجيروزاليم بوست لم يجدوا هنا شيئا يستحق الاهتمام في هذا الارتباط؛ تماما كما لم يجدوا أي صعوبة على الإطلاق في التوفيق بين الطابع المنافي للديمقراطية في جوهره لصيغتهم الصهيونية وبين تهليلهم الحماسي للطابع الديمقراطي للدولة التي تتحقق فيها هذه الصيغة .

وليس أقل أهمية أن نشير إلى الاستخدامات البارعة لمفهوم معاداة السامية؛ على سبيل المثال، للإشارة إلى هؤلاء الذين يظهرون معاداة الامبريالية التي يمارسها الأغبياء فهي نوع من أنواع معاداة السامية باعتراضهم على الدور الذي تلعبه إسرائيل في العالم : الثالث في خدمة القوة الأمريكية - في جواتيمالا على سبيل المثال -؛ أو للإشارة إلى الفلسطينيين الذين يرفضون فهم أن مشكلتهم يمكن أن تحل عن طريق إعادة توطينهم مع منحهم قدرا من التعويضات؛ أما إذا اعترض الباقون من سكان قرية الدومة الذين قتل الجيش الاسرائيلي مئات منهم خلال عملية إبادة واسعة عام 1948، أو إذا احتج سكان قطاع غزة الشبيه بمستوطنة سويتو السوداء في جنوب أفريقيا فإن ذلك إنما يثبت أنهم معادون للسامية وينبغي على المرء أن يغوص في أعماق الحوليات الستالينية ليجد شيئا أشبه بذلك ؛ غير أن الأمثلة المقارنة التي يجري بحثها في حوارات المثقفين في الولايات المتحدة فيما يتعلق بإسرائيل ليست نادرة؛ ولكنها تمر دون أن يلحظها أحد، على الرغم من أن حمائم إسرائيل لم يفتهم أن يفهموا ويدينوا أسلوب ستالين .

إن الأداة المحورية في نظام غسيل المخ في ظل الحرية الذي تطور بشكل كبير في الولايات المتحدة في تشجيع المناظرات حول القضايا السياسية، ولكن داخل إطار من الافتراضات المسبقة يضم المذاهب الأساسية التي تكفل الانضباط والالتزام بالخط السائد. فكلما احتدمت المناظرة، كلما ثبتت

في الأذهان هذه الافتراضات المسبقة، على حين يغمر المشاركين والمشاهدين شعور بالرهبة والرضا عن النفس بشجاعتهم ولتمتع مجتمعهم بقدر كبير من الحريات .

وهكذا مثلا، فإنه في حالة حرب فيتنام، سمحت المؤسسات الأيديولوجية بمناظرة بين الصقور، والحمائم ؛ وفي الواقع لم يقتصر الأمر على السماح بالمناظرة، بل وتشجيعها كذلك بحلول عام 1998، عندما تحولت قطاعات واسعة من رجال الأعمال الأمريكيين ضد الحرب باعتبارها مكلفة للغاية وضارة بمصالحهم وقال الصقور بأنه بالصمود والتفانى مكن للولايات المتحدة أن تنجح في الدفاع عن ثبتنام الجنوبية ضد العدوان الشيوعي ورد الحمائم على ذلك بالتشكك في جدوى هذا الجهد النبيل، أو استنكروا الاستخدام الزائد للقوة والعنف في السعي وراءه أو راحوا يندمون على الأخطاء، وأشكال سوء الفهم، التي ضللتنا من خلال إفراطنا في الصلاح والتقوى والخير المنزه عن الغرض، على حد قول جون كينج نيربانك المؤرخ بجامعة هارفارد، وعميد الدراسات الآسيوية بالولايات المتحدة، ومن الحمائم الأكاديميين المرموقين، أو من خلال جهودنا المتخبطة للقيام بعمل طيب على حد تعبير أنطونى لويس، الذي ربما كان أبرز الحمائم في وسائل الإعلام أو في بعض الأحيان في الأطراف النائية من النظام المذهبي، كانوا يتساءلون عما إذا كانت ثبتنام الشمالية وقوات الفيت كونج مذنبتين فعلا بتهمة الغزو، ويقولون إنه ربما كانت هذه التهمة مبالغا فيها .

غير أن الحقيقة المحورية والأكثر وضوحا في هذه الحرب هي أن الولايات المتحدة لم تكن تدافع عن ثيتنام الجنوبية، وإنما كانت تهاجمها، منذ عام ١٩٩٢ بالتأكيد، عندما أرسل الرئيس كيندى سلاح الجو الأمريكى ليشارك في عمليات القصف وإحراق المشروعات الضخمة، التي كانت تستهدف دفع الملايين من أفراد الشعب إلى المعسكرات حيث يمكن حمايتهم من

رجال حرب العصابات التابعين لفيتنام الجنوبية الذين كانوا يريدونهم عن طيب خاطر وهر ما اعترفت به الحكومة الأمريكية سرا ؛ وذلك بعد أن أحبطت الولايات المتحدة أي إمكانية للتسوية السياسية، وأقامت نظاما إجراميا عميلا تام حتى ذلك الوقت بقتل نحو مائة ألف من مواطني فيتنام الجنوبية وخلال الحرب، كانت الهجمات الأمريكية الرئيسية موجهة ضد ثبتنام الجنوبية، ونجحت هذه الهجمات بحلول أواخر الستينيات في القضاء على مقاومة ثيتنام الجنوبية، بينما اتسعت الحرب لتشمل بقية أجزاء الهند الصينية وهكذا عندما يهاجم الاتحاد السوشيتي أفغانستان، يكون بمقدورنا أن نرى في ذلك عدوانا؛ أما عندما تهاجم الولايات المتحدة فيتنام الجنوبية، فإن هذا يكون دفاعا - دفاعا ضد العدوان الداخلي، على حد زعم أدلاي ستيفنسون أمام الأمم المتحدة في عام 1964، في الوقت الذي كانت حكومته تخطط بشكل سري للتوسع في العدوان، من حيث تكثيفه واتساع نطاقه ولم يكن تورط الولايات المتحدة في هجوم ضد فيتنام الجنوبية موضع نفي من جانب نظام الدعاية؛ بل بالأحرى ما كان يمكن التعبير عن هذه الفكرة أو حتى تخيلها فالمرء لا يمكنه أن يعثر على أي إشارة عن أحداث من قبيل الهجوم الأمريكي على فيتنام الجنوبية في التيار الرئيسي الوسائل الإعلام، أو الكتابات الأكاديمية، أو حتى معظم المطبوعات الخاصة بحركة السلام وليس هناك مثل أوضح على القوة الخارقة للنظام الأمريكي للتحكم في الأفكار من المناظرة التي جرت حول عدوان ثبتنام الشمالية، وما إذا كانت الولايات المتحدة لها الحق بمقتضى القانون الدولي في محاربته في إطار الدفاع الجماعى عن النفس ضد الهجوم العسكرى وكتبت المجلدات دفاعا عن المواقف المتعارضة؛ وبعبارات أقل إثارة، فإن هذه المناظرة استكملت في الساحة العامة التي دشنتها حركة السلام وكانت هذه المناظرة انعكاسا رائعا لنظام التحكم في الأفكار، كما كانت إسهاما فيه، فطالما تتركز

المناظرة حول مسألة ما إذا كان الفيتناميون مذنبين بتهمة العدوان على ثيتنام، فلن يكون هناك مجال لبحث ما إذا كان العدوان الأمريكي على ثبتنام الجنوبية هو ما كان عليه بالفعل بشكل واضح وباعتبارى واحدا ممن شاركوا في هذه المناظرة، بوعى كامل مما كان يحدث، فلا يمكنني إلا أن أقر باعترافى بأن معارضي عنف الدولة كانوا محاصرين وواقعين في شراك نظام دعائى ذى فاعلية رهيبة .فقد كان من الضروري بالنسبة لنقاد الحرب الأمريكية في فيتنام أن يكونوا خبراء في تعقيدات شئون الهند - الصينية؛ وهو أمر ليست له علاقة كبيرة بالموضوع، حيث إن القضية التي كان يجرى تجنبها باستمرار في الشئون الأمريكية -تماما كما أنه ليس من الضروري أن يكون المرء متخصصا في الشئون الأفغانية لكي يعارض الغزو السونيتي لأفغانستان وطوال الوقت، كان من الضروري دخول المناظرة بالشروط التي وضعتها الدولة وآراء النخبة التي تخدمها في ولاء، بغض النظر عن أن يدرك المرء أنه بقيامه بذلك يكون قد قدم إسهاما في نظام التوجيه المذهبي والفكري والبديل هو أن يقول المرء الحقيقة، وهو الأمر الذي يعادل تماما الحديث بلغة غير مفهومة .

ونفس الشيء ينطبق على المناظرة الراهنة التي تدور حول أمريكا الوسطى فالحرب الإرهابية التي تشنها الولايات المتحدة في السلفادور ليست موضوعا يبحثه الأشخاص المحترمون، فهي غير موجودة أما الجهود الأمريكية المبذولة لاحتواء نيكاراجوا، فهي أمر مسموح بمناقشته، ولكن داخل حدود ضيقة فمن الجائز أن نتساءل عما إذا كان يتعين علينا استخدام القوة لاستئصال السرطان ومنع رجال الساندينستا من تصدير ثورتهم بلا حدودوهي تركيبة وهمية قدمها نظام الدعاية والمعروف أنها من اختلاقات الصحفيين وغيرهم من المعلقين الذين يرددون أقوال الحكومة كالببغاوات ولكن لا يجوز لنا أن نبحث حقيقة أن هذا بر السرطان الذي يجب استئصاله

إنما هو خطر القدوة التي يمكن أن تنتشر عدواها داخل المنطقة وخارجها لذلك فإنه خلال الأشهر الثلاثة الأولى من عام 1986، عندما احتدمت المناظرة حول الاقتراع الوشيك في الكونجرس بشأن منع معونات للجيش الذي ينوب عن الولايات المتحدة كما يصفه في السر أشد مؤيديه حماسة والذي يهاجم نيكاراجوا من قواعده في هوندوراس وكوستاريكا، نشرت الصحف القومية النيويورك تايمز والواشنطن بوست مالايقل عن ٨٥ مقالا للرأي كتبها كتاب أعمدة وكتاب مدعوون من الخارج حول السياسة الأمريكية تجاه نيكاراجوا وهاجمت المقالات جميعها حكومة الساندينستا حيث تراوح هذا الهجوم مابين الهجوم العنيف الأغلبية العظمى والهجوم المعتدل وهذا هو مايسمى المناقشة العامة في الولايات المتحدة أما الحقيقة الدامغة، والمتمثلة في أن حكومة الساندينستا قد قامت بإصلاحات اجتماعية ناجحة، بل ورائعة حقا، خلال السنوات الأولى قبل أن تقوض الحرب الأمريكية هذه الإنجازات فإنها حقيقة لم يكد يرد لها ذكر؛ فمن بين المقالات الخمس والثمانين التي كتبت في هذا الموضوع، لم يكن هناك أكثر من عبارتين فقط أشارتا إلى حقيقة وجود مثل هذه الإصلاحات وبطبيعة الحال، لم يرد أي ذكر على الإطلاق للحقيقة التي لاتكاد أن تكون سرا كبيرا - والمتمثلة في أن ذلك كان هو السبب الأساسي في الهجمات الأمريكية، بل وما كان يمكن التفكير حقا في هذه الحقيقة .

أما المدافعون المزعومون من حكومة الساندينستا، فقد تعرضوا للاستنكار العنيف دون ذكر أسمائهم، لضمان عدم إتاحة أي فرصة لهم للرد، وهو ما كان احتمالا ضئيلا للغاية على أية حال غير أنه لم يسمح لأي من هؤلاء المجرمين بالتعبير عن وجهة نظره ولايمكن بالكاد أن نتخيل أن تسمع الصحافة القومية بنشر النتائج التي توصلت إليها وكالة التنمية الخيرية

أوكسفام عن أنه، من بين ٧٩ دولة نامية عملت بها الوكالة، كانت نيكاراجوا حالة خاصة من حيث التزام القيادة السياسية بتحسين أحوال أفراد شعبها وتشجيع مشاركتهم النشطة في عملية التنمية، وأنه من بين الدول الأربع من دول أمريكا الوسطى التي مارست فيها أوكسفام نشاطها، فإن نيكاراجوا كانت هي الدولة الوحيدة التي بذلت فيها جهود ملموسة لمعالجة التفاوت في ملكية الأرض، والتوسع في خدمات الصحة والتعليم والزراعة .

المقدمة لعائلات فقراء الفلاحين وذلك على الرغم من أن الحرب التي يشنها متمردو الكونترا قد وضعت نهاية لهذه التهديدات، وتسببت في أن تحول أوكسفام جهودها من مشروعات التنمية إلى مشروعات إغاثة ضحايا الحرب كما أنه من غير المتصور أن تسمع الصحافة القومية بمناقشة حقيقة أن الجهود الأمريكية المخصصة لاستئصال هذا السرطان تقع بشكل كامل داخل إطار مهمتها التاريخية؛ تماما كما يتعين على الأكاديميين المحترمين أن يدعوا عدم إدراكهم لمثل هذه الحقائق غير المقبولة فمن الممكن أن تستمر هذه المناظرة في بحث الوسائل الملائمة لمحاربة هذا الموقع المتقدم الخبيث لامبراطورية الشر ولكنها لايمكن أن تتخطى هذه الحدود المسموح بها في الساحة القومية .

ومثلما كان الأمر في حالة الهند الصينية نجد هنا في المجال المسموح به للتعبير عن الرأى ذلك النجاح الملحوظ في عملية غسيل المغ في ظل الحرية ؛ كما يجب على أي إنسان نزيه أن يدرك بسهولة، فإننا نجد في ذلك انعكاسا لعقلية شمولية في ظل ظروف تكون فيها موارد عنف الدولة غير كافية لأن تتيح لها ضمان الطاعة الكاملة .

ففي الأنظمة الدكتاتورية أو الديمقراطيات التي يحكمها العسكريون يكون الخط الرسمي واضحا بشكل سافر وجلي، إما عن طريق أن تعلنه وزارة الحقيقة على حد تعبير أورويل أو أن يتم إظهاره بأي وسيلة أخرى ولابد من

أن يطاع بشكل علني، وعقاب الخروج عن هذه الطاعة يتراوح بين السجن والنفي في ظل ظروف صعبة، كما هو الحال في الاتحاد السوشيتى ودول أوروبا الشرقية التي تدور في فلكه، وبين التعذيب البشع والاغتصاب والتشويه والقتل الجماعي، كما يحدث في الدول التابعة للولايات المتحدة مثل السلفادور أما في المجتمع الحر، فإن هذه الأساليب ليست متاحة ؛ فتستخدم وسائل أكثر تطورا ودقة لضمان التحكم في الأفكار فلا يكون الخط الرسمي معلنا، بل مفترضا بشكل مسبق وأولئك الذين يرفضون هذا الخط لايسجنون ولا يلقي بجثثهم في الخنادق بعد تعذيبهم وتشويههم، ولكن تتم حماية الشعب من هرطقتهم .

وداخل التيار الرئيسى لايكاد يكون من الممكن حتى فهم الكلمات التي يقولونها في المناسبات النادرة التي يمكن أن يتردد فيها مثل هذا الحوار الغريب ففي القرون الوسطى، عندما كانت معايير الأمانة والنزاهة الفكرية أرقى بكثير، كان يعد من الضروري أن تؤخذ هذه الهرطقة مأخذ الجد لفهمها ومحاربتها بالحجم العقلاني أما اليوم، فيكفي مجرد الإشارة إليها بأطراف الأصابع. فقد أعدت ترسانة كاملة من المفاهيم – مثل التكافؤ الأخلاقي والماركسية والراديكالية تعريف هذه الهرطقة، وبالتالى استبعادها دون أي مناقشة أو تعليق بل لقد أصبحت هذه المذاهب الخطرة بمثابة معتقدات تقليدية جديدة ، ينبغي محاربتها أو بشكل أكثر دقة، تحديدها واستبعادها ، حيث لا يجوز إخضاعها للاشتباك الفكري الجاد

من جانب الأقلية المحصنة التي تسيطر على التعبير العام بشكل يقترب من الشمول - رغم أنهم لسوء الحظ لايرونها كذلك ولكن بالنسبة للقطاع الأعظم فإن هذه الهرطقة يجرى تجاهلها ببساطة؛ في حين تدور المناظرات حول القضايا الضيقة والهامشية بشكل عام، بين أولئك الذين يقبلون بمذاهب الإيمان دون تفكير أو إدراك .

والشئ نفسه ينطبق بدرجة كبيرة جدا، عندما نتحول للحديث عن موضوعنا الراهن، وهو الشرق الأوسط فيمكننا أن نناقش ما إذا كان يجب السماح للفلسطينيين بالاشتراك في عملية السلام ، ولكن ليس من المسموح لنا أن ندرك أن الولايات المتحدة وإسرائيل تقودان معسكر الرفض، وأنهما كانتا تقفان دائما ضد أي عملية سلام حقيقية؛ وغالبا ما كان ذلك يتم باستخدام قدر كبير من العنف أما فيما يتعلق بالإرهاب، فقد أوضح شاول بكاش أستاذ التاريخ بجامعة جورج ماسون، الحدود المسموح بها للمناقشة عندما قال إننا يجب أن نحجم عن التبسيط المخل، الذي يتجنب أي محاولة لبحث الجذور الاجتماعية والأيديولوجية لتطرف الشرق الأوسط والاسلام الراهن، والذي يثير مشكلات معقدة، وإن كانت حقيقية، إذ يجب علينا أن نسعى لفهم الأسباب التي تدفع الإرهابيين لانتهاج أساليبهم الشريرة وهكذا تتحدد بوضوح حدود المناظرة حول موضوع الإرهاب؛ فمن ناحية نجد أولئك الذين يعتبرونه مجرد مؤامرة تدبرها امبراطورية الشر، وأعوانها، ومن ناحية أخرى نجد من يفكرون بشكل أكثر توازنا وذكاء والذين يتجنبون التبسيط المخل ويسعون لفهم الجذور المحلية للإرهاب العربي والإسلامي أما فكرة أن تكون هناك مصادر أخرى للإرهاب في الشرق الأوسط - أي أن يكون للامبراطور وعملائه يد في هذه المأساة - نهى فكرة مستبعدة بشكل مسبق؛ فكرة ليست موضع نفي ولكنها لاترد علي الخاطر أصلا، وهو ما يدل على النجاح الحقيقي للنظام المذهبي الذي يتخطى بدرجة كبيرة إنجازات الدول الشمولية فيما يتعلق بحماية الشعب من الأفكار غير الملائمة .

ونلاحظ في كل ذلك أن إسهامات المعتدلين، أو الحمائم الليبراليين، هي التي تضمن الأداء الجيد لنظام التوجيه المذهبي عن طريق التعيين الصارم لحدود الأفكار المسموح بها .

وقد كتب هنرى دافيد ثورو في مذكراته، وهو الذي كان قد كتب في موضع آخر إنه لا يضيع وقته في قراءة الصحف ، كتب يقول :ليس هناك ما يدعو لوجود قانون لكبح جماح الصحافة فهي تكبح جماح نفسها بشكل كاف، بل وأكثر من كاف فإننا نجد فعليا أن المجتمع قد توحد، ووافق على مايجب قوله، ووافق على برنامج، ووافق على نبذ من يخالف ذلك؛ وليس هناك واحد في الألف يجرؤ على القول بغير ذلك .

ويرى جون دولان أن هذه العبارة ليست دقيقة بما يكفي، حيث يقول: «ليس الأمر أن الناس يفتقرون إلى الشجاعة للتعبير عن أفكارهم خارج الإطار المسموح به؛ بل إنهم يفتقرون بالأحرى إلى القدرة على التفكير في مثل هذه الأفكار وهذا هو لب الموضوع، الدافع المحرك لمهندسي الموافقة الديمقراطية .

وطالب وولتر رايش الذي يعمل بمركز وودرو ويلسون الدولي في صحيفة نيويورك تايمز، في إشارة إلى عملية اختطاف السفينة أكيلى لاورو، طالب بتطبيق أحكام العدالة الصارمة على الأشخاص الذين ارتكبوا عمليات قتل إرهابية، بما في ذلك العناصر المنفذة والمخططة لهذه الأعمال على حد السواء: فإن إصدار عقوبات مخففة على أساس أن الإرهابي يكون مقتنعا بأنه مضطهد ومظلوم ويدافع عن الحرية يكون بمثابة تقويض للأساس الذي تقوم عليه العدالة، بقبول منطق الإرهابيين الذي يفيد بأن مفاهيمهم للعدالة والحقوق ومعاناتهم في الصحيحة فالفلسطينيون - وأي جماعة أخرى تستخدم الأرهاب لرد الظلم الواقع عليها - إنما يتعين عليهم أن يتخلوا عن الإرهاب، ويبحثوا عن وسائل أخرى، يكون من بينها حتما قبول حلول وسط، لتحقيق أهدافهم. وعلى الديمقراطيات الغربية أن ترفض الحجة القائلة بأن أي عذر - حتى ذلك العذر الذي ينطوي على خلفية من الحرمان يكون من شأنه أن يخفف، من مسئولية الإرهاب ضد الأبرياء إنها كلمات نبيلة

حقا، بل ويمكن أن تؤخذ مأخذ الجد إذا ما طبق المرء هذه التوصية باتخاذ إجراءات عقابية صارمة على نفسه أيضا، أي على الامبراطور وعملائه؛ أما إذا لم يحدث ذلك، فإن هذا النقد الفاسي تكون له الصفات نفسها التي تميز العبارات النبيلة التي يرددها مجلس السلام العالمي والمنظمات الأخرى التي هي واجهة للشيوعية فيما يتعلق بالأعمال الوحشية التي ترتكبها المقاومة الأفغانية ويوضح مارك ميلر نائب مدير مركز جان للدراسات الاستراتيجية بجامعة تل أبيب أن الإرهاب الذي ترعاه الدولة هو حرب وإن كانت منخفضة التكثيف، ولذلك يكون من حق ضحاياها ، ومن بينهم الولايات المتحدة، أن يحاربوه بكل السبل المتاحة ويستتبع ذلك عندئذ أن يصبح من حق الضحايا الآخرين وللحرب المنخفضة التكثيف والإرهاب الذي ترعاه الدولة أن يحاربوه بكل السبل المتاحة لديهم؛ مثل سكان السلفادور ونيكارجوا وفلسطين ولبنان وعدد لا يحصى من ضحايا الامبراطور وعملائه في كثير من أجزاء العالم غير أنه لن يكون بمقدور أي من رايش أو هيلر أو معظم قرائهما أن يفهموا هذه النتائج، كما لن يكون من الممكن التعبير عنها في صحيفة نيويورك تايمز وفي الواقع، فإن من يستطيع استنباط النتائج المنطقية من أقوال رايش وهيلر وعرضها بشكل واضح قد يتعرض للمحاكمة بتهمة التحريض على ارتكاب أعمال العنف الإرهابي ضد الزعماء السياسيين للولايات المتحدة وحلفائها .

إن أكثر الأصوات تشككا في الولايات المتحدة توافق على أن التأييد الصريح الذي يقدمه العقيد القذافي للإرهاب إنما هو شر سافر وأنه ليس هناك مايدعو لترك القتلة بدون عقاب إذا كنا نعرف محرضيهم ولا يمكن أن يتمثل العامل الحاسم في القول بأن الانتقام سوف بودى بأرواح بعض المدنيين الأبرياء، وإلا فإن الدول الإجرامية لن تخشى العقاب إن هذا

المبدأ يعطي الحق لأعداد كبيرة من الناس في اغتيال الرئيس ريجان وقصف واشنطن، حتى وان كان هذا الانتقام سوف يودي بأرواح بعض المدنيين الأبرياء إن من المرجح ألا يفهم هذه الحقائق البسيطة سوى قلة قليلة من الأمريكيين المستنيرينا ويكاد يكون في حكم المستحيل أن يتم التعبير عن هذه الحقائق داخل النظام المذهبي وطالما ظل هذا الأمر صحيحا - في القضايا التي ذكرناها والعديد غيرها - فإننا نضلل أنفسنا إذا صدقنا أننا نشارك في نظام سياسى ديمقراطي، اللهم إلا إذا كان ذلك بالمعنى الذي استخدمه أورويل عن الحوار الثقانى وتحتدم المناقشة في الأوساط الإعلامية حول ما إذا كان من اللائق السماح للقراصنة واللصوص بالتعبير عن مطالبهم وتصوراتهم، فعلى سبيل المثال، تعرضت شبكة تلفزيون إن.بى.سى لانتقادات عنيفة لإجرائها حديثا مع المتهم بالتخطيط لعملية اختطاف السفينة أكيلي لاورو، وبالتالي فإنها تكون قد خدمت مصالح الإرهابيين عن طريق السماح لهم بالتعبير الحر دون الرد عليهم، وهو ما يعد خروجا مؤسفا عن النظام المطلوب في المجتمع الحر الذي يعمل بشكل منضبط .

فهل تسمع وسائل الإعلام لرونالد ريجان وجورج شولتز ومناحيم بيجين وشيمون بيريز

وغيرهم من أبواق الأمبراطور وحاشيته بالحديث بدون رد، وهم يؤيدون الحرب ذات التكثيف المنخفض والانتقام و الضربات الوقائية؟ هل تكون وسائل الإعلام بذلك قد سمحت القادة الإرهاب، بالتعبير الحر، وتكون بذلك عميلة للإرهاب بالجملة؟ هذا السؤال لايمكن أن يطرح، وإذا أثير فسوف يتم تجاهله مع الإعراب عن السخط أو الارتياع ونركز في الفصول التالية على توضيح أن ردود الفعل هذه إنما تعكس نجاح نظام التوجيه المذهبي، ولاتعكس نهما للعالم الحقيقي .

إن الرقابة الحرفية لاتكاد توجه في الولايات المتحدة، ومع ذلك فإن صناعة التحكم في الأفكار صناعة مزدهرة جدا ، بل أنها صناعة لاغني عنها حقا في مجتمع يعتمد على مبدأ القرار للنخبة والإقرار أو السلبية للعامة .

الصهيوني القديم حول نقل السكان الأصليين كحل للمشكلة، والتنويعات الحالية لهذا المفهوم مثل الحاخام العنصري كاهانا، أو الاشتراكي الديمقراطي الأمريكى مايكل فالزر، الذي يقترح ومساعدة أولئك الذين يحتلون مكانا هامشيا بالنسبة للأمة - أي المواطنين العرب في إسرائيل - على الرحيل وهذه العبارة : يحتلون مكانا هامشيا بالنسبة للأمة، تزيح الستار عن التناقض الجوهري بين المبدأ الديمقراطي النموذجي وبين التيار الرئيسي للصهيونية والصورة التي ينحتي بها في إسرائيل انظر ونحو حرب باردة جديدة والمثلث المشئوم، للاطلاع على مناقشة لهذا الموضوع، الذي لا يكاد يمكن مناقشته في الولايات المتحدة .

ومن بين كل هذه الأحداث كان حادث إطلاق صاروخ على شمالى إسرائيل هو الوحيد الذي حظى بتغطية تلفزيونية كبيرة وهياج عام ضد دويلات وشرور الإرهاب، وإن كانت هذه المرجة قد خنثت بعض الشيء بسبب حالة الهيستيريا التي نظمت في ذلك الوقت حول غزو نيكارجوا لهندوراس، عندما مارس جيش نيكاراجوا حقه الشرعي في طرد العصابات الإرهابية من أراضيه ومطاردتها، وهي العصابات التي أرسلها مديروها في الولايات المتحدة لإظهار قوتهم فتبيل اقتراع مجلس الشيوخ على تقديم معونة لتمردي الكونترا؛ ويذكر هنا أن القضية الجادة الوحيدة التي كان يدور حولها الجدل في دولة الإرهاب كلنت تتمثل نيما إذا كان الجيش العبل قادرا على تحقيق المهمة المكلف بها من قبل سادته .

لم تكن إسرائيل بالطبع تمارس حقا شرعيا في المطاردة الساخنة بتمنها للمدن ومخيمات جنين، ولم تكن أعمال الإرهاب بالجملة والعدوان السافر

الذي تمارسه في لبنان لتقع أبدا ضمن هذا المفهوم غير أن إسرائيل كدولة عميلة ترث عن الامبراطور حق الإرهاب والتعذيب والعدوان أما نيكارجوا، وباعتبارها عدوا ، فإنها تفتقر بوضوح للحق في الدفاع عن أراضيها ضد الإرهاب الدولي الأمريكي، على الرغم من أنه يمكن للمرء القول بأن الأعمال الأمريكية هناك قد وصلت إلى مستوى العدوان وهو من جرائم الحرب التي شنق أناس بسببها في نورمبرج وطوكيو ونتيجة لذلك، يصبح من الطبيعي أن يجري تجاهل الأعمال الإسرائيلية باعتبارها وانتقاما مشروعا ، في حين يشجب الكونجرس عبر المنظور الضيق والماركسيين اللينينيين في نيكاراجوا لإظهارهم التجدد للتهديد الذي يشكلونه على السلام والاستقرار في المنطقة .

كذلك فإن الغزو الإسرائيلي للبنان في يونير ١٩٨٢ يقدم دائما بشكل مخفف ليكون أكثر ملامة ريكشب شبمون بيريز أن عملية سلام الجليل، تمت من أجل ضمان عدم تعرض الجليل بعد ذلك للقصف بصواريخ كاتيوشا. ويوضح أريك برينذل أن الهدف الرئيسي للغزو

الفصل الثاني: إرهاب الشرق الأوسط
والنظام الأيديولوجي الأمريكى

ميرا نام شاشا في السابع عشر من أكتوبر عام ١٩٨٠ اجتمع الرئيس ريجان في واشنطون مع رئيس الوزراء الإسرائيلي شيمون بيريز الذي أبلة أن إسرائيل تستعد للقيام بخطوات جريئة في الشرق الأوسط وأنها ستمد يد السلام» إلى الأردن .وعلق دائيد شيبار في النيويورك تايمز قائلا ان زيا و بيريز جاءت في وقت وصلت فيه العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية إلى درجة غير عادية من انجام ، وذلك نت من مسئول في وزارة الخارجية الأمريكية وصف العلاقات الأمريكية مع اسرائيل بأنها، قوية ووطيدة - على نحو غير عادى وفي الواقع، نجد أن وسائل الإعلام الأمريكية قد استقبلت بيريز استقبالا حارا باعتباره رجل سلام، وأشادت به لألتزامه الصريح بتحمل تبعات السلام بدلا من تكلفة الحرب، على حد تعبيره وقال الرئيس ريجان أنه قد بحث مع بيريز ربلاء الإرهاب الذي أودى بحياة العديد من الضحايا الإسرائيليين والأمريكيين والعرب، وجلب الماسي على العديد من الآخرين ؛ وأضاف قائلا لقد أتفقنا على أن الكتاب يجب ألا يعوق جهودات المبذولة من أجل السلام في الشرق الأوسط .

إن الأمر ليتطلب موهبة أشبه بموهبة الروائي المحلي ايم جوناثان سويفت لكى نقدر حق القدر هذا الحديث بين اثنين من أبرز وا لإرهاب في العالم، يشتركان في الاقتناع بمفهوم واحد للسلام يستبعد بشكل كامل احدى الجماعتين المالية بحقهما في تقرير المصير القومي على أرض فلسطين السابقة؛ وهي جاد السكان الأصليين .إن وادي الأردن هو جزء لايتجزأ من دولة إسرائيل هذا ما صرح به شيمون بيريز، رجل السلام، خلال جولة قام بها في المستوطنات الإسرائيلية هناك وهو مايتمشى مع موقفه الثابت

القائل بأن الماضي غير قابل للتغيير، وأن التوراة هي الونية الاصلة في تحديد مصير أرضنا؛ وأن إقامة دولة فلسطينية سوف يهدد مجرد وجود إسرائيل نفسه اين تصوره للدورة اليهودية الذي يمتدح كثيرا في الولايات المتحدة بسبب اعتدال يهدد وجود الشعب الفلسطيني فحسب، بل وينهيه تماما غير أن هذه النتيجة لابد ذات أهمية كبيرة، أو تقدير تعد مجرد عيب صغير في عالم لا يخلو من العيوب والأخطاه إن موقف بيريز أو أي زعيم إسرائيلي آخر لايتغير قيد أنملة عن موقف الرئيس الحالي حاييم هيرتزوج، عندما قال في عام ١٩٧٢ أن الفلسطينيين امكن أن يشاركونا بأي شكل من الأشكال في الأرض المقدسة التي كانت لشعبنا منذ آلاف السنين - وإن كان الحمائم يفضلون استبعاد المناطق ذات الكثافة العربية من الضفة الغربية من الدولة اليهودية ليتجنبوا ما يطلقون عليه تأدبا المشكلة الديموجرافية أو السكانية ويلاحظ شلومو جازيت رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق، والذي كان من كبار مسئولى الإدارة العسكرية من عام ١٩٩٧ حتى عام ١٩٧٣، يلاحظ أن المبدأ الأساسي إنما يتمثل في أنه من الضروري منع سكان الأراضي المحتلة من المشاركة في تشكيل المستقبل السياسي للأراضي، وأنه يجب ألا يعدوا شركاء في التعامل مع إسرائيل؛ ومن هنا كان الخطر المطلق لأية منظمة سياسية، لأن الجميع يدركون بوضوح أنه إذا تم السماح بنشاط سياسي وإقامة منظمات سياسية، فإن زعماء هذه المنظمات يمكن أن يصبحوا قوة مشاركة في الشئون السياسية وتتطلب نفس هذه الاعتبارات القضاء على جميع المبادرات والجهود التي يبذلها سكان الأراضي لتكون بمثابة الطريق المؤدى للمفاوضات، والقناة التي تصلهم بالقيادة العربية الفلسطينية خارج الأراضي ويستخلص جازيت أن السياسة الإسرائيلية كانت ناجحة للغاية، لأن هذه الأهداف التي مازالت قائمة حتى يومنا هذا قد تحققت ومازال موقف إسرائيل، الذي يتمتع بالتأييد الأمريكى،

هو موقف رئيس الوزراء السابق ووزير الدفاع الحالي اسحاق رابين عندما تقدمت منظمة التحرير الفلسطينية والدول العربية إلى الأمم المتحدة في يناير عام ١٩٧٩ باقتراح بتسوية سلمية على أساس قيام دولتين؛ وكان هذا الموقف : أن إسرائيل سترفض أي مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية، حتى ولو اعترفت بإسرائيل ونبذت الإرهاب، وأنها لن تدخل في مفاوضات سياسية مع الفلسطينيين، سواء كانوا أعضاء في المنظمة أو غير أعضاء فيها أن أيا من بيريز أو ريجان لم يكن مستعدا حتى للنظر في المقترحات الواضحة التي تقدمت بها منظمة التحرير الفلسطينية - والتي يعرف كلاهما أنها تحظى بتأييد ساحق بين الفلسطينيين وأن لها الشرعية نفسها التي كانت للمنظمة الصهيونية في عام ١٩٥٧ - وهي المقترحات الخاصة بإجراء مفاوضات تؤدي إلى اعتراف متبادل ضمن تسوية على أساس قيام دولتين وفقا للإجماع الدولي العريض الذي ظلت الولايات المتحدة وإسرائيل تعترضان سبيله في كل منعطف على مدى أعوام عديدة إن هذه الحقائق السياسية الحاسمة توفر الإطار الضروري لأي بحث في شرور وبلاء الإرهاب، وهي عبارة عنصرية من العبارات المستخدمة في الخطاب السياسي الأمريكي، والتي تشير إلى الأعمال الإرهابية التي يقوم بها العرب لا اليهود ، تماما كما أن كلمة سلام تعني التسوية التي تحترم حق تقرير المصير القومي لليهود وليس للفلسطينيين وقد وصل بيريز إلى واشنطون ليتباحث في أمور السلام والإرهاب مع شريكه في الجريمة ، مباشرة بعد أن أرسل قاذفاته للهجوم على تونس، حيث لقي عشرون تونسيا وخمسة وخمسون فلسطينيا مصرعهم وفقا لما ذكره الصحفي الإسرائيلي أمنون كابليوك من موقع الأحداث نهدف الهجوم لم يكن يتمتع بحماية، بل كان مجرد منتجع لقضاء العطلات به بضع عشرات من المنازل والأكواخ المخصصة لقضاء العطلات ومكاتب منظمات التحرير الفلسطينية، وكلها

مختلطة ببعضها البعض بشكل يجعل من الصعب التفريق بينها ، حتى من مسافة قريبة وكانت الأسلحة المستخدمة أكثر تقدما من تلك التي استخدمت في بيروت؛ قنابل دقيقة متطورة ، فيما يبدو تطحن أهدافها وتحولها إلى تراب لقد تمزقت أجساد الأشخاص الذين كانوا موجودين في المباني التي تعرضت للقصف، لتصبح أشلاء لايمكن التعرف عليها لقد أطلعوني على مجموعة من صور القتلى وقالوا لي يمكن أن تحتفظ بها ولكني تركت الصور في المكتب؛ فما من صحيفة في العالم يمكنها أن تنشر صورا مرعبة إلى هذا الحد سمعت أن صبيا تونسيا كان يبيع الشطائر بالقرب من المقر قد تمزق إلى أشلاء. وتعرف والد الصبي على ابنه عن طريق أثر جرح قديم على كاهله. وقال لى المرافق، لقد تم اخراج بعض الجرحى من تحت الأنقاض، وكان يبدو أنهم في حالة طيبة ولكن بعد نصف ساعة فقط سقطوا وهم يتلوون من الألم ثم أسلموا الروح ويبدو أن أجهزة أجسامهم الداخلية قد أصابها الدمار من جراء قوة الانفجار .

وكانت تونس قد قبلت وجود الفلسطينيين بناء على توجيه من ريجان، بعد أن طردوا من بيروت إثر الغزو الذي دعمته الولايات المتحدة والذي أودى بحياة عشرين ألف شخص وأدى إلى تدمير أجزاء كبيرة من البلاد وقال أحد القادة البارزين في وزارة الدفاع الأمريكية، وهو جنرال على معرفة واسعة بالجيش الإسرائيلي والعديد من الجيوش الأخرى بالمنطقة، قال لزيف شيف المراسل العسكري الإسرائيلي إنكم قد استخدمتم مطرقة لقتل ذبابة وأضاف الجنرال يقول لقد ضربتم العديد من المدنيين بدون حاجة إلى ذلك ولقد أذهلتنا طريقة تعاملكم مع المدنيين اللبنانيين وهو شعور كان يخالج كثيرا من الجنود الإسرائيليين وكبار الضباط الذين روعتهم همجية الهجوم والمعاملة الوحشية للمدنيين والمسجونين وذلك رغم أن التأييد في إسرائيل للعدوان ولفريق بيجين - شارون كان يتزايد بشكل متواز مع الأعمال

الوحشية بحيث وصل هذا التأييد إلى ذروته بعد القصف المروع لبيروت في شهر أغسطس أما شيمون بيريز، رجل السلام والشخصية التي تتمتع بالاحترام في الدولية الاشتراكية، فقد التزم الصمت، حتى بدأت التبعات التي تتكبدها إسرائيل تتصاعد مع مذبحة صابرا وشاتيلا بعد الحرب، ومع سقوط العديد من القتلى على يد المقاومة اللبنانية، وهو ما قرض خطة إسرائيل لإقامة نظام جديد في لبنان تسيطر من خلاله إسرائيل على أجزاء كبيرة من الجنوب، بينما يحكم حلفاء إسرائيل من حزب الكتائب ونخبة مختارة من المسلمين الأجزاء الباقية من البلاد .

ويعلق كابليوك بأنه ليس ثمة شك في أن عرفات كان المستهدف بعملية الهجوم على تونس فقد كان في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية الذي اصطحبوا كابليوك لمشاهدته صورة لعرفات تقف وسط الأنقاض كتب تحتها شعار يقول، أرادوا قتلى بدلا من التفاوض مسى .

وقيل لكابليوك إن منظمة التحرير الفلسطينية ترغب في التفاوض، ولكن إسرائيل ترفض أية مناقشة - وهو اقرار بسيط للحقيقة نجحت الأوساط الإعلامية الأمريكية في إخفائه، أو في استبعاده باعتباره لاعلاقة له بالموضوع، في ضوء الفرضيات العنصرية التي توجه هذه الأوساط .

وكذلك ليس ثمة شك حقيقي في تواطؤ الولايات المتحدة في الهجوم على تونس فالولايات المتحدة لم تقم حتى بتحذير الضحايا - رغم أنهم من حلفائها المقربين - من أن القتلة كانوا في الطريق إليهم إن من يصدق الزعم الأمريكي بأن الأسطول السادس ونظام المراقبة الأمريكي الشامل في المنطقة كانا غير قادرين على رصد الطائرات الإسرائيلية التي تزودت بالوقود أثناء عبورها فوق البحر المتوسط، إنما يكون الأحرى به أن يطالب الكونجرس بالتحقيق في ذلك العجز الكامل للقوة العسكرية الأمريكية، الأمر الذي يجعلنا وحلفاءنا عرضة بالتأكيد لهجمات العدو وقد ذكرت صحيفة

لوس انجلوس تايمز، نقلا عن وكالات الأنباء، أن الأنباء الصحفية تنقل الآن عن مصادر حكومية قولها أن الأسطول السادس الأمريكي كان يعلم بلاشك بالغارة الوشيكة، غير أنه قرر عدم إبلاغ المسئولين التونسيين ويعلق جودفرى جانسن مراسل مجلة الايكونوميست اللندنية في الشرق الأوسط بأن هذا التصريح الذي يحمل دلالة كبيرة لم ينشر في أي من النيويورك تايمز أو الواشنطن بوست وهما أكبر صحيفتين تصدران في الساحل الشرقي للولايات المتحدة، ولا في غيرها من الصحف الأمريكية، كما لم يذع في النشرات الخارجية لوكالات مثل الأسوشيتد برس واليونيتد برس انترناشيونال وأضاف مراسل الايكونوميست أن التواطؤ الأمريكى السلبي أمر مؤكد بشكل مطلق وكان من بين ضحايا قصف تونس محمد المغربي الذي ولد في القدس في عام 1960، واعتقل اثنتي عشرة مرة حتى بلوغه سن السادسة عشرة، وكان أحد الذين قدموا المعلومات للتحقيق الذي أجرته صحيفة الصنداي تايمز اللندنية حول عمليات التعذيب في إسرائيل في 19 يونيو ١٩٧٧، والذي تمكن من الهرب إلى الأردن بعد سنوات من الحياة الهامشية بشكل متزايد في ظل أوضاع الاحتلال العسكري التي تزداد سوءا وذلك وفقا لما جاء في مذكرة أعدها أصدقائه اليهود الإسرائيليون، ومنعت الرقابة العسكرية الإسرائيلية نشرها في الصحف العربية التي تصدر في القدس الشرقية إن هذه الحقائق تعد بالتأكيد غير ذات معنى في الولايات المتحدة، ربما فقط لأن الدراسة التي أعدتها صحيفة صنداي تايمز قد استبعدت إلى حد كبير من الصحافة الأمريكية، على الرغم من ورود إشارة عنها في مجلة نيوريبابليك الليبرالية مرفقة بدفاع صريح عن تعذيب العرب، وهو أمر لم يثر أي رد فعل لدى الرأي العام وقد رحبت الولايات المتحدة رسميا بالقصف الإسرائيلي لتونس باعتباره ردا مشروعا على الهجمات الإرهابية وذكرت الصحف أن وزير الخارجية الأمريكى شولتز قد أكد ذلك

خلال اتصال هاتفي أطلع فيه اسحاق شامير وزير الخارجية الإسرائيلي على أن الرئيس وغيره يتعاطفون إلى حد كبير مع العمل الإسرائيليغير أن الولايات المتحدة تراجعت عن هذا التأييد الصريح بعد رد الفعل الدولي العدائي تجاه هذه الغارة، ولكنها أحجمت عن الاشتراك في إدانة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لهذا العمل العدواني المسلح الذي يعد انتهاكا صارخا لميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي ومعايير السلوك الدولي - وقد اتخذت هذا الموقف منفردة كالمعتاد وينعكس المناخ الثقافي والفكري في الولايات المتحدة في أن هذا الإحجام قد أدين بعنف باعتباره مثالا أخر على تبنى موقف موال لمنظمة التحرير الفلسطينية، ومعاد لإسرائيل وباعتباره أيضا رفضا للتصدي بعنف لإرهابيين تم انتقاؤهم بعناية .

ويمكن أن يجادل المرء بأن القصف الإسرائيلي لا يندرج تحت اسم الإرهاب الدولي، لأنه مثال على نوع من الجرائم العدوانية الأكثر خطورة بكثير، وهو الموقف الذي تبناه مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة أو قد يرى البعض أنه ليس من العدل أن نطبق على إسرائيل تعريف الإرهاب الدولي، الذي ابتدعه آخرون وللرد على هذا الانتقاد الأخير يمكننا أن نبحث في مذهبها نفسه كما صاغه السفير بنجامين نتانياهو في مؤتمر دولي حول الإرهاب فقد أوضع أن العامل المميز للأرهاب هو القتل والتشويه المتعمد والمنظم اللمدنيين والذي يستهدف إشاعة الرعب ومن الواضح أن هذا المفهوم ينطبق على تونس وعلى الفظائع الأخرى التي ارتكبتها إسرائيل على مدى أعوام على الرغم من أنه لا ينطبق على معظم أعمال الإرهاب الدولي، ومن بينها معظم الهجمات الإرهابية العنيفة الموجهة ضد إسرائيل مثل معالوت ومذبحة ميونيخ وهجوم الطريق الساحلي الذي وقع عام ١٩٧٨ واستغل كذريعة لغزو لبنان، أو حتى عمليات اختطاف الطائرات واحتجاز

الرهائن التي كانت بشكل عام في الموضوع الرئيسي الذي يجري بحثه في المؤتمر الذي حضره هذا السفير الإسرائيلي .

وقد زعم أن الهجوم على مقر منظمة التحرير الفلسطينية التي يرأسها ياسر عرفات كان ردا انتقاميا على عملية قتل راح ضحيتها ثلاثة إسرائيليين في لارناكا بقبرص قام بها عدد من المهاجمين تم القاء القبض عليهم لمحاكمتهم ويشك الخبراء الدبلوماسيون الغربيون في شئون منظمة التحرير الفلسطينية في أن عرفات كان على علم بهذه المهمة، كما أن الإسرائيليين كذلك قد تخلوا عن زعمهم الأصلي بأن عرفات متورط في هذه العملية غير أن المدافعين عن الإرهاب الإسرائيلي هنا، الذين يؤكدون أن الغارة الإسرائيلية على تونس كانت تستهدف بالتحديد الأشخاص المسئولين عن الأنشطة الإرهابية، لم يتأثروا بذلك، بل يقولون إنه مهما كانت الحقائق فإن القدر الأكبر من المسئولية الأخلاقية في تلك الفظائع إنما يقع على عاتق ياسر عرفات لأنه كان ولايزال الأب المؤسس للعنف الفلسطيني المعاصر وقد ذكر المدعي العام أدوين ميس في خطاب أدلى به أمام اللجنة الأمريكية - الإسرائيلية للشئون العامة، وهي إحدى جماعات الضغط الإسرائيلية، أن الولايات المتحدة سوف تعتبر عرفات مسئولا عن أعمال الإرهاب الدولي، بشكل عام، بغض النظر عن الوقائع فيما يبدو وبالتالي، فإن أي عمل يوجه، ضد منظمة التحرير الفلسطينية - وهى فئة واسعة كما تشير السجلات التاريخية - بعد أمرا مشروعا .

إن الهجوم على تونس كان عملا متسقا مع الممارسات الإسرائيلية منذ الأيام الأولى لقيام دولة إسرائيل :فعمليات الانتقام توجه ضد أولئك الضعفاء والمكشوفين، وليس ضد مرتكبي الأعمال الوحشية؛ والانتقاد الثابت الذي يوجه ضد منظمة التحرير الفلسطينية هو أنها بدلا من أن توجه هجومها ضد الأعداء أصحاب العقلية الأمنية، مثل إسرائيل، فإنها تهاجم أهدافا

إسرائيلية أكثر سهولة في إيطاليا والنمسا وغيرها وهو مظهر آخر من مظاهر طبيعتهم الفلسطينية أما الممارسات الإسرائيلية المشابهة والتي بدأت منذ وقت طويل وعلى نطاق أوسع بكثير، فهي لاتكاد تذكر وسط الإشادة العامة بالبطولة الإسرائيلية، والكفاءة العسكرية و طهارة السلاح كما أن مفهوم الانتقام يثير عددا ليس قليلا من الأسئلة، وهو ما سنبحثه الآن .

بحلول نهاية عام 1985، راجعت الصحف سجل عام حفل بأعمال الإرهاب الدولي الدامية، ومن بينها اغتيالات لارناكا التي وقعت في ٢٠ سبتمبر، وعملية اختطاف السفينة أكيلى لاورو وقتل سائح أمريكي في السابع من أكتوبر أما الهجوم الإسرائيلي الذي وقع في أول أكتوبر، فلم تتضمنه القائمة وأشارت صحيفة نيويورك تايمز في استعراض مطول عن الإرهاب نشر بمناسبة نهاية العام، أشارت بشكل مقتضب إلى الهجوم الإسرائيلي على تونس، ولكن باعتباره مثلا على الأعمال الانتقامية وليس الإرهاب، ووصفته بأنه عمل بائس لم يكن له تأثير كبير على العنف الفلسطيني، بل أثار احتجاجات عنيفة في المجتمع الدولي وقال آلان ديرشو فيتش أستاذ القانون بجامعة هارفارد ، متهما إيطاليا بالتواطؤ في الإرهاب الدولى لإطلاقها سراح الرجل الذي زعم أنه دبر عملية الاختطاف، وقال إن الولايات المتحدة

كانت بالتأكيد ستقوم بتسليم أي إرهابي إسرائيلي يمارس أعمال عنف ضد مواطني أي دولة أخرى أي أرييل شارون واسحاق شامير ومناحم بيجن على سبيل المثال وقد نشر قوله هذا

.في اليوم نفسه الذي احتفلت فيه واشنطن ببيريز، بعد قصف تونس مباشرة، وأشادت بالتزامه بالسلام وقد اعتبر ذلك أمرا طبيعيا جدا في المناخ الثقافي السائد إن التصريحات التي يدلي بها ريجان عن الإرهاب تذكر وتبحث بجدية ظاهرة وسط التيار الرئيسي السائد، غير أن النقاد يعلقون في

بعض الأحيان على نفاق أولئك الذين يثورون ضد الإرهاب الدولي في نفس الوقت الذي يرسلون فيه جيوشهم العميلة للقيام بعمليات قتل وتشويه وتعذيب وتدمير في نيكاراجوا ، وأيضا - وهو ما لم يعد يذكر بنفس القدر حيث أصبحت هذه الأعمال تعد نجاحا - لقتل عشرات الآلاف في السلفادور في إطار جهود ثابتة ناجحة تهدف إلى تجنب ذلك التهديد المروع المتمثل في إقامة ديمقراطية حقيقية هناك، على الرغم من أن ريجان الذي ظهر مؤخرا على مسرح الأحداث في واشنطن لا يمكن أن يدعي أنه من بين مؤسسي الإرهاب المعاصر الذي يمارس في أمريكا الوسطى وبعد فترة وجيزة من تصريحات ريجان وبيريز حول السلام والإرهاب، عاد فريق يضم نحو ١٢٠ من الأطباء والممرضين والمتخصصين في الشئون الصحية بعد تحقيق أجراه في نيكاراجوا بتكليف من كل من اتحاد الصحة العامة الأمريكي ومنظمة الصحة العالمية، وذكر مايحدث من تدمير للعيادات والمستشفيات، وقتل خبراء الصحة، ونهب الصيدليات الريفية مما أدى إلى نقص حاد في الأدوية، والنجاح في وقف برنامج للتطعيم ضد شلل الأطفال - وهو مجرد جزء ضئيل من حملة العنف التي دبرت في مراكز الإرهاب الدولي في واشنطن وميامي ويبارى مراسلو و النيويورك تايمز في نيكاراجوا نظراءهم من مراسلي البرافدا في أفغانستان، في حماسهم للكشف عن الأعمال الوحشية التي يقوم بها متمردر الكونترا أو التحقق من الدليل الدامغ عليها؛ وبالطبع تجاهلت الصحيفة ذات الشهرة هذا النبأ كما تجاهلت غيره .

إن الغارة التي وقعت بالقرب من تونس إنما تمثل قدرا من النفاق ليس من السهل ضبطه في كل الأحوال. فلنفترض مثلا أن نيكاراجوا قامت بقصف واشنطن مستهدفة ريجان وشولتز وغيرهما من الإرهابيين الدوليين وقتلت نحو مائة ألف شخص عن طريق الخطأ فإن هذا العمل سيكون مبررا باعتباره انتقاما وفقا للمعايير الأمريكية، وإذا ما كانت نسبة ٢٠ إلى واحد

مقبولة فعلا كما حدث في التناسب بين تونس ولارناكا؛ وإن كان بمقدورنا أن نضيف تحريا للدقة أنه في هذه الحالة على الأقل سيكون مرتكبي جرائم الإرهاب هم المستهدفون، ولن يكون هناك مجال للشك في من الذي بدأ الإرهاب؛ بل وربما يكون من الملائم أكثر أن نضاعف عدد القتلى بنسبة معينة حتى يكون متناسبا مع حجم السكان في الحالتين : وقد صرح الرئيس ريجان قائلا: إن الإرهابيين ومن يدعمونهم لابد أن يقفوا موقف الحساب، وسيحدث ذلك ؛ وبهذا التصريح يكون ريجان قد وضع الأساس الأخلاقي لأي عمل انتقامى مماثل، في حين يوافقه تماما نقاده الأكثر عنفا في التيار الرئيسى للصحافة كما رأينا .

وحقا، فإن بيريز قد أثبت نفسه بالفعل كرجل سلام في لبنان فبعد أن أصبح رئيسا اللوزراء تكثفت برامج الإرهاب المضاد الإسرائيلية الموجهة ضد المدنيين في الجنوب اللبناني المحتل، حتى وصلت إلى ذروة الوحشية بعمليات القبضة الحديدية في أوائل عام ١٩٨٠، والتي علق عليها كورتيس ويلكي بأنها تحمل العلامات المميزة لفرق القتل في أمريكا اللاتينية، وهو ما أكدته تقارير صحفيين آخرين كانوا موجودين في مسرح الأحداث. ففي قرية الزرارية على سبيل المثال، قام جيش الدفاع الاسرائيلي الذي يرفع شعار طهارة السلاح، بعملية شمال خط جبهة القتال القائم في ذلك الوقت. وبعد بضع ساعات من القصف المكثف لقرية الزرارية وثلاث قرى قريبة منها ، قام الجيش الإسرائيلي بإجلاء السكان الذكور جميعا وقتل مابين 35 و40 من أهالي القرية، بعضهم كانوا في سيارات سحقتها الدبابات الإسرائيلية، والبعض الآخر ضرب حتى الموت أو قتل ببساطة؛ وأطلقت إحدى الدبابات قذيفة على رجال الصليب الأحمر الذين كانوا قد تلقوا تحذيرات بالبقاء بعيدا عن المكان، ذلك في حين نجت القوات الإسرائيلية بمعجزة دون أن تتكبد أي خسائر مما وصف رسميا بأنه معركة بالأسلحة

النارية مع فدائيين على درجة عالية من التسلع. وكان اثنا عشر جنديا إسرائيليا قد القوا مصرعهم في اليوم السابق أثر عملية انتحارية وقعت بالقرب من الحدود ، غير أن إسرائيل نفت أن يكون الهجوم على الزرارية ردا انتقاميا. إن هذا النفي الإسرائيلي يعرضه المؤيدون هنا بدافع الإحساس بالواجب باعتباره حقيقة واقعة، كما يوضحون أن معلومات المخابرات أثبتت أن البلدة قد أصبحت قاعدة للإرهابيين فقد قتل مالايقل عن 34 من الفدائيين الشيعة خلال معركة الأسلحة النارية واحتجز ما يربو على مائة رجل للتحقيق معهم - من قرية واحدة صغيرة، أريك بريندل - وهو ما يوضح حجم شبكة الإرهاب الشيعية وذكر المراقبون الموجودون في موضع الأحداث أن الجنود الإسرائيليين، دون وعي منهم بالاتجاه العام للدولة، كتبوا باللغة العربية على حوائط البلدة شعار انتقام القوات المسلحة الإسرائيلية وفي مناطق أخرى أطلق الجنود الإسرائيليون النيران على المستشفيات والمدارس، واحتجزوا المشتبه فيهم، ومن بينهم مرضى على أسرة المستشفيات وغرف العمليات، للتحقيق معهم، أو لنقلهم إلى معسكرات الاعتقال الإسرائيلية فضلا عن العديد من الأعمال الوحشية الأخرى التي وصفها دبلوماسي غربي يتردد كثيرا على المنطقة، بأنها تصل إلى درجات جديدة من الأعمال الوحشية المحسوبة وعمليات القتل الاعتباطية.

وقد قال الجنرال شلومو إيليا رئيس وحدة الاتصال التابعة للجيش الإسرائيلي في لبنان إن السلاح المجدي الوحيد لمكافحة الإرهاب هو الإرهاب، وأن إسرائيل لديها خيارات تتخطى ما استخدمته بالفعل من أجل الحديث باللغة التي يفهمها الإرهابيون وهذا المفهوم ليس جديدا فبنفس الشكل، كانت عمليات الجستابو التي وقعت في أوروبا المحتلة تبرر كذلك

.

باعتبارها مكافحة للإرهاب؛ وقد عثر على أحد ضحايا السفاح النازى كلاوس باربي وقد ثبتت على صدره بطاقة كتب عليها الإرهاب ضد الإرهاب- وهو بالمصادقة الاسم الذي أطلقته جماعة إرهابية إسرائيلية على نفسها، وهو كذلك العنوان الذي اختارته مجلة دير شبيجل لموضوعها الرئيسي عن العملية الإرهابية التي قامت بها الولايات المتحدة ضد ليبيا في إبريل ١٩٨٩ وقد استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو للاعتراض على قرار المجلس الأمن التابع للأمم المتحدة يدعو لإدانة الممارسات الإسرائيلية والإجراءات الموجهة ضد السكان المدنيين في الجنوب اللبنانى بحجة أن القرار يطبق معايير مزدوجة، وقالت المندوبة الأمريكية جين كير كباتريك موضحة أننا لانعتقد أن قرارا غير متوازن يمكن أن ينهي مأساة لبنان،وقد استمرت عمليات الإرهاب الإسرائيلية، في حين أجبرت القوات الإسرائيلية على الانسحاب بسبب المقاومة .

ونكتفي بذكر حالة واحدة فقط؛ فقد أنهت القوات الإسرائيلية بمعاونة جيش جنوب لبنان المرتزق عام الإرهاب الدولي الدامي في 31 ديسمبر عام ١٩٨٥، بأن دشنوا هجوما على قرية كونين المسلمة الشيعية في الجنوب اللبناني، وأجبروا جميع سكانها البالغ عددهم نحو ألفي شخص على مغادرتها، ونسفوا المنازل واشعلوا فيها النيران، وألقوا القبض على ٣٢ من الشباب؛ وأفادت الأنباء أن الرجال والأطفال والنساء من سكان القرية كانوا يتدفقون على بلدة تقع خارج حدود المنطقة الأمنية الإسرائيلية، وتقع بها نقطة تابعة لقوات الأمم المتحدة .

وقد ورد من بيروت هذا النبأ الذي استند إلى روايات شهود نقلت عنهم الشرطة اللبنانية وإلى صحفي يعمل بصحيفة النهار المحافظة التي تصدر في بيروت، وإلى حركة أمل الشيعية أما من القدس، فقد أورد جويل

جرينبرج رواية مختلفة لاتستند إلى أية مصادر محددة، بل يقررها ببساطة على أنها الحقيقة، ويقول فيها: إن القرويين الذين يخشون من قيام جيش جنوب لبنان بعمل انتقامى قد فروا من قرية كونين الشيعية، بعد أن لقي اثنان من جنود جيش جنوب لبنان مصرعهما في القرية .

إن هذه المقارنة التي تعد نموذجية تماما توضح الأمور فالدعاية الإسرائيلية تستفيد كثيرا من أن أجهزة الإعلام تعتمد بشكل طاغ على المراسلين الموجودين في إسرائيل، وهذا يوفر ميزتين هامتين : أولا، أن الأنباء تقدم إلى المستمع الأمريكى عبر عيون إسرائيلية رسمية؛ وثانيا، وفي الحالات النادرة التي يقوم فيها مراسلون أمريكيون بتحريات مستقلة بدلا من الاعتماد على مضيفيهم الكرماء، فإن نظام الدعاية الإسرائيلي وعملاءه الأمريكيين العديدين يمكنهم الشكوى بمرارة من أن الجرائم العربية يتم تجاهلها في حين توضع إسرائيل موضع الفحص والتمحيص بسبب أي قصور بسيط، في ضوء كثافة الأنباء المتواترة .

إن عدم القدرة على إدارة الأنباء بالطريقة العادية يثير أحيانا بعض المشكلات، منها على سبيل المثال ماحدث خلال حرب لبنان عام ١٩٨٢، عندما لم يكن لدى إسرائيل وسيلة للسيطرة على الأنباء التي ينقلها الصحفيون الموجودون في لبنان عن شهود العيان فقد أثار ذلك صيحة احتجاج عالية ضد المتاجرة المزعومة بالأعمال الوحشية وتلفيقها في إطار حرب نفسية شنت على نطاق واسع ضد دولة إسرائيل الصغيرة الجديرة بالشفقة، -وهو مظهر آخر من مظاهر معاداة السامية المتأصلة في الرأي العام العالمي، فتصبح إسرائيل هي الضحية وليست المعتدية ويبدو بوضوح أن هذه الاتهامات ملفقة، وأنها في أغلب الأحيان مثيرة للضحك، وأن وسائل الإعلام كما هو متوقع تلتوي إلى الوراء لترى الأمور من وجهة النظر الإسرائيلية، وهو أمر ليس بالسهل على صحفيين يحاولون الإبقاء على

حياتهم وسط القصف الإرهابي الإسرائيلي. وفي الواقع، فإن الشهادة التي ترد عن مصادر إسرائيلية تكون غالبا أكثر حدة مما يتردد في الصحافة الأمريكية؛ فإن ما يظهر في الصحف الأمريكية من أنباء مخفف بشكل كبير عما رآه الصحفيون بالفعل غير أن هذه الاتهامات تؤخذ مأخذ الجد تماما على الرغم من منافاتها الواضحة للعقل، في حين أن الانتقادات الدقيقة لأجهزة الإعلام لخضوعها للمنظور الأمريكى الإسرائيلي وقمعها للحقائق غير المقبولة، فإنه يتم تجاهلها بشكل كامل كالمعتاد. وكذلك فإن دراسة عن التحليلات المنشورة عن التغطية الإعلامية لحرب عام ١٩٨٢ في لبنان، تتضمن العديد من الاتهامات للصحافة حول تبنيها المزعوم لموقف معاد الإسرائيل، بينما لاتتضمن سوى عدد قليل من الردود المدافعة عن وسائل الإعلام ضد هذه الاتهامات؛ إلا أنها لاتتضمن إشارة واحدة عن وجود تحليل نقدي دقيق وشامل للظاهرة المعاكسة وداخل الحدود الضيقة للمناخ الثقافي الأمريكى ذى الطابع الأيديولوجى الشديد، لا يتردد إلا الانتقاد الأول وبالمناسبة، فإن هذه نظرية تقليدية ظهرت بوضوح فيما يتعلق بحروب الهند الصينية وحرب أمريكا الوسطى الراهنة وغيرها، حيث تعمل كوسيلة أخرى من وسائل التحكم في الأفكار .

أما عمليات القبضة الحديدية التي يسعد قادة إسرائيل أن يصفوها بالإرهاب انظر تعليقات الجنرال إيليا التي ذكرناها من قبل، فإن لها هدفين رئيسيين الأول ورد في ملاحظات جون كيفنر من لبنان، عن تحويل السكان ضد الفدائيين عن طريق جعل تكلفة تأييدهم عالية جدا ؛ وهو ما يعني باختصار احتجاز السكان كرهينة للهجمات الإرهابية إلى أن يقبلوا الإجراءات التي تعتزم إسرائيل فرضها بالقوة أما الهدف الثاني فهو مفاقمة الصراعات الداخلية في لبنان، وتنفيذ تبادل عام للسكان بعد الصراع بين الطوائف الذي فرضه المحتل بطريقة كلاسيكية منذ عام ١٩٨٢ فقد لاحظ

:جيم موير المراسل الصحفي المقيم بلبنان أن هناك أدلة كثيرة على أن الإسرائيليين هم الذين أشعلوا نيران الصراع المسيحي - الدرزي في منطقة الشوف ووالوه بالتشجيع وفي الجنوب، قال مسئول كبير من مسئولى المعونة الدولية إن : إدارة الألاعيب القذرة لديهم قد فعلت كل مافي وسعها لإثارة المشكلات، غير أنها لم تفلح ويضيف قائلا إن سلوكهم كان دنيئا ؛ وهي وجهة نظر تتبناها جماعات الغوث الدولية كلها كذلك فقد ذكر شهود العيان المحليون أن الجنود الإسرائيليين كانوا كثيرا ما يطلقون النار على مخيمات الفلسطينيين من مناطق قريبة من تلك التي يسيطر عليها المسيحيون في محاولة لتأليب الفلسطينيين على المسيحيين وذكر سكان القرى المسيحية أن الدروريات الإسرائيلية كانت تجبر المسيحيين والمسلمين تحت تهديد السلاح على ضرب بعضهم البعض، ضمن أساليب أخرى للإذلال الغريب ونجحت هذه الأساليب في نهاية الأمر. فقد هاجم المسيحيون المتحالفون مع اسرائيل، المسلمين بالقرب من صيدا بشكل يضمن إثارة رد فعل قوات أكثر قوة، بما يبدأ دائرة دموية من العنف أدت في النهاية إلى فرار عشرات الآلاف من المسيحيين ذهب معظمهم إلى المناطق التي يسيطر عليها الإسرائيليون في الجنوب، في حين دفعت عشرات الآلاف من الشيعة نحو الشمال نتيجة لعمليات القبضة الحديدية.

وكانت الحجة التي تتردد في الولايات المتحدة هي أن إسرائيل كانت دائما ما تعتزم الانسحاب، غير أن انغماس الإرهابيين الشيعة في ما عرف عن العرب من حب للعنف من أجل العنف هو ببساطة ماكان يؤجل هذا الانسحاب المزمع غير أنه كما يقول جيم موير عن حق، فإن الحقيقة التاريخية التي تعلو فوق أي جدال جاد إنما تتمثل في أن الإسرائيليين ما كانوا لينسحبوا الآن لولا ماتعرضوا له من هجمات وماتكبدوه فيها من خسائر، وأن نطاق الانسحاب سوف يتحدد بمدى كثافة المقاومة.

وقد أوضحت القيادة العليا الإسرائيلية أن ضحايا عمليات القبضة الحديدية كانوا إرهابيين قرويين؛ وبالتالي كان مفهوما أن يقوم رجال ميليشيا جيش جنوب لبنان بقتل ثلاثة عشر من القرويين في الحادثة التي وردت عنها هذه الملاحظة ويلاحظ يوسي أولمرت الذي بعمل بمعهد شيلواح الإسرائيلي للدراسات الاستراتيجية، أن هؤلاء الإرهابيين يعملون بتأييد من معظم السكان المحليين وشكا قائد إسرائيلي من أن الإرهابي له عيون كثيرة هنا ، لأنه يسكن هنا ، في حين وصف المراسل العسكري لصحيفة جيروزاليم بوست الصعوبات التي تواجه مكافحة مرتزقة الإرهاب، بأنهم متعصبون، كل منهم يهب نفسه بشكل كامل لقضيته إلى حد الاستعداد لمواجهة خطر القتل خلال عملهم ضد جيش الدفاع الإسرائيلي الذي يعمل على الحفاظ على النظام والأمن على الرغم من الثمن الذي يتعين أن يدفعه السكان، كما عبر عن تقديره للاسلوب الذي يتبعه الجيش في القيام بعمله وأوضح ثيسيلتير الفرق بين إرهاب الشيعة، ضد جيش الاحتلال وبين الإرهاب الفلسطيني، وكلاهما تعبير عن الطبيعة العربية الشريرة بقوله إن الفلسطينيين لديهم قتلة يرغبون في القتل أما الشيعة فلديهم قتلة يرغبون في الموت، ويقومون بأعمال مدفوعين برؤية دينية متعصبة للعالم لا يمكن تحقيقها بأي شكل سياسي أو دبلوماسى - فتحققها لايمكن أن يتمثل في شيء بسيط مثل طرد جيش الاحتلال من أراضيهم فضلا عن ذلك فإنجيشهم السرى وهو ميليشيا أمل منذ تأسيسه في عام ١٩٧٥ كان مكرسا للقضاء على اسرائيل - وهو مايظهر الهراء الذي يتخطى جميع الحكايات التي يلفقها مفكروه.

ويستخدم المسئولون والمعلقون الأمريكيون هذا المفهوم نفسه للإرهاب على نطاق واسع فالصحف تذكر دون تعليق أن قلق وزير الخارجية شولتز بشأن الإرهاب الدولي قد تحول إلى

غضب شديد، بعد العملية الانتحارية التي تعرضت لها مشاة البحرية الأمريكية في لبنان في أكتوبر ١٩٨٣؛ وهي القوات التي كان السكان يرونها على نحو طبيعى باعتبارها قوات عسكرية أجنبية أرسلت لفرض النظام الجديد الذي فرضه العدوان الإسرائيلي وكتب بارى روبن إن أهم استخدام للإرهاب الذي ترعاه سوريا داخل لبنان كان يتمثل في فرض انسحاب القوات الإسرائيلية ومشاة البحرية الأمريكية، في حين كانت كل من إيران وسوريا تدعم والأنشطة الإرهابية التي تقوم بها الجماعات الشيعية المتطرفة في الجنوب اللبناني مثل عمليات الهجوم على «جيش جنوب لبنان الذي تدعمه إسرائيل وبالنسبة لمؤيدي إرهاب الدولة، تعد مقاومة جيش الاحتلال وعملائه المحليين عملا إرهابيا يستحق الانتقام العنيف وكان توماس فريدمان مراسل النيويورك تايمز في إسرائيل يصف بشكل روتيني الهجمات التي تتعرض لها القوات الإسرائيلية في الجنوب اللبناني بأنها عمليات قصف إرهابية، أوإرهاب انتحارى؛ وكان يؤكد لنا أنها نتاج ضعف نفسي أو تعصب دينى وكتب كذلك أن سكان المنطقة الأمنية التي أعلنتها إسرائيل الذين ينتهكون القواعد التي وضعها المحتلون، كان يطلق عليهم النار في الحال، ثم تجرى التحقيقات في وقت لاحق .وكان بعض الذين أطلق عليهم النار مجرد مارة أبرياء غير أن هذه الممارسات لاتعد من قبيل إرهاب الدولة وذكر كذلك أن إسرائيل قد تحملت الكثير من أجل الحد من تدفق الأنباء خارج المنطقة: فلم يسمح للصحفيين بتغطية الأحداث التي تلت العمليات الانتحارية، وفعليا لم تذع أي معلومات عنها ولم تمنعه هذه الحقيقة من أن يكتب بقدر كبير من الثقة عن الخلفيات والدوافع التي تحرك أولئك الذين يصفهم المحتلون بأنهم إرهابيون - وهو الوصف الذي كان يستخدمه كذلك من تقاريره الصحفية .

وفي الوقت الذي كان فيه ريجان وبيريز يهنئ أحدهما الآخر على موقفهما المبدئي ضد شرور وبلاء الإرهاب، أمام المستمعين المعجبين بهما، أوردت الصحف أنباء عن عمل إرهابي جديد وقع في الجنوب اللبناني: الإرهابيون يقتلون ستة أشخاص، ويدكون مقر محطة الإذاعة المسيحية المملوكة للولايات المتحدة في جنوب لبنان - هكذا كانت عناوين الصحف الصادرة في اليوم نفسه فلماذا يقوم الإرهابيون اللبنانيون بتدمير محطة إذاعة صوت الأمل التي يديرها مبشرون مسيحيون أمريكيون؟ ذا السؤال لم يكن يطرح؛ ولكن دعنا نبحثه بهدف توضيح مفاهيم الإرهاب والانتقام أحد الأسباب يتمثل في أن هذه المحطة تحدث باسم جيش جنوب لبنان، وهو قوة المرتزقة التي شكلتها إسرائيل في جنوب لبنان بهدف إرهاب السكان في المنطقة الأمنية التي أعلنتها إسرائيل ويجدر بالملاحظة كذلك أن المحطة تقع بالقرب من قرية الخيام؛ وهي قرية لها تاريخ غير معروف عندنا وكان زئيف شيف قد ألمع إلى هذا التاريخ وسط عمليات القبضة الحديدية التي قام بها بيريز وذكر أنه بعد أن غزت إسرائيل لبنان في عام ١٩٨٢ كانت قرية الخيام خالية من السكان؛ والآن يقطنها عشرة آلاف شخص؛ وأن بلدة النبطية اللبنانية كان يسكنها خمسة آلاف شخص والأن بها خمسون ألف شخص. وأوضح شيف أن هؤلاء وغيرهم قد يجبرون مرة أخرى على التخلي عن منازلهم وديارهم إذا سمحوا للمتطرفين منهم أو للفلسطينيين بمهاجمة المستوطنات الإسرائيلية إن هذا سيكون مصيرهم إذا ما سخروا من قوات الدفاع الإسرائيلية التي كانت في ذلك الوقت تهاجم القرويين اللبنانيين وتقتل المدنيين بشكل عشوائي، وتقوم بعمليات دفاعية ضد الإرهاب الذي لم يتوقفه حيث كان الجنود الإسرائيليون يتعرضون للهجوم يوميا في الجنوب اللبناني ولم يكن على شيف أن يوضع اللبنانيين الذين يوجه إليهم التحذير، أو على الأقل لبعض العناصر الأكثر اطلاعا من مستمعيه الإسرائيليين، لماذا

انخفض سكان النبطية إلى خمسة آلاف شخص ولماذا أخليت قرية الخيام من سكانها في عام ١٩٨٢ فقد طرد السكان وقتل مئات منهم خلال القصف الإرهابي الإسرائيلي المستمر منذ أوائل السبعينيات؛ أما القلة التي بقيت في قرية الخيام، منذ تعرضت للذبح على يد ميليشيا حداد الإسرائيلية خلال غزو لبنان عام ١٩٧٨، وتحت أنظار لواء جولاني من القوات الخاصة الإسرائيلية، وهي الميليشيا التي أوضح رجل السلام بيريز أنها نجحت في إقرار سلام نسبي في المنطقة مما منع عودة إرهابيي منظمة التحرير الفلسطينية وكانت قرية الخيام كذلك مقر سجن سرى أقامته إسرائيل والميليشيات المحلية الموالية لها في جنوب لبنان حيث كان المسجونون يحتجزون فيه في أوضاع مروعة ويتعرضون للضرب وللتعذيب بصدمات الكهرباء، وفقا لما ذكره نزلاؤه السابقون ومسئولو الغوث الدوليون في المنطقة، وذكرت هيئة الصليب الأحمر أن الإسرائيليين هم الذين يديرون هذا المركز؛ وأن جيش الدفاع الإسرائيلي قد منع مسئولى الصليب الأحمر من الدخول .

وربما كان هناك الكثير يمكن أن يقال في ذلك الوقت عن الهجوم الإرهابي الذي قام به المتعصبون في قرية الخيام في السابع عشر من أكتوبر ١٩٨٠، لو كانت مثل هذه الأمور تعتبر ملائمة لأن تصبح جزءا من الذاكرة التاريخية إلى جانب أعمال إرهابية أخرى لها فائدة أيديولوجية أكبر .

والنبطية أيضا لها حكايات تروى فإن فرار خمسين ألفا من سكانها البالغ عددهم ستون ألفا كان أغلبه بسبب الخوف من القصف الإسرائيلي، وفقا لما ذكره اثنان من مراسلي صحيفة جيروزاليم بوست كانا يقومان بجولة في جنوب لبنان في محاولة للكشف عن أدلة على الأعمال الإرهابية والوحشية التي تقوم بها منظمة التحرير الفلسطينية، ولم يجدا سوى القليل رغم أنه كان هناك العديد من الأدلة التي تثبت الإرهاب الإسرائيلى واثاره وقد وقعت

أحدى عمليات القصف في الرابع من نوفمبر ١٩٧٧، عندما تعرضت النبطية النيران المدفعية المكثفة التي أطلقتها المواقع المارونية اللبنانية والتي تؤيدها إسرائيل وبطاريات المدفعية الإسرائيلية المتمركزة على جانبي الحدود - ومن بينها بعض من المواقع القرية الإسرائيلية الستة داخل لبنان واستمرت الهجمات حتى اليوم التالي، وأسفرت عن مقتل ثلاث سيدات ضمن الضحايا الآخرين وفي السادس من نوفمبر، رد رجال فتع بإطلاق صاروخين أسفرا عن مصرع اثنين من الإسرائيليين في نهاريا؛ مما أشعل معركة بالمدفعية، وأدى إلى إطلاق صاروخ آخر أسفر عن مقتل إسرائيلى واحد ثم جا من الغارات الجوية الإسرائيلية التي أسفرت عن مقتل نحو سبعين شخصا كلهم تقريبا من اللبنانيين وقد ذكر الرئيس المصري أنور السادات هذه المعارك المتبادلة التي بدأتها إسرائيل، والتي كانت تهدد بنشوب حرب كبرى، باعتبارها سببا لتقديمه عرضا لزيارة القدس بعد بضعة أيام ولقد دخلت هذه الأحداث ذاكرة التاريخ بشكل مختلف، ليس فقط من خلال الصحافة، ولكن أيضا من خلال الدراسات الأكاديمية .فقد كتب ادوارد مالى دون الاستناد إلى أي دليل أن منظمة التحرير الفلسطينية قامت في محاولة لتعطيل الخطوات المؤدية لعقد مؤتمر للسلام بإطلاق صواريخ الكاتيوشا على قرية نهاريا الواقعة شمالى إسرائيل في السادس والثامن من نوفمبر، مما أسفر عن مقتل ثلاثة أشخاص وأدى إلى الانتقام الإسرائيلي المحتوم في التاسع من نوفمبر، والذي أسفر عن مقتل ما يزيد على مائة شخص خلال هجمات شنت على مدينة صور وما حولها وبلدتين صغيرتين تقعان في الجنوب كما هي العادة في التاريخ المعدل بشكل لائق، نجد أن الفلسطينيين هم الذين يقومون بأعمال الإرهاب في حين يقوم الإسرائيليون بالانتقام، الذي ربما يكون مفرطا في قسوته وفي دنيا الواقع غالبا ما تختلف الحقيقة عن ذلك؛ وهو الأمر الذي يتسم بقدر ليس قليلا من الأهمية في

الدراسات الخاصة بالإرهاب في الشرق الأوسط إن الويلات التي تعرضت لها النبطية لم تكد تذكر في الصحف الغربية، إلا في استثنا ءات قليلة فقد وقعت احدى الهجمات الإسرائيلية في الثاني من ديسمبر عام 1975، عندما قام سلاح الجو الإسرائيلي بقصف المدينة مما أدى إلى مقتل العديد من اللبنانيين والفلسطينيين المدنيين بفعل الأسلحة المضادة للأفراد والقنابل والصواريخ والغريب فيما يتعلق بهذه الغارة أن أجهزة الإعلام الغربية قد نقلت أخبارها، غير أنها لم تثر أي اهتمام، وقلق داخل الدوائر المتحضرة، ربما لأنها كانت على مايبدو انتقامية: انتقاما من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الذي كان قد وافق لتوه على تخصيص جلسة لبحث اقتراح السلام المقدم من جانب سوريا والأردن ومصر ومنظمة التحرير الفلسطينية والذي بحثناه في الفصل الأول .

ومازالت القصة مستمرة حتى البوم دون اختلاف يذكر. ففي أوائل عام 1986، عندما كانت أنظار العالم موجهة بفزع إلى الإرهابيين المجانين في العالم العربي، ذكرت الصحف أن دبابة إسرائيلية قد أطلقت النيران على قرية صريفا في الجنوب اللبناني، مستهدفة ثلاثين مسكنا زعم جيش الدفاع الإسرائيلي أن إرهابيين مسلحين ، قد أطلقوا منها النار عليهم المقاومة أعمالهم العسكرية التي قاموا بها في إطار ما وصفوه بعملية البحث عن جنديين إسرائيليين كانا قد اختطفا في المنطقة الأمنية الإسرائيلية في لبنان وقد منعت عن الذكر في الصحافة الأمريكية الأنباء الواردة عن قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة والتي أفادت أن القوات الإسرائيلية قد انتابتها نوبات جنونية حقا، خلال هذه العمليات، فحوصرت قرى بأكملها، ومنعت القوات التابعة للأمم المتحدة من إرسال المياه واللبن والبرتقال للقرويين الذين كان يجرى استجوابهم - حيث تعرض الرجال والسيدات لتعذيب وحشى بيد القوات الإسرائيلية وحلفائها من المرتزقة المحليين، في حين

وقف جيش الدفاع الإسرائيلى يرقب كل ذلك عن كثب .ثم رحل جيش الدفاع الإسرائيلي بعد ذلك مصطحبا معه العديد من القرويين من بينهم سيدات حوامل، ونقلوا بعضهم إلى إسرائيل في ما بعد انتهاكا آخر للقانون الدولي، وقاموا بتدمير بعض المساكن ونهب البعض الآخر، في حين كان شيمون بيريز يقول إن بحث إسرائيل عن الجنود المختطفين إنما يعبر عن موقفنا من تقدير قيمة حياة الانسان وكرامته .

وبعد شهر، أي في الرابع والعشرين من مارس، ذكر راديو لبنان أن القوات الإسرائيلية، سواء كانت جيش الدفاع الإسرائيلي أو جيش جنوب لبنان المرتزق، قد قصفت النبطية مما أسفر عن مصرع ثلاثة مدنيين وإصابة اثنين وعشرين آخرين، حيث سقطت القذائف داخل منطقة السوق في وسط المدينة في منتصف النهار، حيث كانت الجموع محتشدة للبيع والشراء ؛ وزعم أن ذلك قد جاء كرد انتقامي على الهجوم الذي تعرضت له القوات المرتزقة التابعة لإسرائيل في الجنوب اللبناني. وتوعد أحد زعماء حركة أمل الشيعية بأن المستوطنات والمنشآت الإسرائيلية لن تكون بمنأى عن هجمات المقاومة وفي السابع والعشرين من مارس، سقط صاروخ كاتيوشا في ساحة مدرسة في شمالى إسرائيل مما أسفر عن إصابة خمسة أشخاص، وكان سببا في شن هجوم إسرائيلي على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين بالقرب من صيدا مما أسفر عن مصرع عشرة أشخاص وإصابة أثنين وعشرين آخرين، في حين صرح قائد المنطقة الشمالية الإسرائيلية في إذاعة الجيش الإسرائيلي بأن جيش الدفاع الإسرائيلي لم يتمكن من تحديد ما إذا كان الشيعة أم رجال المقاومة الفلسطينية هم الذين أطلقوا الصاروخ وفي السابع من أبريل تصفت الطائرات الإسرائيلية مخيما صغيرا وقرية قريبة منه، مما أسفر عن قتل اثنين وإصابة عشرين آخرين، بزعم أن إرهابيين قد خرجوا من هذه المنطقة بهدف قتل المواطنين الإسرائيليين .

ومن بين كل هذه الأحداث كان حادث إطلاق صاروخ على شمالى إسرائيل هو الوحيد الذي حظى بتغطية تلفزيونية كبيرة وهياج عام ضد ويلات وشرور الإرهاب؛ وإن كانت هذه الموجة قد خفتت بعض الشيء بسبب حالة الهيستيريا التي نظمت في ذلك الوقت حول غزو نيكارجوا لهندوراس، عندما مارس جيش نيكاراجوا حقه الشرعي في طرد العصابات الإرهابية من أراضيه ومطاردتها، وهي العصابات التي أرسلها مديروها في الولايات المتحدة لإظهار قوتهم قبيل اقتراع مجلس الشيوخ على تقديم معونة لمتمردي الكونترا، ويذكر هنا أن القضية الجادة الوحيدة التي كان يدور حولها الجدل في دولة الإرهاب كلنت تتمثل فيما إذا كان الجيش العميل قادرا على تحقيق المهمة المكلف بها من قبل سادته .

لم تكن إسرائيل بالطبع تمارس حقا شرعيا في المطاردة الساخنة بقصفها للمدن ومخيمات اللاجئين، ولم تكن أعمال الإرهاب بالجملة والعدوان السافر الذي تمارسه في لبنان لتقع أبدا ضمن هذا المفهوم غير أن إسرائيل كدولة عميلة ترث عن الامبراطور حق الإرهاب والتعذيب والعدوان أما نيكارجوا، وباعتبارها عدوا ، فإنها تفتقر بوضوح للحق في الدفاع عن أراضيها ضد الإرهاب الدولي الأمريكي، على الرغم من أنه يمكن للمرء القول بأن الأعمال الأمريكية هناك قد وصلت إلى مستوى العدوان وهو من جرائم الحرب التي شنق أناس بسببها في نورمبرج وطوكيو ونتيجة لذلك، يصبح من الطبيعي أن يجرى تجاهل الأعمال الإسرائيلية باعتبارها انتقاما مشروعا ، في حين يشجب الكونجرس عبر المنظور الضيق الماركسيين اللينينيين في نيكاراجوا لإظهارهم المتجدد للتهديد الذي يشكلونه على السلام والاستقرار في المنطقة .

كذلك فإن الغزو الإسرائيلي للبنان في يونيو ١٩٨٢ يقدم دائما بشكل مخفف ليكون أكثر ملاسمة ويكتب شيمون بيريز أن عملية سلام الجليل تمت من

أجل ضمان عدم تعرض الجليل بعد ذلك للقصف بصواريخ كاتيوشا. ويوضع أريك بريندل أن الهدف الرئيسي للغزو الإسرائيلي في عام ١٩٨٢ كان يتمثل بالطبع، في حماية منطقة الجليل من الهجمات بصواريخ الكاتيوشا وغير ذلك من أعمال القصف التي تأتي من لبنان وتطلعنا صفحات الأخبار بصحيفة النيويورك تايمز بأن الغزو قد بدأ بعد هجمات شنها فدائيو منظمة التحرير الفلسطينية على المستوطنات الإسرائيلية الشمالية؛ وتذكر بدون تعليق أن القادة الإسرائيليين قالوا إنهم يرغبون في إنهاء الهجمات بالصواريخ وعمليات القصف التي تتعرض لها الحدود الإسرائيلية الشمالية، والتي تمت خلال الأعوام الثلاثة التي قضاها الجيش الإسرائيلي في لبنان ويضيف هنرى كام إنه لمدة ثلاث سنوات تقريبا، لم يكن سكان كيريات شيمونه مضطرين للنوم داخل المخابىء، ولم يكن القلق يساور الآباء على أطفالهم عندما يخرجون للمدرسة أو للعب .فلم تعد صواريخ الكاتيوشا السوشيتية الصنع، التي ظلت السنوات تقصف هذه البلدة الواقعة بالقرب من الحدود اللبنانية بشكل عشوائي، لم تعد تسقط على البلدة منذ أن غزت إسرائيل لبنان في يونيو ١٩٨٢ويعلق توماس فريدمان بأن إذا عادت هذه الصواريخ مرة أخرى لتمطر الحدود الإسرائيلية الشمالية بعد كل ماتكبدناه في لبنان، فإن الرأي العام الإسرائيلى سيثور في الوقت الحالى لاتسقط صواريخ على شمال إسرائيل وإذا تجددت هجمات على نطاق واسع على الحدود الشمالية الإسرائيلية فإن هذه الأقلية التي ترى إبقاء الجيش في لبنان يمكن أن تتحول مرة أخرى إلى أغلبية وذكر فريدمان في إحدى قصصه الإنسانية العديدة حول آلام الإسرائيليين المعذبين أن عملية سلام الجليل - أي الغزو الإسرائيلي للبنان - تمت في الأصل، لحماية المدنيين من مدافع الفلسطينيين وظلت الشخصيات السياسية البارزة تؤيد دائما الفكرة نفسها ويكتب ريجنيو بريجينسكى أن التواجد العسكري السوري المتزايد

واستخدام منظمة التحرير الفلسطينية اللبنان في القيام بهجمات مفاجئة على إسرائيل قد عجل بالغزو الإسرائيلي في العام الماضي؛ ويطالبنا ريجان في عرض نموذجي للجبن الأدبي أن نتذكر أنه عندما وقع الغزو، فإن إسرائيل قامت بسبب انتهاك الفلسطينيين أو منظمة التحرير الفلسطينية لحدودها الشمالية، بقطع كل هذا الطريق إلى بيروت، وليس أولئك المحاربين المجانين الذين كان يدعمهم بابتهاج إن هذه القصة والعديد من القصص الأخرى التي تتضمن وصفا يمزق نياط القلوب للعذاب الذي يتعرض له شعب الجليل بسبب الهجمات العشوائية بصواريخ الكاتيوشا، قد ساعد على خلق الصورة المقبولة للفلسطينيين المتعصبين المسلحين بأسلحة سوفيتية، والذين يشكلون العنصر المحوري لشبكة الإرهاب الدولي المتمركزة في الاتحاد السوفيتي، والذين دفعوا إسرائيل لغزو مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وقصفها مع غيرها من الأهداف .كما كانت ستفعل أي دولة أخرى للدفاع عن شعبها ضد الهجمات الإرهابية التي لاترحم .

ومرة أخرى نجد أن الأمر يختلف عن ذلك في دنيا الواقع فقد كتب دانيد شيبلر أنه خلال السنوات الأربع التي تفصل بين الغزو الإسرائيلي السابق للجنوب اللبناني في عام ١٩٧٨ وبين غزو السادس من يونيو ١٩٨٢، لقى ٢٩ شخصا فقط مصرعهم في شمال إسرائيل خلال جميع أنواع الهجمات التي جاءت من لبنان، بما في ذلك ما قام به الإرهابيون من عمليات نصف وعبور للحدود، غير أنه على مدار عام كامل قبل غزو عام ١٩٨٢

كانت الحدود هادئة ويمتاز هذا التقرير بميزة الوصول إلى نصف الحقيقة على الأقل ففي حين أحجمت منظمة التحرير الفلسطينية عن القيام بعمليات عبور للحدود لمدة عام قبل الغزو الإسرائيلي، فإن الحدود كانت أبعد ما تكون عن الهدوء، حيث استمر الإرهاب الإسرائيلي، في قتل العديد من المدنيين؛ فلم تكن الحدود تتمتع بالهدوء، إلا بالمعنى العنصري المستخدم في

الخطاب الأمريكي وفضلا عن ذلك فإن أيا من شيبلر أو زملائه لم يذكر أنه في حين لقي ٢٩ شخصا مصرعهم في شمال إسرائيل منذ عام ١٩٧٨، فإن الآلاف قد لقوا مصرعهم بسبب القصف الإسرائيلي في لبنان، وهو الأمر الذي لا يكاد يذكر في هذا السياق، والذي لا يعد انتقاما ، بأي معنى من المعانى .

إن عمليات القصف التي تمت منذ عام ١٩٧٨ كانت عنصرا رئيسيا في عملية سلامه كامب دانيد، التي مكنت إسرائيل كما كان متنبأ لها تماما من أن توسع نطاق سيطرتها وقمعها في الأراضي المحتلة، في الوقت الذي تهاجم فيه جارتها الشمالية، بعد أن أبعدت العتبة الرادعة العربية الرئيسية مصر عن حلبة الصراع، ومع تزايد الدعم العسكرى الأمريكي على نحو سريع ويذكر وليم كوانت كذلك أن التخطيط الإسرائيلي لعملية غزو لبنان الموجهة ضد منظمة التحرير الفلسطينية في عامى ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ قد تواكب فيما يبدو مع ترسيخ أقدام معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية ويجب أن نذكر أن كبار الصحفيين الأمريكيين يدركون المعنى الواضح لاتفاقيات كامب دانيد، رغم أنه لم يتم التعبير عن هذا المعنى في وسائل الإعلام هنا في ذلك الوقت الذي كان فيه على نفس الدرجة من الوضوح أيضا، أو منذ ذلك الحين وهكذا، وفي حديث صحفي أجري في إسرائيل، يقول دثين شيبلر إنه من الجانب الاسرائيلي، يبدو لي أن معاهدة السلام قد هيأت الظروف الحرب في لبنان حيث لم تعد مصر من دول المواجهة، شعرت إسرائيل بحريتها في أن تشعل حربا في لبنان، الأمر الذي لم تكن في الأغلب لتجرؤ على القيام به قبل معاهدة السلام وأنه لمن المفارقات هكذا أن حرب لبنان لم تكن لتشتعل بذون معاهدة السلام ، والجدير بالذكر أن شيبلر لم يكتب أي شيء من هذا القبيل في صحيفة النيويورك تايمز طوال فترة خمسة أعوام عمل خلالها كمراسل للصحيفة في إسرائيل، وانتهت في يونيو ١٩٨٤ ، أو

بعد تلك الفترة وأضاف شيبلر قائلا»أعتقد أن المعارضة الواسعة لهذه الحرب بين الإسرائيليين لم تكن لتوجد دون وجود معاهدة السلام هذه نفسها ، ولما كان موجودا في إسرائيل في ذلك الوقت، فإنه يعرف أن هذه المعارضة الواسعة للحرب، ماهي إلادعاية تقوم على مغالطة منطقية بهدف الحفاظ على صورة إسرائيل الجميلة؛ فالمعارضة كانت في الواقع ضئيلة حتى وقوع مذابح صابرا وشاتيلا عندما هجر مؤيدو الحرب هنا أيضا السفينة الغارقة، وصنعوا تاريخا ملفتا لمعارضة سابقة، كما حدث في حالة الحرب في الهند الصينية، وحتى تم ادراك ارتفاع تكلفة الاحتلال المتصاعدة بوجه خاص .

وإذا ما عدنا إلى دنيا الواقع، لنأخذ في الاعتبار أولا الخلفية المباشرة لعملية السلام من أجل الجليل فقد التزمت منظمة التحرير الفلسطينية بوقف إطلاق النار الذي رتبته الولايات المتحدة في يوليو ١٩٨١ على الرغم من المحاولات الإسرائيلية المتكررة لإثارة بعض الأحداث التي يمكن استخدامها كذريعة للقيام بالغزو المزمع، ومن بينها القصف المدفعي الذي وقع في أواخر أبريل من عام ١٩٨٢ وأسفر عن مقتل نحو عشرين شخصا، وإغراق زوارق الصيد وغير ذلك من أحداث ويتمثل الاستثناء الوحيد في بعض الردود الانتقامية الخفيفة التي وقعت في شهر مايو بعد القصف الإسرائيلي، والرد على أعمال القصف والهجمات البرية الإسرائيلية المكثفة على لبنان في شهر يونيو، والتي أسفرت عن مقتل العديد من المدنيين وجاء الهجوم الإسرائيلى كرد انتقامى على محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن التي قام بها أبو نضال أحد الأعداء الألداء لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي لم يكن له حتي مكتب في لبنان - إنها نفس قصة الردود الانتقامية مرة أخرى .

وكانت محاولة الاغتيال هذه هي التي استخدمت كذريعة لهذا الغزو الذي ظلوا يخططون له لفترة طويلة وتطالعنا مجلة نيوريبليك، بأن النجاحات التي حققها بريان أوركارت مفاوض الأمم المتحدة وكانت ضئيلة ولاتكاد تذكر؛ ومنها على سبيل المثال مفاوضاته المتعلقة بوقف اطلاق النار مع منظمة التحرير الفلسطينية في الجنوب اللبناني في عام ١٩٨١ وأنه ليس من المدهش أن تفضل تلك الصحف التي تدين بالالتزام بالخط الحكومي أن تتناسى هذه الحقائق، غير أن شيوع هذه الحالات من النسيان إنما هو أمر جدير بالملاحظة .

وفضلا عن ذلك فإن النظر الي ماحدث في يوليو ١٩٨١ يكشف عن النموذج نفسه فنى يوم ٢٨ مابو، كتب كل من زييف شيف وايهود بعاري أن رئيس الوزراء مناحم بيجين ورئيس الأركان رفائيل ايتان قد اتخذا خطوة أخرى من شأنها أن تقرب بلادهم بدرجة ملحوظة من إشعال حرب في لبنان عن طريق عمل كان محسوبا في جوهره بما يؤدي إلى هذه النهاية، ألا وهو انتهاك وقف إطلاق النار عن طريق قصف تجمعات منظمة التحرير الفلسطينية أحد اصطلاحات اللغة الجديدة، حيث يشير إلى أي هدف تختار إسرائيل نصفه في الجنوب اللبناني ويضيف شيف ويعاري أن الهجمات استمرت من الجو والبحر حتى الثالث من يونيو، في حين كان الفلسطينيون يردون بحذر شديد ، خوفا من أن يؤدي أي رد فعل عنيف إلى قيام إسرائيل بهجوم برى ساحق وتم إقرار وقف آخر لإطلاق النار؛ وعادت إسرائيل لانتهاكه في العاشر من يوليو بعمليات قصف جديدة ولكن هذه المرة كان هناك رد فعل فلسطيني تمثل في هجمات بالصواريخ أثارت الذعر في الجليل الشمالي، وأعقبها قصف إسرائيلي مكثف لبيروت وأهداف مدنية أخرى وبحلول الوقت الذي أعلن فيه وقف اطلاق النار في ٢٤ يوليو، كان حوالي 450 عربيا - جميعهم تقريبا من المدنيين اللبنانيين وستة

إسرائيليين قد لقوا مصرعهم ولم يتذكر أحد من تفاصيل هذه القصة سوى معاناة الجليل الشمالي الذي تعرض للقصف العشوائي بصواريخ الكاتيوشا من جانب إرهابيي منظمة التحرير الفلسطينية، وهو مادفع إسرائيل في نهاية الأمر إلى الرد الانتقامي الذي تمثل في غزوها لبنان في يونيو ١٩٨٢ .

وينطبق ذلك حتى على الصحفيين الجادين الذين لايعملون كمجرد قناة مباشرة للدعاية الرسمية .فقد كتب إدوارد والش أن الهجمات المتكررة بالصواريخ التي وقعت في عام ١٩٨١ قد وضعت كيريات شيمونه مرة أخرى تحت الحصار، ووصف الآباء والأمهات القلقين، والفزع الذي يحدثه هدير المدفعية والصواريخ التي كانت تطلق على القواعد الفلسطينية القريبة، في عام ١٩٨١، دون أن يضيف كلمة واحدة عما كان يحدث في ذلك الوقت وكتب كيرتس ويلكى، وهو من أكثر الصحفيين الأمريكيين تشككا وقوة للملاحظة في الشرق الأوسط، كتب أن كبريات شمونة تعرضت لنيران مدمرة فتحتها عليها قوات منظمة التحرير الفلسطينية في عام ١٩٨١؛ وكان انهمار صواريخ الكاتيوشا السوفيتية الصنع شديد الكثافة حتى أن سكان المنطقة الذين لم يفروا منها كانوا يضطرون لقضاء ثمانية أيام وليال متتالية داخل المخابىء - دون أن يشير هو الآخر ولو بكلمة واحدة إلى الأسباب التي أدت إلى اندلاع هذه النيران المدمرة، أو عن الحالة السائدة في بيروت والمناطق السكانية الأخرى حيث قتل المئات من جراء القصف الإسرائيلي ولم تثر هذه القضايا في أي مكان آخر .

ويوفر هذا المثال رؤية أعمق لمفهومى در الإرهاب، والانتقام، كما يؤخذ بهما داخل النظام الأيديولوجي الأمريكى، وللافتراضات العنصرية التي تتجاهل على نحو طبيعى معاناة الضحايا الأصليين الذين هم العرب، والذين هم بالتالي في درجة أقل من حيث إنسانيتهم .

أما القصة الرسمية التي تقول بأن الهجمات بالصواريخ وقصف الحدود الشمالية الإسرائيلية، قد توقفت بفضل عملية السلام من أجل الجليل، صحيفة النيويورك تايمز مثلا فقد كانت كاذبة بشكل مزدوج. أولا، لأن منطقة الحدود ظلت هادئة لمدة عام كامل قبل الغزو، باستثناء الهجمات والاستفزازات الإرهابية الإسرائيلية؛ أما هجمات الصواريخ الكبرى فكانت ردا على الإرهاب الإسرائيلي الذي أسفر عن وقوع خسائر في الأرواح بلغت نحو مائة ضعف حجم الخسائر التي أسفر عنها رد منظمة التحرير الفلسطينية في هذه الحادثة وحدها .

وثانيا، وعلى العكس تماما من الفترة السابقة، نجد أن هجمات الصواريخ قد بدأت بعد انتهاء الغزو بفترة وجيزة، من أوائل عام ١٩٨٣، واستمرت منذ ذلك الحين وذكرت مجموعة من الصحفيين الإسرائيليين المنشقين أن 14 صاروخا من صواريخ الكاتيوشا قد أطلقت على الجليل خلال فترة اسبوعين في شهر سبتمبر عام ١٩٨٠؛ وفضلا عن ذلك، زادت الهجمات الإرهابية بنسبة 50 في المائة في الضفة الغربية في الأشهر التي تلت الحرب، ثم ارتفعت بحلول نهاية عام ١٩٨٣ بنسبة 70 في المائة عما كانت عليه عند نهاية الحرب في لبنان، بحيث أصبحت تشكل تهديدا خطيرا بحلول عام 1985، وهي نتيجة ليست مستغربة للأعمال الوحشية ولتدمير المجتمع المدني والنظام السياسي للفلسطينيين .

إن السبب الحقيقي وراء غزو عام ١٩٨٢ لم يكن التهديد الذي كان الجليل الشمالي يتعرض له، كما يذكر التاريخ المعدل؛ بل إن العكس هو الصحيح بالأحرى، وهو ما أوضحه بعد فترة وجيزة من الغزو الإسرائيلي يهوشوا بوراث الأستاذ بالجامعة العبرية؛ وهو أبرز الإسرائيليين المتخصصين في شئون النلسطينيين وأحد المعتدلين، بالمعنى الإسرائيلي ويؤيد

الحل الأردني للفلسطينيين، وهو الحل الذي يطرحه حزب العمل إذ يقول إن قرار الغزو قد نبع من حقيقة أنه قد جرى بالفعل الالتزام بوقف إطلاق النار وكان ذلك بمثابة كارثة محققة، بالنسبة للحكومة الإسرائيلية، لأنه يهدد سياسة التهرب من إقرار تسوية سياسية .ويستطرد بوراث قائلا، إن أمل الحكومة هو أن تعود منظمة التحرير الفلسطينية المطعونة، والتي تفتقر إلى قاعدة من الإمدادات والأراضي، إلى أعمالها الإرهابية السابقة؛ بحيث تقوم بعمليات تفجير إرهابية في أنحاء العالم وتخطف الطائرات وتقتل العديد من الإسرائيليين؛ وبالتالي تفقد جزءا من الشرعية السياسية التي اكتسبتها، ويتم تقويض خطر إجراء مفاوضات مع ممثلين فلسطينيين، وهو الخطر الذي من شأنه أن يهدد السياسة - التي يتبعها التجمعان السياسيان الكبيران - والتي تتمثل في الإبقاء على السيطرة الفعلية على الأراضي المحتلة إن الافتراض المقبول للقيادة الإسرائيلية كان يتمثل في أنه يمكن الاعتماد على هؤلاء الذين يصنعون الرأي العام في الولايات المتحدة - وهي الدولة الوحيدة التي تؤخذ في الاعتبار الآن بعد أن اختارت إسرائيل أن تقوم بدور الدولة المرتزقة التي تخدم مصالح الولايات المتحدة - يمكن الاعتماد عليهم في محو التاريخ الفعلي وتصوير الأعمال الإرهابية الناجمة عن القمع والأعمال الوحشية الإسرائيلية باعتبارها أعمال عنف عشوائية ترجع إلى نقائص في الشخصية والثقافة العربية إن لم يكن إلى نقائص عرقية أو عنصرية .

إن التعليقات الأمريكية التي صدرت بعد ذلك عن الإرهاب تفي بهذه التوقعات الطبيعية بقدر من الدقة، وهو ما يعد ضربة إعلامية كبرى لإرهابيى الدولة في كل من واشنطون والقدس اما المعاني الأساسية، فهي مفهومة بما فيه الكفاية في إسرائيل. فقد صرح رئيس الوزراء

اسحاق شامير في التلفزيون الإسرائيلي بأن إسرائيل قد دخلت الحرب لأنها كانت تتعرض الى خطر رهيب وهو خطر لم يكن عسكريا بقدر ما كان سياسيا، مما شجع الكاتب الإسرائيلى الساخر ب . ميشيل على أن يكتب قائلا إن العذر الوافي المتمثل في الخطر العسكري أو الخطر الذي يهدد الجليل لم يعد له وجود، فقدأزلنا الخطر السياسي، عن طريق توجيه الضربة الأولى في وقتها: والآن نشكر الله، لأنه لم يعد هناك أحد نستطيع إجراء محادثات معه وعلق الكاتب الصحفى آرون باتشار بأنه من السهل أن ندرك الحالة النفسية للقيادة الإسرائيلية نعرفات متهم بأنه يتجه بخطى ثابتة نحو تحقيق نوع ما من التسوية السياسية مع إسرائيل، وترى الإدارة الإسرائيلية أن هذا يعد أسوأ تهديد ممكن وينطبق ذلك على حزب العمل بنفس القدر الذي ينطبق به على الليكود ويرى بينى موريس أن منظمة التحرير الفلسطينية أوقفت توجيه نيرانها إلى الحدود الشمالية لمدة عام كامل، وامتنعت في عدة مناسبات عن أن تقوم بأي رد فعل للأعمال الإسرائيلية التي دبرت خصيصا لدفع منظمة التحرير الفلسطينية لفتح نيرانها على المنطقة الشمالية؛ ويمضي في تعليقه إلى القول بأنه بالنسبة لضباط جيش الدفاع الإسرائيلي، وكانت نسبة الحرب تعتمد على منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها خطرا سياسيا على إسرائيل وعلى سيطرة إسرائيل على الأراضي المحتلة، حيث إن الآمال الفلسطينية داخل الأراضي المحتلة وخارجها والمتعلقة بإنضاج المطامع القومية كانت تعتمد علي منظمة التحرير الفلسطينية وتدور حولها وكأي معلق عاقل، يسخر بينى موريس في الحديث الهيستيري عن الأسلحة التي تم ضبطها وعن التهديد العسكري الذي تشكله منظمة التحرير الفلسطينية، ويتنبأ بأن الشيعة في بيروت الغربية ومعظمهم لجأوا إلى هناك بعد عمليات تصف إسرائيلية سابقة للجنوب اللبناني في السبعينيات، سيبقى بذاكرتهم لفترة طويلة على الأرجح

حصار جيش الدفاع الإسرائيلي الذي استمر من يونيو حتي أغسطس عام ١٩٨٢، وأن ذلك ستكون له مضاعفات بعيدة الأثر في عمليات الإرهاب الشيعية الموجهة ضد أهداف إسرائيلية .

ومن الجناح اليمينى، علق إيهود أولمرت عضو الكنيست المنتمي إلى الليكود قائلا : أن الخطر الذي تشكله منظمة التحرير الفلسطينية على إسرائيل لايكمن في تطرفها ، ولكن في الاعتدال الزائف الذي نجع عرفات في التظاهر به دون أن يتحول نظره عن هدفه النهائي، وهو تدمير إسرائيل، وهذا صحيح جدلا، بنفس المعنى الذي لم يتحول به نظر ديفيد بن جوريون عندما كان في السلطة عن هدفه النهائي وهو توسيع إسرائيل إلى أقصى حدود المطامع الصهيونية، بما في ذلك أجزاء كبيرة من أراضي البلاد المحيطة بها، وفي بعض الأحوال إلى الحدود المشار إليها في التوراة أي من النيل إلى الفرات، في حين يتم بشكل من الأشكال ترحيل السكان الأصليين ويقول البروفيسور مناحم ميلسون المدير السابق لادارة شئون الضفة الغربية أنه من الخطأ أن نفكر أن التهديد الذي تشكله منظمة التحرير الفلسطينية على إسرائيل هو في جوهره تهديد عسكرى، بل إنه بالأحرى تهديد سياسى وأيديولوجي وقد أوضح أرييل شارون وزير الدفاع قبل الغزو مباشرة أن هدوء الضفة الغربية يتطلب والقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان ؛ أما زميله اليميني المتطرف رافائيل إيتان رئيس الأركان، فقد علق فيما بعد قائلا إن الحرب كانت ناجحة لأنها أضعفت جدا الوضع السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ونضال المنظمة من أجل اقامة دولة فلسطينية، في حين عززت القدرة الإسرائيلية على عرقلة أي هدف من هذا النوع وتعليقا على هذه التصريحات، يقول يوري مينشتاين المؤرخ العسكري الإسرائيلي وهو أحد مؤيدى الحل الأردني، الذي بطرحه حزب العمل، أن بين أهداف الغزو حسب تصور شارون وإيتان؛ إقامة نظام جديد

في لبنان والشرق الأوسط، ودفع مسيرة التحول الساداتى في العديد من الدول العربية، وضمان ضم يهودا والسامرة الضفة الغربية إلى دولة إسرائيل وروما إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية وفي الطرف الآخر من الساحة السياسية، كتب أمنون روينشتاين عضو الكنيسيت الذي يحلى بكثير من الاحترام هنا بسبب مواقفه الليبرالية المعتدلة، كتب أنه على الرغم من أن وقف إطلاق النار كان موضع احترام بشكل أو بآخر، ويقصد : موضع احترام من جانب منظمة التحرير الفلسطينية، وليس من جانب إسرائيل، فإن غزو لبنان كان مع ذلك مبررا ، بسبب تهديد عسكرى ممكن، وإن لم يكن فعليا : فالأسلحة والذخائر الموجودة في الجنوب اللبناني كانت مخصصة للإستخدام ضد إسرائيل في نهاية المطاف فلنظر إلى المعنى الضمني الذي تنطوي عليه هذه التصريحات المذهلة إذا ما وضعت في سياق آخر، حتى إذا أخذنا مأخذ الجد المزاعم المتعلقة بالتهديد العسكري الممكن الذي تشكله منظمة التحرير الفلسطينية على إسرائيل .

ومن الملاحظ أن روبنشتاين قد سبق إدارة ريجان في التعبير عن المذهب المثير للاهتمام الذي أعلنته كمبرر لقيامها في أبريل، ١٩٨٩ بنصف ليبيا ودفاعا عن النفس ضد دجوم مستقبلي، وهو ما سننتقل للحديث عنه في الفصل التالي

أما المدافعين الأمريكيون من الأعمال الوحشية الإسرائيلية، فإنهم لا يعترفون بالحقائق نفسها إلا بشكل عارض. فقبل الغزو مباشرة، راح مارتن بيرنيتز رئيس تحرير مجلةد نيوريبيليك ، مرددا ما يقوله كل من شارون وإيتان، يشعر إلى أن توجه إسرائيل إلى منظمة التحرير الفلسطينية هزيمة عسكرية نهائية في لبنان، يكون من شأنها أن ترضع الفلسطينيين في الضفة الغربية أن نضالهم من أجل إقامة دولة مستقلة تهم قد تعرض الانتكاسة ستدوم على مدى أعوام عديدة ، به حتى أن الفلسطينيين سوف يتحولون إلى

مجرد تومية منه مهدوية أخرى مثل الأكراد والأفغان ويوضح مايكل ولنزر الاشتراكي الديمقراطي، الذي يرى أن حل مشدونة العرب الفلسطينيين من سنهم داخل إسرائيل أيضا - إنما يتمثل في نقل هؤلاء الذين لايتسمون إلا بأهمية هامشية للدولة، وهذا في جوهره هو موقف الحاخام كاهانا العنصري، وهو ما أوضحة في مجلة نيوريبليك بعد الحرب قائلا إنني أرحب بالتأكيد بالهزيمة السياسية التي لحقت بمنظمة التحرير الفلسطينية، وأعتقد أن العملية العسكرية المحدودة التي كانت مطلوبة لتحقيق هذه الهزيمة إنما يمكن الدفاع عنها باعتبارها حربا عادلة، وإنه لمما يثير الفضول بالمناسبة، أن نرى الالتقاء حول هذه القضايا بين اليمين المتطرف الإسرائيلي وبين اليسار الليبرالي الأمريكى .

وباختصار كانت أهداف هذه الحرب أهدافا سياسية، وكانت الأراضي المحتلة واحدا من أهم هذه الأهداف، بينما كان هدف رئيسي آخر يتمثل في إقامة نظام جديد في لبنان وربما أبعد من ذلك، أما الحكايات التي تنسج عن حماية الحدود من الإرهاب، فهي مجرد دعاية تهييجية راحت تبتلعها أجهزة الإعلام الأمريكية الخانعة بتلهف فإذا أمكن إحياء الإرهاب الفلسطيني سيكون ذلك أفضل. وإذا لم نستطع إلقاء اللوم على عرفات، فسيمكن على الأقل أن يوصم بأنه الأب المؤسس للعنف الفلسطيني المعاصر، نيوريبليك ، بحيث يمكن تحاشى الجهود التي يبذلها من أجل التوصل إلى تسوية سياسية .

أن مشكلة تحاشي التوصل إلى تسوية سياسية لم تنته بتدمير القاعدة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية كما كان مأمولا، لذلك كان على أجهزة الإعلام الأمريكية أن تظل يقظة المحاربة هذا التهديد، والمناصرة الحقيقة المذهبية التي تقول بأن الولايات المتحدة وإسرائيل هما اللتان تسعيان إلى السلام، ولايعاونهما سوى نزعة الرفض العربي وكان عرفات في شهرى

أبريل ومايو ١٩٨٤ قد أدلى بسلسلة من التصريحات في أوروبا وآسيا، دعا فيها لإجراء مفاوضات مع إسرائيل تؤدي إلى اعتراف متبادل ورفضت إسرائيل هذا العرض على الفور في حين تجاهلته الولايات المتحدة ونشرت صحيفة سان فرانسيسكو اكزامينر في صفحتها الأولى تحقيقا أذاعته وكالة البونايتدبرس انترناشيونال عن مقترحات عرفات، بينما نشرت الحقائق بدون تركيز عليها في الصحف ذات الطابع المحلي أما الصحافة القومية، فقد حظرت نشر القصة برمتها، باستثناء مرة واحدة أشير فيها للقصة بشكل عابر في صحيفة واشنطون بوست بعد بضعة أسابيع أما صحيفة نيويورك تايمز فقد رفضت نشر كلمة واحدة عن القصة، بل ومنعت نشر الرسائل الواردة عن الموضوع، في حين استمرت إلى جانب وسائل الإعلام بشكل عام في شجب عرفات بسبب عدم استعداده لأن ينتهج مسارا دبلوماسيا . وبوجه عام، كلما زادت أهمية الصحيفة، كلما كانت أكثر تصميما على إخفاء الحقائق، وهو موقف طبيعى تماما في ضوء الموقف الذي تتبناه الحكومة الأمريكية من القضية .

أما الأشخاص المطلعون في إسرائيل، فهم على بينة بالتأكيد من موقف عرفات ويشير ياهو شفاط هاركابى، الرئيس السابق للمخابرات العسكرية وأحد المتخصصين في الشئون العربية وأحد الصقور المعروفين لسنوات عديدة، يشير إلى أن منظمة التحرير الفلسطينية ترغب في التوصل إلى تسوية سياسية، لأنها تعرف أن البديل رهيب وسوف يؤدي إلى الدمار الكامل ويقول إن عرفات شأنه في ذلك شأن حسين وبقية العرب في الضفة الغربية، يخشى من أنه إذا لم يتم التوصل إلى تسوية، فإن إسرائيل سوف تنفجر ومعها جميع جيرانها ومن بينهم الفلسطينيون ولذلك، فإن عرفات يتبنى مواقف معتدلة نسبيا فيما يتعلق بإسرائيل أن هذه الملاحظات تؤكد عدة نقاط : أن هناك سياقا سياسيا هاما يجب أن يفهم الإرهاب في إطاره إذا

ما أردنا أن نكون جادين في بحثه؛ أن الجرائم التي يقوم بها أناس آخرون، وليست جرائمنا المماثلة لها أو الأسوأ منها ، هي التي تدخل في عداد أعمال الإرهاب وفي هذه الحالة، فإنها جرائم الفلسطينيين وليست الجرائم الإسرائيلية أو الأمريكية هي التي تعتبر إرهابا؛ أن مفاهيم مثل الإرهاب والانتقام تستخدم كمصطلحات دعائية، وليست وصفية وبشكل حاسم، فإن الهيستريا التي تثار حول بعض أعمال الإرهاب المنتقاة بعناية - وهي تلك التي يقوم بها العرب، سواء كانوا فلسطينيين أو لبنانيين أو شيعة أو ليبيين أو سوريين، أو حتى إيرانيين ممن يمكن إدراجهم في عداد العرب في هذه الحالة - إنما تهدف إلى تحقيق أهداف سياسية معينة والمزيد من التمحيص يعزز هذه الاستنتاجات .

فإذا ما نظرنا مرة أخرى إلى مسألة الانتقام، فسنجد أن أول هجوم بالصواريخ قام به الشيعة على كيريات شيمونة نفسها كان في ديسمبر ١٩٨٠، بعد ما يزيد على ثلاثة أعوام من احتلال عسكرى يتسم بأقصى درجة من الوحشية، التي بلغت ذروتها خلال عمليات القبضة الحديدية التي قام بها شيمون بيريز في أوائل عام ١٩٨٠ غير أن الأعمال الوحشية التي كان يقوم بها المحتلون والتي كانت تنشر بشكل عارض، قد فشلت في أن تنقل القصة كاملة، حيث أن ما ينشر كان يتجاهل متابعة الحقائق يوما بيوم، والشئ نفسه ينطبق على التغطية العارضة للأعمال الوحشية الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، وهي التغطية التي فشلت في نقل الصورة الحقيقية للمعاملة الوحشية والقمع واستغلال العمالة الرخيصة بما فيها الأطفال والقيود القاسية المفروضة على الحياة السياسية والثقافية واعاقة التطور الاقتصادي وقد قدمت جولي فلينت صورة أكثر وضوحا، عندما حكت قصة الحياة والموت في إحدى قرى الجنوب اللبناني الشيعية قبل شهر واحد من وقوع هجوم الصواريخ كانت كفر رمان بلدة زراعية مزدهرة يسكنها ثمانية

آلاف شخص، تقع بالقرب من النبطية خلال الفترة التي كان - جنوب لبنان يتعرض فيها لإرهاب منظمة التحرير الفلسطينية وفقا للتاريخ الرسمي فبعد ما أسمته صحيفة النيويورك تايمزتحرير كفر رمان من حكم منظمة التحرير الفلسطينية، أحبطت البلدة بأثنين من التحصينات الضخمة التي أقامتها إسرائيل ووكيلها اللبناني وهو جيش جنوب لبنان، وهي التحصينات التي كانت تنطلق منها نيران القنص والقصف بشكل دائم، حيث كانت في بعض الأحيان تستمر من شروق الشمس حتى غروبها، وفي أحيان أخرى لاتستمر أكثر من بضع ساعات، مما أسفر عن مصرع العديد من الأشخاص، وأدى إلى فرار ستة آلاف شخص تاركين ثلاثة أرباع مساحة تلك القرية المحتضرة خالية من السكان، في حين لم تكن هناك أي إشارة إلى وجود أنشطة مقاومة وحيث لم يكن هناك احتمال كبير لوجود مقاومة بين المزارعين غير المسيسين على امتداد سفع العمل المنبسطفهل كان قصف كيريات شبمونه إرهابا أم انتقاما ، حتى إذا نحينا جانبا أعمالالقتل الوحشية التي أسفرت عنها عملية القبضة الحديدية التي قام بها بيريز ورابين ؟ كذلك فإن النظر إلى حياة هؤلاء الإرهابيين يزيد الأمور وضوحا لقد أجرت صحيفة الواشنطون بوست حديثا مع واحد منهم نشر في سلسلة من خمس حلقات عن الإرهاب، الذي تم التعامل معه على نحو انتقائى كالمعتاد وباعتباره يقضي عقوبة السجن لمدة ثمانية عشر عاما في أحد السجون الإسرائيلية، فقد جرى اختياره باعتباره ممثل من نواح عديدة نموذجا للإرهابيين المسجونين مابين لندن والكويت وقالت الصحيفة،لقد تضافرت في حياته مأساة شخصية مقتل والده إثر انفجار قنبلة في القدس عام 1946 مع اكتشافه لنظام عقائدى الماركسية، على نحو دفعه إلى عالم من جرائم القتل السياسية المتعمدة واستطردت تقول إن القنبلة التي قتلت والده وما يزيد على 90 شخصا آخرين، كانت قد وضعتها جماعة الأرجون

الصهيونية السرية، التي كان يقودها مناحم بيجن، في مقر عسكرى بريطاني، أصبح يسمى الآن فندق الملك داود ، كما كان في ذلك الوقت وقالت الصحيفة إنه قال أنه قد دخل الى الماركسية بسبب واقع الأوضاع في المخيمات الفلسطينية في الضفة الغربية المحتلة إن وانع، الأوضاع في الأراضي المحتلة، وليس في المخيمات فقط، هو واقع حقيقي تماما، ومرير وقاس، وليست له علاقة بما يكتب في صفحات الافتتاحيات في الصحف القومية، حيث يمكن أن نرى في الاحتلال نموذجا للتعاون المستقبلي و«تجربة في التعايش العربي - الإسرائيلي إن التوضيح ليس تبريرا، غير أنه من الواضح أن بعض الأسئلة تثور عن سهولة استخدام تعبيرات مثل الانتقام .

أو فلننظر إلى سليمان خاطر الجندي المصري الذي قتل سبعة من السياح الإسرائيليين على أحد شواطيء سيناء في الخامس من أكتوبر عام 1985 لقد ذكرت الصحف المصرية أن والدته قالت إنها سعيدة لموت هؤلاء اليهود، ووصف طبيب من قرية بحر البقر هذه الحادثة بأنها إنذار ضد السلام الوهمي بين مصر وإسرائيل فلماذا حدث رد فعل يبعث على الصدمة بهذا الشكل على جريمة نكراء ربما يكون قصف تونس قبل ذلك بأيام سببا من الأسباب، ولكن قد تكون هناك أسباب أخرى ففي عام ١٩٧٠، قصفت الطائرات الحربية الإسرائيلية قرية بحر البقر مما أسفر عن مقتل 47 تلميذا، خلال حرب الاستنزاف، عندما أدى القصف الإسرائيلي المكثف الذي كان بعضه يصل إلى عمق مصر إلى ترحيل مليون ونصف مليون من السكان المدنيين من منطقة قناة السويس، كما هدد بنشوب حرب شاملة عندما قامت طائرات الفانتوم التي كانت إسرائيل قد حصلت عليها في ذلك الوقت بإسقاط طائرات الميج التي كان يقودها طيارون سوفييت والتي كانت تحمى عمق مصر فوق الأراضي المصرية

ان هنالك عنصرا مفقودا عندئذ عندما يكتب مراسل صحيفة نيويورك تايمز في إسرائيل أن سليمان خاطر قام بهذا العمل نتيجة لدوافع قومية متطرفة ومناهضة لإسرائيل شيء لم يكن ليجرى تجاهله بالتأكيد لو أن الوضع كان معكوسا .

ويعلق دافيد هيرست قائلا ان المركز الرئيسي والحقيقي للارهاب الدولي بالمعنى الغربي المحرق للكلمة هو لبنان، الذي إما أنه يربى ارهابيين من داخله، أو يكون بمثابة الوطن الملائم الإرهابيين من الخارج، سواء كانوا فلسطينيين من لايعرفون كثيرا غير القصف والقتل والمذابح والتشويه وما يحيطهم من كراهية وخوف وانعدام الأمان أو لبنانيين ممن تلقي مجتمعهم لضربة قاضية تمثلت في العدوان الإسرائيلي الذي تدعمه الولايات المتحدة وعواقب هذا العدوان؛ أن هناك قناعة واحدة راسخة في عقول شباب اليوم من هذه الجماعات، وهي أنه في ظل حكم الرئيس ريجان، الذي أوصل مناصرة بلاده التقليدية لإسرائيل إلى أبعاد لم يسبق لها مثيل، أصبحت الولايات المتحدة الراعي الثابت لنظام كامل قائم بالفعل غير أنه غير محتمل لدرجة تبرر استخدام أية وسيلة الآن لتدميره إن الدافع الإرهابي قد يكون أقوى بين الفلسطينيين، غير أنه من الممكن أن يكون لبنانيا أو عربيا أو - في صورته الأكثر وضوحا وإثارة - شيعيا وقد أوضح الجنرال ياهو شفاط هاركابي الرئيس السابق للمخابرات العسكرية الإسرائيلية النقطة الجوهرية بقوله إن تقديم حل مشرف للفلسطينيين يحترم حقهم في تقرير المصير هو الحل لمشكلة الإرهاب فعندما يختفي المستنقع لن يكون هناك بعوض .

ولقد أسهم الإرهاب بالجملة والعدوان اللذان تمارسهما الولايات المتحدة وإسرائيل بالتأكيد في الوصول إلى الوضع الذي وصفه هيرست، بشكل يمكن التنبؤ به، وربما أيضا بشكل واع؛ كما تشعر كلتا الدولتين الإرهابيتين بالرضا الكامل عن النتائج التي توفر لهما المبرر

للاستمرار في مسيرة الرفض والعنف وفضلا عن ذلك، نجد أن إرهاب التجزئة الذي أسهمت فيه هاتان الدولتان بشكل فعال يمكن أن يستغل من أجل إشاعة حالة من الخوف والتعبئة بين السكان، وهو أمر مطلوب من أجل غايات أكثر عمومية وكل ما هو مطلوب هو نظام دعائى يمكن الاعتماد عليه ليكون بمثابة الجوقة التي تردد الشعارات حسب الطلب، وليتولى قمع أي منهم للمبادرات الأمريكية، أو النموذج الذي تعتمد عليه أو مصادرها أو دوافعها .وفي هذا الشأن، لايحتاج صناع السياسة لأن يشعروا بكثير من القلق .

إن الأعمال الإرهابية يصفها مرتكبوها عادة بأنها انتقامية، أو كما هو الحال بالنسبة للإرهاب الأمريكى والإسرائيلى، توصف بأنها وقائية وهكذا تم قصف تونس فيما زعم أنه انتقام من عمليات الاغتيال التي وقعت في لارناكا ، على الرغم من أنه لم يكن هناك بالكاد أي زعم بأن ضحايا قصف تونس كانت لهم أي علاقة بمذبحة لارناكا وعملية لارناكا نفسها كانت تبرر بأنها رد انتقامى على قيام إسرائيل باختطاف السفن التي تسافر من قبرص إلى لبنان في حين تقبل الولايات المتحدة الزعم الأول الإسرائيلي وتعتبره مشروعا، نجد أنها تتجاهل الزعم الثاني أو تهزأ به، فيما يمثل تمييزا يقوم على الالتزام الأيديولوجي كما يقضي العرف السائد .

وإذا تركنا جانبا المبررات التي تساق لأعمال العنف الإرهابي والتزمنا بالسجل الواقعي لهذه الأعمال، نجد أنه ليس ثمة شك في أن إسرائيل كانت تقوم بعمليات أختطاف في البحر على مدى أعوام عدة، ولم تكن هذه الجرائم تحظى هنا باهتمام يذكر على الرغم من أن جرائم مماثلة كانت تثير الحنق الشديد عندما يكون مرتكبوها من العرب ولم يكن يعتبر أمرا لائقا أن تذكر حقيقة أن المحكمة العليا الإسرائيلية قد صدقت بالموافقة على هذه الأعمال ففي قضية تقدم فيها عربي مسجون باستئناف ضد الحكم بسجنه على أساس

أنه قد ألقي القبض عليه وهو خارج المياه الإقليمية الإسرائيلية، قضت المحكمة العليا بأن مشروعية الحكم والسجن لاتتأثر بالسبل التي استخدمت لإحضار المتهم إلى الأراضي الإسرائيلية، وقضت كذلك بأنه يمكن أن تصدر المحكمة الإسرائيلية حكما على شخص لقيامه بأعمال خارج إسرائيل تعتبرها المحكمة أعمالا اجرامية. وفي هذه القضية، قالت المحكمة إن دواعي الأمن قد اقتضت الابقاء على المستأنف في السجن .

وإذا انتقلنا إلى السجل التاريخي، نجد أنه في عام 1976، وفقا لما ذكره عضو الكنيست والجنرال المتقاعد ماتيتياهو بيليد، بدأ الأسطول الإسرائيلي في الاستيلاء على قوارب تابعة للمسلمين اللبنانيين، وتسليمها للمسيحيين اللبنانيين الموالين لأسرائيل، ليقوموا بقتلهم في محاولة لإجهاض الخطوات الرامية إلى المصالحة التي كان يجري ترتيبها بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل وقد اعترف رئيس الوزراء رابين بهذه الحقائق، غير أنه قال لقد تم الاستيلاء على القوارب قبل بدء الترتيبات، في حين رفض وزير الدفاع شيمون بيريز التعليق على الأمر وبعد عملية تبادل الأسرى التي تمت في نوفمبر ١٩٨٣، ذكرت صحيفة النيويورك تايمز، في موضوع نشر في الصفحة الأولى، وفي الفترة الثامنة عشرة منه أن ٣٧ من المسجونين العرب الذين كانوا محتجزين في معسكر اعتقال أنصار السيء السمعة كان الأسطول الإسرائيلي قد اعتقلهم في الآونة الأخيرة أثناء محاولتهم السفر من قبرص إلى طرابلس شمال بيروت، ولم تثر هذه الملاحظة أي تعليق سواء في اسرائيل أو في أي مكان آخر .

وفي يونيو ١٩٨5 قامت إسرائيل باختطاف سفينة تعمل بين قبرص ولبنان على بعد خمسة أميال من الساحل اللبناني بعد أن أطلقت عليها سيلا من طلقات المدافع الرشاشة، وأجبرتها على التوجه إلى حيفا، حيث تم نقل تسعة أشخاص واحتجازهم، منهم ثمانية من اللبنانيين بينما كان التاسع سوريا وقد

تم إطلاق سراح خمسة أشخاص بعد استجوابهم واحتجز الأربعة الآخرون، وكان من بينهم سيدة وتلميذ صغير كانا عائدين من انجلترا لقضاء العطلة في بيروت، وتم إطلاق سراح اثنين منهم بعد اسبوعين، بينما لم ترد أية أنباء عن مصير الباقين وقد اعتبر هذا الأمر تافها حتى أنه كان يتعين على المرء أن يبحث في الأخبار القصيرة في الصحف الخلفية حتى يحصل على هذا القدر من المعلومات عن مصير الركاب المختطفين وقد أشارت صحيفة الأوبزرفره اللندنية إلى دافع سياسى : وهو إكراه الركاب على استخدام السفينة التي تقلع من ميناء جونية الماروني بدلا من بيروت الغربية التي يسيطر عليها المسلمون، أو إعطاء إشارات للبنانيين بأنهم بلاحول ولاقوة، ويجب أن يتوصلوا إلى اتفاق مع اسرائيل وقد شجب لبنان عمل القرصنة، هذا، الذي وصفه جود فرى جانسين بأنه بند آخر يضاف إلى القائمة الإسرائيلية الطويلة من أعمال البلطجة الدولية واستطرد جانسين يقول وللابقاء على قصص الإرهاب البحري الخيالية، قام الإسرائيليون في ذلك الوقت بقصف جزيرة صغيرة قبالة ساحل طرابلس تردد أنها قاعدة للعمليات البحرية التي تقوم بها منظمة التحرير الفلسطينية، وهو الزعم الذي رفضه جانسين باعتبارهم عبثا وذكرت الشرطة اللبنانية أن 15 شخصا قد لقوا مصرعهم، وأصيب عشرون، واعتبر عشرون آخرون في عداد المفقودين، وجميعهم لبنانيون من الصيادين والأطفال الذين كانوا يقيمون في معسكر سني للكشافة، وهو الذي كان أكثر المناطق تعرضا للقصف .

وذكرت صحيفة النيويورك تايزه في تعليقها على قيام إسرائيل باعتراض طريقه السفينة وهو التعبير الذي يستخدم في اللغة الجديدة بدلا من كلمة اختطاف، ذكرت أنه قبل حرب عام ١٩٨٢، كان الأسطول الإسرائيلي يقوم بانتظام باعتراض طريق السفن المتجهة إلى مينائي صور وصيدا الجنوبيين أو المغادرة لهما بحثا عن الفدائيين، وكانت الصحيفة

كالمعتاد تقبل المزاعم الإسرائيلية كما هي- ؛ أما قيام سوريا باعتراض طريقه السفن الإسرائيلية المدنية استنادا إلى ذريعة مماثلة، فكان سينظر إليه بشكل مختلف قليلا؛ كذلك، فان قيام إسرائيل باختطاف طائرة مدنية ليبية في الرابع من فبراير ١٩٨٩ قد استقبل باتزان كبير، وإذا كان قد تعرض لأي انتقاد على الإطلاق، فقد كان ذلك من زاوية أنه خطأ ناجم عن عدم دقة معلومات المخابرات وفي ٢٠ أبريل ١٩٨٥، اختطف عدة فلسطينيين من قوارب مدنية تعمل بين لبنان وقبرص، وأرسلوا إلى أماكن سرية في إسرائيل، الأمر الذي أصبع معروفا في إسرائيل عندما أجرى حديث مع واحد منهم في التليفزيون الإسرائيلي، مما أدى إلى رفع التماس للمحكمة العليا طلبا للحصول على معلومات؛ ومن المفترض أن يكون هناك أخرون غير معروفين .

ولم تؤد أي من هذه الحالات، التي لم يعرف معظمها إلا عن طريق تعليقات وردت بشكل عرضي، إلى اثارة أي اهتمام أو قلق، بأكثر مما أثارته الأنباء التي ترددت بشكل عابر عن أن المعتقلين الأمنيين العرب الذين أطلق سراحهم في مبادلة مع الأسرى في سوريا كانوا في الواقع، دروزا من سكان القرى الواقعة في القطاع الذي ضمته إسرائيل من مرتفعات الجولان الاستراتيجية لقد أصبح من الحقوق المقصورة على إسرائيل أن تقوم باختطاف السفن والأفراد وقت أن تشاء، فضلا عن تصف ما يطلق عليه أهدافا إرهابية، بموافقة الرأي العام العالي الصوت في الولايات المتحدة بغض النظر عما تكون عليه الحقائق .

ويمكننا أن نتوقف لحظة أمام الهجوم الإسرائيلي على الجزيرة الواقعة قبالة طرابلس شمالى بيروت، حيث لقي الصيادون اللبنانيون وأطفال الكشافة في أحد المعسكرات مصرعهم. ولم يلق ذلك اهتماما يذكر؛ غير أن هذا هو

العرف السائد في مثل هذه الأعمال الإرهابية الإسرائيلية التي تتم بانتظام، والتي لا تعد هذه الحادثة من أخطرها .

أما الهجمات الفلسطينية فإنها تؤخذ بشكل مختلف فليس هناك مايذكر برعب أكثر من مذبحة معالوت، التي وقعت في عام1974 ، حيث لقي ٢٢ من الأعضاء في جماعة شبه عسكرية للشباب مصرعهم خلال تبادل لإطلاق النار، بعد أن رفض موشيه ديان، رغم اعتراضات الجنرال مورد خاى جور التفاوض بشأن مطالب الإرهابيين المتعلقة بإطلاق سراح المسجونين الفلسطينيين وربما يتساءل المرء لماذا كان قتل أطفال الكشافة اللبنانيين أقل وحشية- بل في الواقع لم يكن وحشيا بالمرة، حيث إنه جاء من قبل دولة تعني الحياة للانسان الواشنطون بوست ولها غايات أخلاقية عليا النيويورك تايمز ربما تكون فريدة من نوعها في التاريخ .

وقبل هجوم معالوت بيومين، قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف قرية الكفير اللبنانية، مما أسفر عن مقتل أربعة مدنيين وحسبما يقول ادوارد سعيد، فإن هجوم معالوت قد سبقته أسابيع من الهجوم الإسرائيلي المتصل بالنابالم على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الجنوب اللبناني، أدى إلى مقتل ما يزيد على مائتي شخص وفي ذلك الوقت كانت إسرائيل منهمكة في عمليات إحراق الأراضي على نطاق واسع في الجنوب اللبناني، عن طريق الهجمات الجوية والقصف المدفعي وهجمات القوارب المزودة بالمدافع والعمليات الخاصة التي استخدمت فيها القذائف والقنابل والأسلحة المضادة للأفراد والنابالم، حيث لقي آلاف الأشخاص مصرعهم البيانات الدقيقة غير متاحة هنا لأن الغرب لايمكن أن ينشغل بمثل هذه الأمور، واضطر مئات الآلاف إلى النزوح شمالا إلى الأحياء الفقيرة المحيطة ببيروت .

وكان مقدار الاهتمام بذلك طفيفا، وما ينشر عنه ضئيل ولم بدون أي من هذه الأعمال في سجلات الإرهاب، بل إنها حتى لم تحدث بالقدر الذي يهتم به

التاريخ المعدل، على الرغم من أن الهجمات الإرهابية الفلسطينية التي وقعت أوائل السبعينيات كانت عن حق طبعا تدان بمرارة، ولاتزال تعد دليلا على أن الفلسطينيين لا يمكن أن يصبحوا شريكا في المفاوضات المتعلقة بمصيرهم .

وفي نفس الوقت، كانت أجهزة الإعلام تدان باستمرار باعتبار أنها تفرط في انتقاد إسرائيل، أو حتى لأنها موالية لمنظمة التحرير الفلسطينية - إنها حقا خبطة إعلامية على قدر كبير من الأهمية .

ويمكن أن نشير إلى التفسير الذي يقدمه لهذه الأحداث الزعماء الإسرائيليون الذين بوصفون هنا بالمعتدلين، مثل اسحاق رابين الذي كان سفيرا في واشنطون، ثم أصبح رئيسا للوزراء في الفترة التي شهدت أسوأ أعمال وحشية إسرائيلية في لبنان قبل كامب دافيد، حيث يقول: لا يمكننا أن نتجاهل محنة السكان المدنيين في الجنوب اللبناني إن من واجبنا الانساني أن نساعد سكان المنطقة، وأن نمنع الإرهابيين المعادين من القضاء عليهم ٧٩ .والذين قاموا بمراجعة مذكرات رابين التي تضمنت هذه الكلمات لم يجدوا أي خطأ بها؛ فبهذه الدرجة من الفاعلية يصاغ التاريخ المفيد من الناحية الأيديولوجية، وإلى هذه الدرجة من العمق يصل التعصب العنصري ضد العرب في الغرب .

وتجدر الاشارة كذلك إلى أن إسرائيل لاتتمتع وحدها بحق القرصنة والخطف فقد أدان نبأ أوردته وكالة أنباء تاس السوفيتية عملية إختطاف السفينة أكيلي لاورو التي وقعت عام ١٩٨٠، واتهم الولايات المتحدة بالنفاق، لأن رجلين كانا قد قاما باختطاف طائرة سوفيتية وقتلا مضيفة وأصابا عددا من أفراد الطاقم، قد حصلا على اللجوء السياسي في الولايات المتحدة التي رفضت تسليمهما إن هذه الحادثة غير معروفة بشكل محدد، كما أن تهمة النفاق لها فيما يبدو أسانيد موضوعية .

كما أن هذه الحادثة ليست الوحيدة من نوعها حيث يقول ابراهام صوفير المستشار القانونى لوزارة الخارجية الأمريكية أنه خلال الخمسينيات وعلى الرغم من معارضة أمريكا العنيفةلعمليات اختطاف الطائرات، نجد أن الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين قد رفضوا مطالب مقدمة من تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوشيتى وبولندا ويوغوسلافيا وغيرها من الأنظمة الشيوعية لتسليم أشخاص كانوا قد قاموا باختطاف طائرات وقطارات وسفن بهدف الهرب«ويزعم صوفير أن الولايات المتحدة قد أعادت فحص سياساتها ، في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، عندما وصلت حوادث اختطاف الطائرات إلى معدلات أشبه بالوباء، وأصبحت تشكل مشكلة خطيرة وتهديدا كبيرا لأمن الركاب الأبرياء بأكثر ما يمكن تحمله وهذا من قبيل استخدام اللغة الجديدة، حيث إن عمليات الاختطاف بدأت توجه ضد الولايات المتحدة وحلفائها ، ولذلك أصبحت تندرج ضمن أعمال الإرهاب بعد أن كانت تعتبر مقاومة بطولية للاضطهاد ومرة أخرى، نجد أن عمليات الاختطاف الموجهة بشكل دقيق والتي تؤيدها الولايات المتحدة لايرد ذكر لها بشكل واضح في أجهزة الإعلام أو فيما يكتبه من سطع نجمهم في مجال علم الإرهاب .

ويمكن أن نذكر كذلك أول عملية اختطاف طائرة تقع في الشرق الأوسط والتي لم تؤخذ هي الأخرى بشكل مألوف فقد قامت بها إسرائيل في عام 1954، عندما اعترضت الطائرات المقاتلة الإسرائيلية طائرة مدنية سورية وأجبرتها على الهبوط في مطار اللد وقد كتب موشيه شاريت رئيس الوزراء في مذكراته الشخصية أن رئيس الأركان موشيه ديان كان يهدف إلى احتجاز رهائن حتى نتمكن من إطلاق سراح مسجونينا في دمشق وكان هؤلاء المسجونون جنودا إسرائيليين ألقي القبض عليهم لقيامهم بمهمة التجسس داخل سوريا؛ ونتذكر هنا أن ديان هو نفسه الذي قام بعد ذلك

بعشرين عاما بإصدار أوامر لبدء عملية الإنقاذ التي أسفرت عن مقتل الشباب الإسرائيليين في معالوت الذين كانوا قد احتجزوا كرهائن بهدف إطلاق سراح المسجونين الفلسطينيين في إسرائيل وكتب شاريت في مذكراته الخاصة لم يكن لدينا أي مبرر مهما كان لاحتجاز الطائرة ، وأنه لم يكن لديه مايدعوني للشك في صدق التأكيدات الواقعية التي أصدرتها وزارة الخارجية الأمريكية عن أن عملنا هذا لم يسبق له مثيل في تاريخ الممارسات السياسية غير أن هذه الحادثة قد اختفت من التاريخ، حتى أن بنيامين نتانياهو السفير الإسرائيلي لدى الأمم المتحدة، والذي يعد الآن من أهم من كتبوا في موضوع الإرهاب الدولي، يمكن أن يظهر على شاشات التليفزيون ليتهم منظمة التحرير الفلسطينية باختراع، عمليات خطف الطائرات، وحتى اغتيال الدبلوماسيين، دون أن يخشى أي معارضة لما يقول وفيما يتعلق باغتيال الدبلوماسيين يمكن أن نذكر عملية اغتيال وسيط الأمم المتحدة فولك برنادوت في عام 1948، التي قامت بها جماعة إرهابية كان يتزعمها وزير الخارجية، اسحق شامير الرئيس المباشر لنيتيناهو والذي كان أحد القادة الثلاثة الذين أصدروا أمر الاغتيال وكان الثاني، وقد مات، صحفيا بارزا في إسرائيل لعدة أعوام، وكذلك كان الثالث وقد اعترف صديق مقرب لدافيد بن جوريون في حديث خاص أنه كان أحد الذين قاموا بعملية الاغتيال، غير أن بن جوريون أبقى على هذا الأمر سرا، وقامت الحكومة الإسرائيلية بالترتيبات اللازمة لتهريب المسئولين عن العملية واخراجهم من البلاد .

وقد كتب المؤرخ الصهيوني جون كيخى، ضمن روايته كشاهد عيان، أنه لم يكن هناك نداء على نطاق واسع في البلاد وعزم فعلي لألقاء القبض على الجناه ، ولم يكن هناك كذلك شعور عام بالإدانة الأخلاقية ويستطرد قائلا : كان موقف الأغلبية هو أن عدوا آخر لليهود قد سقط على جانب الطريق.

كذلك، فإن الاغتيال قد شجب وأدين لأنه كان من الممكن أن يؤدى إلى وقوع انعكاسات على إسرائيل ويصعب من مهمة الدبلوماسيين الإسرائيليين؛ وليس لأنه من الخطأ في حد ذاته اللجوء إلى الاغتبال وفي ذاكرتنا المنتقاة بشكل ملائم، يظل العرب وحدهم هم الذين يمثلون بلاء الإرهاب .

فبعد اختطاف السفينة اكيلى لاورو كرد انتقامى على قصف تونس، أصبح موضوع اختطاف السفن من أكثر الموضوعات التي تشغل اهتمام الغرب. وخلصت دراسة أعدتها وكالة أنباء رويتر إلى أنه لم يقع سوى عدد ضئيل من عمليات اختطاف السفن منذ عام ١٩٩١ وأعطت بعض أمثلة لهذه العمليات قام بها مسلمون؛ في حين أن أعمال الاختطاف التي قامت بها إسرائيل لم ترد نهائيا في هذه القائمة .

وليس الاختطاف هو الشكل الإرهابي الوحيد الذي يغفل عندما يقوم به أصدقاؤنا فقد أوضحت جين كير كباتريك أن قيام عملاء فرنسيين بتفجير السفينة رينبو ووريرر التابعة المنظمة السلام الأخضر المناهضة للتسلح النووي، والتي أسفرت عن مصرع شخص واحد، لم يكن بالعمل الإرهابي، وقالت: أود أن أقول إن الفرنسيين لم يكونوا بوضوح يعتزمون مهاجمة المدنيين أو المتفرجين أو تشويههم وتعذيبهم وقتلهم فهذا ما يمكن أن يقوم به إرهابيون أخرون بسهولة وقد كتبت صحيفة إشيان وول ستريت جورنال في مقالها الافتتاحى تحت عنوان أفضل ساعات ميتران تقول إن حملة السلام الأخضر خطيرة وعنيفة إلى حد كبير وحقيقة أن الحكومة الفرنسية كانت على استعداد لاستخدام العنف ضد السفينة رينبو ووريرإنما تشير إلى أن الحكومة كانت ترتب أولوياتها بشكل صحيح في صحيفة نيويورك تايمز، عرض دانيد هر سيجو كتابا، عن هذا الموضوع ينتقد الفرنسيين لتخبطهم ولارتكابهم خطأ كبيرا ، ويقول لم تكن هناك حاجة لتفجير السفينة،

وكان بإمكان الفرنسيين الوصول إلى الهدف نفسه في مقابل قدر أقل بكثير من التشهير وليس هناك ما يدل على أن كلمات أكثر قسوة يمكن أن تقال وفي ضوء هذا التخبطه، استخلص هو سيجو أنه كان من الصعب إيجاد المبررات لعدم تجريم وزير الدفاع هيرنو، كما كان من الصعب القاء اللوم على النيوزيلانديين لإلقائهم القبض على الضباط الفرنسيين، ويناقش هو سيجو المقارنة بين هذه القضية وقضية ووترجيت، مغفلا أكبر وجه الشبه بينهما: ففي هذه القضية أيضا، كانت هناك ضجة كبيرة حول مسألة التخبطه وصغر شأن الجرائم، وكثير من الرضا عن النفس من جانب أجهزة الإعلام، في حين تجاهل كل من الكونجرس وأجهزة الإعلام الجرائم الحقيقية التي ارتكبتها حكومة نيكسون باعتبارها لاعلاقة لها بالموضوع فالامبراطور محصن ضد الاتهام بالإرهاب، أو بجرائم أخرى، كما أن حلفاءه غالبا ما يشاركونه في هذا الامتياز فهم على أسوأ تقدير، يتهمون بالتخبطه فحسب وقد يستحق جورج شولتز جائزة النفات في هذا المجال حيث إنه في الوقت الذي يشن فيه حملة نشطة ضد الإرهاب، فإنه يصف الزعم القائل بأن الإرهابي في نظر شخص ما هو مناضل من أجل الحرية في نظر شخص آخر، يصفه بأنه زعم خبيث ويقول : إن المناضلين من أجل الحرية أو الثوريين يقومون بنسف الأتوبيسات التي تحمل غير المقاتلين. والقتلة الإرهابيون هم الذين يفعلون ذلك المدافعون عن الحرية لايغتالون رجال الأعمال الأبرياء، أو يختطفون الرجال والسيدات والأطفال الأبرياء القتلة الإرهابيون هم الذين يفعلون ذلك رجال المقاومة في أفغانستان الايدمرون القرى أو يقتلون من لاحول لهم ورجال الكونترا في نيكاراجوا لايقومون بنسف أتوبيسات المدارس، أو يقومون بعمليات قتل جماعية للمدنيين وفي الواقع، فإن الإرهابيين الذي يقودهم شولتز في نيكاراجوا متخصصون كما يعرف هو، بشكل محدد في الهجمات الإجرامية

القاتلة على المدنيين فضلا عن التعذيب والاغتصاب والتشويه؛ إن سجلهم الإرهابي البغيض معزز بالوثائق، على الرغم من تجاهله وسرعة نسيانه أو حتى إنكاره من جانب المدافعين عن الإرهاب أما رجال المقاومة في أفغانستان، فقد قاموا كذلك بمذابع وحشية من النوع الذي كان من الممكن أن يثير اعتراضات محمومة في الغرب، إذا كانت القوات المهاجمة التي سيطلق عليها في هذه الحالة قوات التحريرالتي تعمل دفاعا عن النفس من الأمريكيين والإسرائيليين وقبل بضعة أشهر فقط من حديث شولتز، كان أصدقاؤه من أعضاء منظمة يونيتا في أنجولا يتفاخرون بإسقاطهم طائرة مدنية تحمل ٢٩٩ شخصا، كما كانوا قد أطلقوا سراح ٢٩ رهينة كانوا قد ظلوا محتجزين لمدة تسعة أشهر، من بينهم ٢١ من المبشرين البرتغاليين والأسبان ومن أمريكا اللاتينية .كما أعلنوا حملة جديدة من العصيان المدني وفقا لما ذكرته وكالة أنباء AY الأسوشيتدبرس، مشيرة إلى الانفجار الذي وقع في لراندا وراح ضحيته ٣٠ شخصا وأصيب مايزيد على ستين شخصا عندما انفجرت سيارة جيب محملة بالديناميت في المدينة كما قاموا باحتجاز مدرسين وأطباء أوروبيين وغيرهم، ذكرت الصحف أن عددهم بلغ 440 أجنبيا ، من بينهم 16 من الفنيين البريطانيين احتجزوا كرهائن، على حد قول زعيمهم جوناس ساشيمبي، وتقرر عدم إطلاق سراحهم حتى تقدم رئيسة الوزراء مارجريت تاتشر لمنظمته نوعا من الاعتراف إن مثل هذه الأعمال تتم بانتظام؛ فعلى سبيل المثال هناك عملية تفجير أحد الفنادق في أبريل ١٩٨٩، التي راح ضحيتها 17 شخصا من المدنيين الأجانب، وأصيب كثيرون آخرون وقد قالت جين كيركباتريك في مؤتمر لجماعة العمل السياسي المحافظة حظي فيه سائيبى بإشادة حماسية إثر تعهده بمهاجمة المنشات البترولية الأمريكية في بلاده، قالت إن ساثيمبى هو أحد الأبطال الحقيقيين القلائل في زمننا الحالي، وكان ماتعهد به ساشيمبي خطة

لقتل الأمريكيين ولكنها لم تدفع الولايات المتحدة إلى تطبيق مذهبها الذي يطالب بالدفاع عن النفس ضد هجمات قد تحدث في المستقبل الذي استخدم لتبرير قصف القذافي والكلب المسعور؛ تماما كما لم يحدث قصف لجوهانسبرج عندما أنقى القبض على قوات المرتزقة التابعين لجنوب أفريقيا في مايو 1985 في شمالى أنجولا خلال قيامهم بهمة التدمير هذه المنشآت وقتل الأمريكيين؛ فالدولة الإرهابية يجب أن تصدر أحكامها بدقة وحذق .

وفي دنيا الواقع نجد أن سائيمبى يعد مناضلا من أجل الحرية بالنسبة لشولتز وكيركباتريك وغيرهما من كبار قادة الإرهاب ومناصريه، وهو مايرجع أساسا إلى أن منظمة يونيتا هي الحمامة العميلة لدولة جنوب أفريقيا التي تحظى بالقدر الأكبر من المساندة من أجل إشاعة عدم الاستقرار في الدول المجاورة أما فيما يتعلق بجيوش الكونترا التي يدعمها شولتز، فإن مهمتها الأساسية، كما لاحظنا من قبل، هي احتجاز كل سكان نيكاراجوا المدنيين كرهائن تحت تهديد الإرهاب الوحشى لإجبار الحكومة على التخلي عن أي التزام لتلبية حاجات الأغلبية الفقيرة، ولصالح السياسة المعتدلة والديمقراطية التي تخدم المتطلبات الأعلى لقطاع الأعمال الأمريكى وعملائه المحليين، كما هو الحال في الدول التي تحسن التصرف في ظل الرعاية الأمريكية .

غير أنه في ظل هذا المناخ الثقافي الفاسد والمنحرف الذي يرتع فيه قادة الإرهاب والمدافعون عنه، تمر تصريحات شولتز وتصريحات مماثلة لها دون أن تثير دهشة أحد .

إن احتجاز الرهائن يعد بوضوح عملا من أعمال الإرهاب وليس هناك شئ اذن في أن إسرائيل مدنية لأرتكابها عملا خطيرا من أعمال الإرهاب الدولي، عندما نقلت نحو ١٢٠٠ سجين، معظمهم من الشيعة اللبنانيين، إلى

إسرائيل في طريق انسحابها من لبنان، منتهكة بذلك القانون الدولي، وعندما أوضحت أنها سوف تطلق سراحهم وفقا لجدول زمني غير محدد يوضع وفقا للأوضاع الأمنية في الجنوب اللبناني -وهو ما يعني بوضوح أنهم سوف يحتجزون كرهائن إلى أن يثبت حسن تصرف السكان المحليين الموضوعين تحت حراسة القوات الإسرائيلية وقوات المرتزقة التابعة لها في المنطقة الأمنية في الجنوب اللبناني وفي المناطق المجاورة. وكما ذكرت مارى ماكجروري، فيما كان خروجا نادرا عن الإجماع العام، فإن هؤلاء المسجونين كانوا رهائن في السجون الإسرائيلية، وأنهم ليسوا مجرمين؛ لقد احتجزوا كضمان ضد الهجمات عندما كان الاسرائيليون يغادرون لبنان بشكل نهائي -وفي الواقع لم يكن هناك اعتزام بترك الجنوب اللبناني حيث احتفظت إسرائيل منطقتها الأمنية؛ وحتى الانسحاب الجزئي لم يتحقق إلا بفضل المقاومة اللبنانية وقد تم نقل 140 سجينا بشكل سرى إلى إسرائيل في نوفمبر ١٩٨٣ انتهاكا لاتفاقية مع الصليب الأحمر كانت تقضي بإطلاق سراحهم في عملية تبادل للأسرى بعد الإغلاق الذي ثبت فيما بعد أنه مؤقت لمعتقل أنصار، الذي كان مسرحا لأعمال وحشية، والذي كان كثيرا ما يوصف بأنه معسكر اعتقاله من جانب الإسرائيليين الذين كانوا يعملون فيه أو يزورونه ويصيبهم الاشمئزاز من التصرفات الهمجية للسجانين؛ حيث ظل المسجونون يحرمون حتى من زيارات الصليب الأحمر لهم حتى يوليو وقد ذكر ناحمان شاي المتحدث باسم وزارة الدفاع الإسرائيلية أنه من بين ٧٩٩ مسجونا كانوا مايزالوا محتجزين في يونيو 1985، كان ٤٠٠ مسجون قد ألقي القبض عليهم للقيام بأنشطة إرهابية - وهو ما يعني مقاومة الاحتلال العسكري الإسرائيلي - في حين ألقي القبض على بقية المسجونين لقيامهم بأشكال أقل عنفا من النشاط السياسي أو تنظيم أنشطة تستهدف تقويض الوجود العسكري الإسرائيلي في لبنان، وفقا لما ذكره شاى .

وكانت إسرائيل قد تعهدت بإطلاق سراح ٣٥٠ من الرهائن في العاشر من يونيو، غير أنها ألغت قرار الإفراج في آخر لحظة لأسباب أمنية لم توضح أبدا بشكل كاملوبعد ذلك بأربعة أيام، قامت جماعة من الشيعة اللبنانيين تردد أنهم من أصدقاء وأقارب الرهائن الذين تحتجزهم إسرائيل باختطاف طائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية العالمية في رحلتها رقم ٨٥٧، واحتجزوا رهائن في محاولة لإطلاق سراح الرهائن الذين تحتجزهم إسرائيل، مما أثار نوبة جديدة متناغمة من نوبات هيستيريا النفاق المطبق في الولايات المتحدة، والتي تضمنت تلميحات عنصرية مكشوفة وهجمات على أجهزة الإعلام التي أتاحت للمختطفين فرصة عابرةالتوضيح موقفهم، بما كان تدخلا في الانضباط الشمولي الذي يعتبر ملائما داخل النظام الدعائي .ولم يكن المختطفون الإسرائيليون في حاجة إلى من يسهل لهم بشكل خاص الوصول إلى أجهزة الإعلام الأمريكية، التي كانت ترحب بتبليغ الرسالة نيابة عنهم، غالبا في صورة أخبار .

وتتعرض أجهزة الإعلام عموما إلى اتهامات بأنها تساند الإرهاب، لسماحها للإرهابيين بالتعبير عن مواقفهم؛ ولاتعود هذه الاشارة على الظهور المتكرر لرونالد ريجان أو جورج شولتز أو إليوت إبرامز أو غيرهم من الإرهابيين البارزين، الذين يقدمون رسالاتهم بدون أي تعليق أو رد عليها، إنطلاقا من إطار المفاهيم والافتراضات التي تحكم ما يطلق عليه التغطية الاخبارية وقد تجاهلت الصحافة البيانات التي أدلى بها المختطفون والتي تفيد أنهم يرغبون في تأمين إطلاق سراح الرهائن المحتجزين لدى إسرائيل - الذين هم بالطبع ليسوا رهائن في اللغة الأمريكية، حيث إنهم محتجزون من جانبنا ، نحن وقد تم بسهولة توضيح وعرض لامعقولية الذريعة التي ساقها الشيعة حيث أوضحت فلورا لويس أنه أمر لا يتفق مع شخصية الشيعة المقاتلين الذين يجدون الاستشهاد ولايعبأون كثيرا بقتل الأخرين، أن

يقلقوا إلى هذا الحد على موعد الافراج عن المسجونين ؛ وهو تعبير آخر عن المفهوم المفيد القائل بأن الطبقات الدنيا لاتشعر بالألم وقد قدم محررو النيويورك تايمز البرهان المؤثر على أن إسرائيل كانت تعتزم ترضية الشيعة الساخطين في الأسبوع الماضي أي قبل بضعة أيام من اختطاف الطائرة غير أنهم تعطلوا بسبب عملية اختطاف عدد من الفنلنديين الذين يعملون ضمن القوات التابعة للأمم المتحدة في لبنان؛ وقد أشارت النيويورك تايمز في خبر من 90 كلمة إلى الاتهام الذي وجهته فنلندا أنه خلال هذا الحدث الذي ليس له أي علاقة بالموضوع كان الضباط الإسرائيليون يشاهدون رجال الميليشيات اللبنانية وهم يضربون الجنود الفنلنديين المختطفين التابعين لقوات الأمم المتحدة في لبنان دون أن يحركوا ساكنا لمساعدتهم في حين كان أعضاء جيش جنوب لبنان يضربونهم بالقضبان الحديدية وخراطيم المياه وراحت صحيفة النيويورك تايمز تهدد قائلة، إن هناك العديد من الجرائم تحدث هنا ،وتدين مختطفي طائرة شركة الخطوط الجوية العالمية والسلطات اليونانية التخاذلها ، بل وكذلك الولايات المتحدة لإخفاقها في معاقبة ايران لإيوائها للمجرمين الذين قتلوا اثنين من الأمريكيين خلال عملية اختطاف طائرة في العام الماضي أما احتجاز إسرائيل للرهائن، فإنه لم يندرج ضمن هذه الجرائم .

أما برنارد لويس مؤرخ الشرق الأوسط في جامعة برينستون، والذي يتمتع بسمعة أكاديمية تجعل من غير الضروري تقديم أدلة أو تفنيدات للرد على الأدلة المضادة الواضحة، فقد أكد بشكل قاطع أن المختطفين أو من أرسلهم كانوا يعرفون بالتأكيد أن الإسرائيليين كانوا يعتزمون إطلاق سراح الشيعة وغيرهم من اللبنانيين المحتجزين، وأن قيامهم بتحد من هذا النوع كان من شأنه فقط أن يعطل إطلاق سراح المحتجزين بدلا من أن يؤدي إلى الإسراع به .وكان يمكنهم أن يستمروا في» تحدى امريكا واهانة الأمريكيين، لأنهم

يعلمون أن أجهزة الإعلام المتخاذلة سوف توفر لهم قدرا غير محدود من الدعاية، وربما نوعا من أنواع التأييد ولنتذكر أن هذا مايردده أكاديمي محترم في صحيفة محترمة، وهي حقيقة تلقي بعض الضوء مرة أخرى على الحمى الهزلية التي يحسبها الناس حياة ثقافية .

وقد تجاهل محرر مجلة نيوريبليك المطلب الشيعي المتعلق بإطلاق سراح الرهائن المحتجزين لدى إسرائيل باعتباره، هراء محضا ، قائلين : إن اختطاف الطائرات والأشخاص وعمليات الاغتيال والمذابح في الأساليب التي يعتمد عليها الشيعة وغيرهم من الفصائل اللبنانية لإنجاز أعمالهم السياسية، وأن الجميع كانوا يعرفون أنه كان من المقرر إطلاق سراح السجونين الذين تحتجزهم إسرائيل - عندما تكون إسرائيل بخير وعلى استعداد لذلك وقد أضاف الرئيس ريجان إلى هده الهيستيريا نقطة جديدة بتوضيحه أن الهدف الحقيقي، للإرهابيين هو طرد أمريكا من العالم لا أقل من ذلك؛ في حين أشار نورمان بود هوريتس إلى أن استخدام القوة كان سيؤدي على الأرجع إلى مقتل الرهائن الأمريكيين، وأدان ريجان لإخفاقه في المغامرة بالحياة نفسها ويفصد حياة الآخرين دفاعا عن الشرف الوطني بينما دعا ادوارد كوخ تمدة نيويورك إلى قصف لبنان وإيران وغيرهما ممن يتظاهرون باتخاذ المواقف البطولية ومن ناحية أخرى للقارئ الدقيق أن يكتشفت من بين سطور التقارير الصحفية التي ترد عن أزمة الرهائن، أن ألفين من اللبنانيين الشيعة، من بينهم ٧٠٠ طفل قد فروا من منازلهم تحت قصف نيران جيش جنوب لبنان الموالي لإسرائيل، الذي أطلق النار كذلك على سيارات الجيب التابعة لقوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، في حين أعلن متحدث باسم الأمم المتحدة أن قوة تضم جنودا إسرائيليين وبعض رجال الميليشيات التي يرأسها المسيحيون، قد تسللت إلى قرية لبنانية اليوم واحتجزت تسعة عشر شخصا من الشيعة .

والجدير بالذكر أن إسرائيل بدأت بعد اختطاف الطائرة في إطلاق سراح الرهائن وفقا الجدولها الزمني الذي تم التعجيل به على الأرجح لأن حادثة اختطاف الطائرة قد ركزت الاهتمام الدولي على عملية الاختطاف الأوسع نطاقا التي قامت بها إسرائيل. وعندما تم إطلاق سراح ٣٠٠ من المسجونين في الثالث من يونيو، ذكرت وكالة أنباء الأسوشيتد برس ضمن شهاداتهم أنهم قد تعرضوا للتعذيب والتجويع، في حين نجد أن توماس فريدمان يقول فيه النيويورك تايمز إنه لم يسمع سوى أنهم قالوا لقد تلقينا معاملة طيبة من جانب الإسرائيليين وفي النهاية، كتب ريجان رسالة إلى شيمون بيريز، يقول فيها إن أزمة رهائن بيروت قد أدت الى تعزيز العلاقات بين بلدينا ؛ دون أن يذكر شيئا عن أزمة الرهائن الأخرى التي لاتعد جزءا من التاريخ الرسمي .

وحتى بمعايير اللغة الجديدة التي يستخدمها الغرب، فإن الأ عمال الإسرائيلية كانت ستندرج ضمن أعمال احتجاز الرهائن لو لم تكن إسرائيل هي أحد عملاء الامبراطور الذين يقومون بأعمال القرصنة في كافة أرجاء العالم، وهو ما يعنيها من هذه التهمة غير أنه يجدر بالتأكيد مرة أخرى على حدود المفاهيم الأورويلية للخطاب السياسي المعاصر، الذي يفسر تعبيرات مثل الإرهاب والرهائن بحيث يستبعد انطباقها على أكثر الأمثلة فجاجة، مثل الوضع في نيكاراجوا أو في الجنوب اللبناني حيث يحتجز السكان بأكملهم كرهائن لضمان طاعتهم للسيد الأجنبي، ويتسم هذا الاستخدام للتعبيرات بأنه الزامى، انطلاقا من الطبيعة الحقيقية للإرهاب الدولي بالجملة والضرورة الواضحة لمنع أي فهم آخر له .

وإذا اكتفينا بالحديث عن الشرق الأوسط، منجد أن منظمي الإرهاب الدولي يفهمون هذه المسألة جيدا إلى حد ما فأبا إيبان الدبلوماسي الإسرائيلي الذي يعد من أبرز الحمام، أوضح الأسباب التي أدت إلى الهجوم الوحشي على

الجنوب اللبناني خلال السبعينيات بقوله لقد تم أخيرا تحقيق الفكرة العقلانية القائلة بأن السكان المتأثرين بالهجوم سيفرضون مضغوطا الوقف الأعمال العدائية ضدنا؛ وبترجمة ذلك إلى لغة بسيطة نجد أنه يقول : إن سكان الجنوب اللبنانى كانوا محتجزين كرهائن تفرض ضغوط عليهم حتى يجبروا الفلسطينيين على تبولة الوضع الذي تفرضه عليهم حكومة حزب العمل التي يمثلها أبا إيبان، الذي كان قد صرح بأن الفلسطينيين ليس لهم أي دور يقومون به في أي تسوية للسلام وقد أوضح موردخاى جور رئيس الأركان في عام 1948 أنه «منذ ثلاثين عاما ونحن نحارب سكان القرى والمدن، مشيرا إلى أحداث مثل قصف مدينة أربد الأردنية وعمليات الطرد التي تمت عن طريق قصف عشرات الآلاف من سكان وادي الأردن، وطرد مليون ونصف مليون من سكان منطقة قناة السويس، فضلا عن أمثلة أخرى تعد كلها جزءا من برنامج احتجاز السكان المدنيين كرهائن في محاولة لمنع أي مقاومة للتسوية السياسية تفرضها إسرائيل بالقوة، ومن ثم المحافظة على بقائها، في حين ترفض إسرائيل احتمال اقرار أي تسوية سياسية أخرى، فهنالى على سبيل المثال الأقتراح الذي تقدم به السادات عام ١٩٧١ لعقد اتفاقية سلام شاملة وفقا للحدود العترف بها دوليا كذلك فإن الممارسات الإسرائيلية المعتادة لعمليات الانتقامالموجهة ضد أهداف مدنية عزلاء لا علاقة لها بالأعمال التي يقوم بها الإرهابيون والتي غالبا من تأتي هي نفسها كرد نمل إرهابى اسرائيلى سابق، إن هذه الممارسات إنما تعكس التصور نفسه، الذي يمثل خروجا - بدأ في أوائل الخمسينيات - عن أقوال بن جوريون السابقة بأن رد الفعل لا يكون فعالا، إلا إذا تم توجيهه بدقة: فإذا عرفنا العائلة - يجب علينا أن نضرب بلا رحمة حتى النساء والأطفال .

تشترك القيادة العسكرية الإسرائيلية مع جور الى حد كبير في فهمه للحروب الإسرائيلية .خلال عمليات القبضة الحديدية في أوائل عام ١٩٨٠،

حذر اسحاق رابين وزير الدفاع من أنه . إذا اقتضت الضرورة، فإن إسرائيل ستنتهج سياسة احراق الأراضي كما فعلت في وادى
الأردن خلال حرب الاستنزاف مع مصر وأضاف رابين إن لبنان كمصدر للإرهاب تعد الآن أكثر خطورة مما كانت عليه في عام ١٩٨٢، حيث يشيع الإرهابيون من الشيعة الفزع في أوروبا الغربية وهم لم يقوموا بذلك قبل الغزو الإسرائيلي للبنان في عام ١٩٨٢، ولكنه لايوضع أسباب ذلك، بحيث يكون على إسرائيل أن تحتفظ بمنطقة في الجنوب يمكنها التدخل فيها أما دوبيك تامارى قائد المظلات المخضرم، الذي أعطى أوامره بدك مخيم عين الحلوة الفلسطيني بالطائرات والقصف المدفعي نيما بعد تطبيقا آخر للتعبير الوهمي طهارة السلاح لإنقاذ حياة الجنود الذين كانوا تحت إمرته، فقد برر ذلك بقوله إن دولة إسرائيل كانت تقتل المدنيين منذ عام 1947»، تقتل المدنيين عن عمد، باعتبار ذلك هدفا من أهدافها .

وقد ذكر تاماري على سبيل المثال الهجوم الذي شن على قرية قبيه في عام 1953، عندما قامت الوحدة رقم ١٠١ التابعة لأرييل شارون بقتل سبعين شخصا من القرويين العرب في منازلهم فيما زعم أنه رد فعل انتقامى على هجوم إرهابي لم يكن لهؤلاء القرويين أي علاقة به على الإطلاق، وقد زعم بن جوريون في حديث لراديو إسرائيل أن مدنيين إسرائيليين أثارهم الإرهاب العربي هم الذين قاموا بقتل القرويين العرب، ومعظم هؤلاء المدنيين الإسرائيليين كانوا من اللاجئين من دول عربية أو الناجين من معسكرات اعتقال النازى نانيا الزعم الوهمي القائل بأن قوات الجيش الإسرائيلي كانت متورطة في هذه الأحداث - وهو كذب سافر يضع المستوطنات الإسرائيلية بشكل أكبر تحت تهديد رد الفعل الانتقامي على هذه المذبحة المتعمدة ومن الحقائق غير المعروفة على نطاق واسع أنه قبل

مذبحة قرية نبيه بشهر واحد، أرسل موشي ديان الوحدة رقم ١٠١ لندفع بأربعة آلاف من البدو من قبيلتي العزازمة وطربين عبر الحدود المصرية، في خطوة أخرى من خطوات الطرد التي ظلت مستمرة منذ عام ١٩٠٠، بعد فترة وجيزة من وقف إطلاق النار وفي مارس عام 5419، لقي أحد عشر إسرائيليا مصرعهم في كمين، لأحد الأوتوبيسات في شرق منطقة النقب نصبته مجموعة من أفراد قبيلة العزازمة فيما اعتبر عملية إرهابية بلا مبرر ، مما أدى إلى قيام إسرائيل بغارة على قرية نحالين الأردنية التي ليست لها أي علاف بالحادثة الأولى فيما اعتبر ردا انتقاميا وفي أغسطس عام 1953 قامت الوحدة ١٠١ التابعة لشارون بقتل عشرين شخصا ، ثلثاهم من الأطفال والنساء، في مخيم البريج للاجئين في قطاع غزة كرد انتقامى على أعمال التسلل عبر الحدود ومن الممكن رصد دائرة أعمال الانتقام التي يقوم بها اليهود وأعمال الإرهاب التي يقوم بها الفلسطينيون خطوة بخطوة منذ سنوات عديدة ، وهي تجربة سوف تكشف سريعا أن هذه المصطلحات تنتمي إلى عالم الدعاية ولا تعتمد على الوصف الموضوعي للحقائق .

وهنا أيضا يمكننا أن نلاحظ الفاعلية التي تمت بها إعادة صياغة التاريخ حتى يخدم الأيديولوجيا بشكل أكبر. فقد كتب توماس فريدمان في تعليق على استراتيجية الإرهاب المضاد الإسرائيلي كتب يقول إن أحسن ماتوصف به الفترة الأولى من 1948 حتى ١٩٠٩ هو أنها فترة الإرهاب المضاد - عن طريق - الانتقام أو التغذية العكسية السالبة، وإن كانت واحدة على الأقل من هذه الأعمال الانتقامية قد أثارت جدلا عنيفا بسبب سقوط عدد من الضحايا المدنيين، وكان على الأرجح يشير إلى حادثة قرية قبيه ولايكاد مايرد في السجل الأكاديمى يختلف عن ذلك كذلك فإن عمليات القبضة الحديدية التي قام بها الجيش الإسرائيلي في الجنوب اللبناني في أوائل عام ١٩٨٠ كان يحكمها المنطق الذي أكد عليه أبا إيبان كما ذكرنا من قبل كان

السكان المدنيون محتجزين كرهائن تحت تهديد الإرهاب لضمان قبولهم للتسويات السياسية التي تفرضها إسرائيل في الجنوب اللبناني والأراضي المحتلة ولا تزال التحذيرات سارية، فالسكان يظلون محتجزين كرهائن، دون أن يثير ذلك أي قلق في الدولة العظمى التي تمول هذه العمليات وتعوق أي تسوية سياسية ذات معنى .

وفي حين لايتعرض الإرهاب بالجملة، بما فيه احتجاز الرهائن، إلى الانتقاد في اللغة الجديدة المستخدمة في الغرب، عندما تقوم به عناصر تحظى بالرضا عنها، فإن عمليات الإرهاب التي تتم على نطاق ضيق من قبل نفس العناصر تحظى هي الأخرى بنفس الامتيازات كما أوضحنا من قبل وإذا استعرضنا بعض الحالات الدالة الأخرى فحسب، نجد أنه في نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٨٣، أعربت إسرائيل بوضوح عن أنها لن تسمع لقوات عرفات بالجلاء من المدينة طرابلس التي تقع في شمال لبنان التي كانوا يتعرضون فيها لهجمات من جانب القوات الموالية لسوريا، طالما لايزال مصير المسجونين الإسرائيليين موضع شك لذلك قامت إسرائيل بقصف ما كان يسمى مواقع الفدائيين، لتمنع رحيل السفن اليونانية التي كان من المقرر أن تقل الموالين لعرفات وذكر المتحدثون باسم الدروز أن أحد المستشفيات قد تعرض للقصف خلال الهجوم الذي شن على ما كان يوصف بأنه قواعد فلسطينية شرقى بيروت؛ وفي طرابلس تعرضت سفينة شحن جانحة إلى إصابة مباشرة أغرقتها، و اشتعلت النيران في شاحنة أخرى عندما أصيبت بقذيفة ومرة أخرى احتجز السكان، فضلا عن السفن الأجنبية، كرهائن لضمان إطلاق سراح المسجونين الإسرائيليين الذين كان قد ألقي القبض عليهم خلال عمليات العدوان الإسرائيلية في لبنان. وكالمعتاد ، لم يرد أي تعليق هنا عن هذه الأعمال الوحشية .

وفي لبنان ومنطقة البحر المتوسط، تقوم إسرائيل بهجماتها وهي تتمتع بالحصانة الكاملة ففي منتصف يوليو عام ١٩٨٠، قتلت الطائرات الحربية الإسرائيلية مايزيد على عشرين شخصا، معظمهم من المدنيين، ومن بينهم ستة أطفال تقل أعمارهم عن ١٢ سنة، أثناء قصفها للمخيمات الفلسطينية بالقرب من طرابلس، ولبدت سحب الدخان والأتربة السماء فوق مخيمات اللاجئين في طرابلس، التي يقطنها ما يزيد على ٢٠ ألف فلسطينى لبضع ساعات، عقب الهجوم الذي وقع في الساعة ٢ بعد الظهر، وهو ما تردد أنه رد انتقامى على تفجير سيارتين ملغومتين قامت به جماعة موالية لسوريا قبل ذلك ببضعة أيام في المنطقة الأمنية الإسرائيلية في الجنوب اللبناني وبعد ذلك بأسبوعين هاجمت الزوارق الحربية الإسرائيلية سفينة شحن تحمل علم هندوراس على بعد ميل واحد من ميناء صيدا، كانت تحمل شحنة من الأسمنت، وفقا لما ذكره قائد السفينة اليوناني الجنسية، وأشعلت النيران فيها بإلقاء ثلاثين قنبلة بمليها، فضلا عن إصابة عدد من المدنيين خلال عمليات قصف تمت على الساحل عندما فتع رجال الميليشيات نيرانهم على الطائرات. ولم يهتم التيار الرئيسي في الصحافة حتى بذكر أنه في اليوم التالي قامت الزوارق الإسرائيلية بانرات أحد قوارب الصيد وإلحاق أضرار بثلاثة قوارب أخرى، في حين طالب أحد أعضاء البرلمان من سيدا الأمم المتحدة بالعمل على انهاء عمليات القرصنة الإسرائيلية التي تدعمها الولايات المتحدة .ولم تذكر الصحف شينا عما أسماه الإسرائيليون بالعملية الجراحية الموجهة ضد مواقع الإرهابيين، بالقرب من بعلبك في وادي البقاع في يناير 1984، والتي أسفرت عن مقتل نحو مائة شخص، معظمهم من المدنيين وإصابة أربعمائة آخرين من بينهم 150 طفلا إثر قصف مبنى مدرسة وقد شملت مواقع الإرهابيين هذه مسجد، وفندقا ومطعما وبعض المتاجر ومباني أخرى في ثلاث قرى لبنانية ومخيما للاجئين الفلسطينيين

تعرضت جميعها للهجوم، وفي نفس الوقت ذكرت الصحف الصادرة في بيروت أنه قد تم قصف سوق للماشية وساحة صناعية، وتدمير عشرات من المنازل وذكر أحد مراسلي وكالة رويتر في القرى التي تعرضت للقصف أن جولة ثانية من القصف قد بدأت بعد الجولة الأولى بعشر دقائق، مما أضاف عدد آخر من القتلى والجرحى، حيث كان الرجال والنساء قد شرعوا في نقل القتلى والجرحى من بين حطام المباني المدمرة ورأى المراسل أعدادا كبيرة من الأطفال في المستشفيات، في حين ذكر الشهود أن الرجال والنساء هرعوا إلى المدارس بحثا عن أطفالهم وأدان زعيم الشيعة اللبنانيين الهمجية الإسرائيلية، ووصن الهجوم على المدنيين الأبرياء والمستشفيات ودور العبادة بأنه محاولة الإرهاب الشعب اللبناني غير أن هذه الحادثة مرت دون أن يرد عنها أي تعليق هنا، حتى لايتأثر وضع إسرائيل «كدولة ترعى حياة البشره على حد تعبير صحيفة الواشنطون بوست، بحيث يمكننا إذن أن نخلص مرة أخرى إلى أن ضحايا هذه العملية الجراحية كانوا أقل شأنا من البشر، كما ينظر إليهم بالفعل داخل إطار الاجماع الغربي العنصري مرة أخرى لنا أن نتخيل ماكان يمكن أن يكون عليه رد الفعل الغربي بما فيه أجهزة الأعلام الموالية للعرب، إذا ما قامت منظمة التحرير الفلسطينية أو سوريا بضربة جراحية ضد مواقع الإرهابيين بالقرب من تل أبيب، وقتلت مائة من المدنيين وأصابت أربعمائة آخرين من بينهم ١٠٠ طفلا إثر قصف مبنى مدرسة إلى جانب عدد أخر من الأهداف المدنيةوفي حين نجد أن القاعدة المستقرة التي يؤخذ بها في الولايات المتحدة هي أن العنف الإسرائيلي، الذي قد يكون مكثفا في بعض الأوقات هر انتقام من وحشية العرب، فأننا نجد أن إسرائيل مثلها مثل الولايات المتحدة تزعم لنفسها حقوقا أكثر، فمن حقها أن تشن هجمات إرهابية لتمنع هجمات محتملة قد تشن ضدها، كما ذكر عمنون روبنشتاين عضو الكنيست الذي

يعتبر من الحمائم في تبريره لحرب لبنان كما ذكرنا من قبل. فالقوات الإسرائيلية تقوم بما تسميهإطلاق النار الوقائي، حين تقوم بدوريات في لبنان تمطر خلالها المنطقة بطلقات المدافع الآلية، مما يدعو قوات حفظ السلام الأيرلندية إلى إغراق الطرق احتجاجا على ذلك وكان من الشائع أن توصف الهجمات الإسرائيلية في لبنان بأنها وقائية وليست عقابية، ونأخذ على سبيل المثال قيام ثلاثين طائرة حربية إسرائيلية بقصف مخيمات اللاجئين والقرى المجاورة لها في الثاني من ديسمبر ١٩٧٠، مما أسفر عن مقتل 17 شخصا، فيما يبدو أنه رد انتقامى على قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ببحث اقتراح عربى للسلام كانت إسرائيل قد رفضته بعنف، وذلك لم يرد له أي ذكر في التاريخ ١٠٠ وعندما قامت القوات الإسرائيلية المحمولة جوا وبحرا بمهاجمة طرابلس في الشمال اللبناني في فبراير ١٩٧٣ وقتلت ٣١ شخصا معظمهم من المدنيين، وفقا لما ذكرته السلطات اللبنانية، ودمرت فصول دراسية وعيادات وغيرها من المباني، برزت إسرائيل هذه الغارة بأنها كانت تهدف إلى احباط عدد من الهجمات التي كان الإرهابيون يعتزمون القيام بها ضد إسرائيل وهذا نموذج شانع والتبريرات تقبل هنا باعتبارها مشروعة، وهو ما يعكس مرة أخرى وضع إسرائيل باعتبارها دولة عميلة مفيدة، كما يعكس وضع ضحاياها باعتبارهم لايرتقون إلى مرتبة البشر .

وكانت آخر حادثة جرى ذكرها قد وقعت في اليوم نفسه الذي أسقطت فيه إسرائيل طائرة مدنية ليبية، كانت قد ضلت طريقها إثر عاصفة رملية قبل دقيقتين من الموعد المحدد لهبوطها في القاهرة، مما أسفر عن مصرع ١١٠ أشخاص وأعلنت الولايات المتحدة رسميا تعاطفها مع عائلات الضحايا، غير أن المتحدث الصحفي رفض أن يناقش مع الصحفيين مشاعر الإدارة الأمريكية إزاء هذا الحادث وقد ألقت إسرائيل باللوم على قائد الطائرة

الفرنسي؛ في حين أن صحيفة النيويورك تايمز مدفوعة بإحساسها بالواجب قد قبلت الزعم الإسرائيلي بأن الطيار كان يعرف أنه قد صدر له أمر بالهبوط غير أنه فضل القيام بعمل مراوغ ينطوي على الكثير من الشبهات - وهو نفس التبرير الذي أورده الاتحاد السوفيتي لاسقاط طائرة شركة الخطوط الجوية الكورية في رحلتها رقم 7 مما يجعل من العمل الإسرائيلي على أسوأ حال عملا يبلغ حدا من القسوة حتى أن الأعمال الوحشية التي قام بها العرب في وقت سابق لاتبرره .

وقد جاء رد الفعل الإسرائيلي الرسمي على لسان رئيسة الوزراء جولدا مائير التي قالت: إن حكومة إسرائيل تعرب عن أسفها البالغ على فقد الأرواح البشرية، وأنها تأسف *لأن* الطيار الليبي هكذا لم يستجب للتحذير الذي وجه له وفقا للممارسات الدولية، في حين أضاف شيمون بيريز قائلا لقد تصرفت إسرائيل بما يتفق مع القوانين الدولية وزعمت إسرائيل على نحو زائف أن الطيار لم يكن مرخصا له بقيادة الطائرة .

وقد أشار أميرام كوهين في تحليل مفصل عن رد الفعل الإسرائيلي أعده بعد مأساة طائرة الخطوط الجوية الكورية لقد حظر على الصحف أن تنشر صورا للطائرة المحطمة أو للقتلى والجرحى، وأن الصحفيين لم يسمح لهم بزيارة المستشفى في بير سبع، أو بإجراء أحاديث مع الناجين وأن كل ذلك كان جزءا من عملية «تضليل إعلامي وقد تجاهلت الصحافة الإسرائيلية رد الفعل الدولي باعتباره اشارة جديدة على أن «روح معاداة السامية مازالت تزدهر، في أوروبا، وفي الواقع كان ذلك هو رد الفعل العصبي الذي يحدث في الولايات المتحدة أيضا إذا ما جرؤ أحد على ذكر أو انتقاد الوحشية الإسرائيلية وأصرت الصحف الإسرائيلية على أن إسرائيل غير مسئولة، وعلى أنه يجب الأقاء اللوم على الطيار الفرنسي وعلق كوهين قائلا : إنها كانت صحافة معبئة «لدعم عدالة الأعمال الإسرائيلية وبعد العديد من

الأكاذيب، أكدت إسرائيل أنه كان هناك خطأ في التقدير ووافقت على دفع تعويضات لعائلات الضحايا مراعاة للاعتبارات الانسانية، في حين نفت عن نفسها ذنب أو مسئولية وقد توقف الحديث عن هذه الحادثة بسرعة في الولايات المتحدة ، دون أن يوجه لمرتكبها سوى قليل من الانتقادات وقامت رئيسة الوزراء جولدا مائير بزيارة الولايات المتحدة بعد ذلك بأربعة أيام؛ ولم يزعجها الصحفيون بكثير من الأسئلة المحرجة، ثم عادت إلى بلادها محملة بهدايا جديدة من الطائرات الحربية. وكما ذكرنا من قبل، لم يختلف رد الفعل كثيرا عما كان عليه عندما أسقط الروس طائرة الخطوط الجوية الكورية في سبتمبر ١٩٨٣، غير أنه كان هناك وجه للمقارنة فيما يتعلق بقيام أصدقائنا من جبهة يونيتا في أنجولا بإعلان مسئوليتهم عن إسقاط طائرتين مدنيتين في نفس الوقت أنه ليس من الصعب حقا التمييز بين المعايير التي تحكم الإرهاب الدولي

إن تاريخ سجل الإرهاب الإسرائيلي يرجع إلى بداية نشأة الدولة - أو إلى ما قبل ذلك بكثير حقا - حيث يتضمن قتل ٢٠٠ من المدنيين وعملية الطرد الوحشية السبعين ألفا آخرين من منطقتي اللد والرملة في يوليو ١٩٥٨؛ والمذابح التي شملت مئات آخرين من سكان قرية

:

الدوحة المسالمة بالقرب من الخليل في أكتوبر ١٩٥٨، في واحدة من عمليات تطهير الأرض العديدة التي تمت في الوقت الذي كان جهاز الدعاية الدولي يردد فيه، كما لايزال يفعل، أن العرب يهربون استجابة لنداءات قياداتهم؛ وقيام جيش الدفاع الإسرائيلي بقتل عدة مئات من الفلسطينيين إثر استيلائه على قطاع غزة ١٩٥٩، والمذابح التي تمت في قريتى قبيه وكفر قاسم والعديد من القرى المغدورة الأخرى، وطرد الآلاف من البدو من المناطق المنزوعة السلاح بعد فترة وجيزة من حرب1948 ، وطرد آلان

آخرين من شمال شرقى سيناء في أوائل السبعينيات، وتدمير قراهم لفتح المنطقة لإقامة المستوطنات اليهودية؛ وغيرها من الأحداث .إن الضحايا بحكم التعريف هم المناصرون لمنظمة التحرير الفلسطينية، أي الإرهابيين، وهكذا، يمكن لجيرشوم شوكن رئيس تحرير صحيفة هاآرتس المحترم أن يكتب أن أربيل شارون راكتسب شهرته منذ أوائل الخمسينيات باعتباره مقاتلا عنيدا ضد مناصرى منظمة التحرير الفلسطينية، مشيرا إلى عمليات قتل المدنيين التي قام بها شارون في مخيم البريج وقرية قبيه في عام 1953 قبل ظهور منظمة التحرير الفلسطينية بفترة طويلة .كما أن الضحايا في لبنان وغيرها كانوا أيضا إرهابيين، وإلا لما كانوا قد تعرضوا للقتل من قبل دولة تتمسك إلى هذا الحد بطهارة السلاح، وتلتزم بقانون أرقى في نظر الصحافة الأمريكية والموالية للعرب؛

ويحظى قادة الإرهاب بالتكريم. فعندما تولى الإرهابي الأمريكي المعاصر والشهير لاريجان الرئاسة في عام 1981، كان كل من رئيس الوزراء ووزير الخارجية الإسرائيليين من زعماء الإرهاب ذوي السمعة السيئة، في حين كان من يتولى أعلى منصب في الوكالة اليهودية هو رجل قام بقتل عشرات من المدنيين كان يحتجزهم تحت الحراسة في أحد مساجد بلدة لبنانية خلال احدى عمليات تطهير الأرض التي تمت في عام 1948، لكي يتم العفو عنه على جناح السرعة وإزالة كل آثار جرائمه من السجلات، ومنحه رخصة المحامي على أساس أنه ليس هناك ما يمكن أن يوصم به وحتى العمليات الإرهابية الموجهة ضد أمريكا كانت جميعها مقبولة تماما فأحداث مثل الهجمات الإرهابية الإسرائيلية على المنشآت الأمريكية وهي أيضا أماكن عامة في مصر في عام 1954، والتي تمت في إطار محاولة لإشاعة التوتر في العلاقات المصرية - الأمريكية، وإجهاض مفاوضات سلام سرية كانت تتم في ذلك الوقت، هذه الأحداث تم تجاهلها في ذلك

الوقت، ولم يكن أحد يذكرها؛ بالضبط كما حدث فيما يتعلق بمحاولة زوارق الطوربيد الإسرائيلية إغراق سفينة التجسس الأمريكية يبرتي، في المياه الدولية في عام1967 ، ثم إطلاق النار على زوارق النجاة في محاولة لضمان عدم نجاة أحد، وقد أسفر الحادث عن مقتل 34 من أفراد الطاقم واصابة ١٧١ آخرين، فيما اعتبر أسوأ كارثة بحرية أمريكية في وقت

السلم خلال هذا القرن؛ غير أن هذه الحادثة أيضا تم تجاهلها باعتبارها خطأ، - وهي كذبة مفضوحة - غير أن أحدا لايكاد يعرف ذلك وكذلك لم ترد اشارات تذكر في أجهزة الإعلام عن قيام الجيش الإسرائيلي تعذيب الأمريكيين في الضفة الغربية والجنوب اللبناني، حيث تم التركيز على النفي الاسرئيلى وتجاهل تأكيدات السفير الأمريكى ولاشك أن كون الضحايا من العرب الأمريكيين كان مبررا لذلك، حسب معايير أجهزة الإعلام .

إن ما يلفت النظر في هذا السجل الذي يتضمن أعمالا إرهابية واسعة ضد اليهود أنفسهم منذ البدايات الأولى، هو أنه لا يتضمن بأي حال من الأحوال مايلطخ السمعة الإسرائيلية والأمريكية التي ليس لها نظير في العالم فيما يتعلق بالمعايير الأخلاقية. فأي عمل إرهابي جديد ، إذا ما ذكر أصلا إنما يتم تجاهله ونسيانه، أو يوصف بأنه انحراف مؤقت عن الكمال تفسره الطبيعة الشرسة للعدو التي تدفع إسرائيل إلى الانحراف المؤقت عن طريق الصواب .ومن ناحية أخرى، تتعرض أجهزة الإعلام للانتقاد بشكل مستمر لأنها تكيل بكيلين، إذ تتجاهل جرائم العرب، في حين تلزم إسرائيل بمعايير مستحيلة؛ ويطلعنا أكاديميون محترفون - لاتتلطخ سمعتهم بمثل هذه الأكاذيب - يطلعوننا بأسي بأن «العديد من الشخصيات العامة البارزة في الغرب، بل وعددا من الحكومات الغربية الاتحدد أسماؤها بطبيعة الحال قد شجعت منظمة التحرير الفلسطينية على تدمير إسرائيل وعبر كل فئات الساحة السياسية الأمريكية وبين الطبقات المثقفة التي تتسم بتوافق ملحوظ

حتى أنها لاتتضمن سوى قدر هامشي من الاستثناءات، نجد أن المذهب الذي لا يتغير هو أن إرهاب الفلسطينيين وحلفائهم العرب، الذي يشجعه الكرملين، وتعهدهم المستمر بقتل اليهود وتدمير إسرائيل، ورفضهم قبول أي تسوية سياسية، هو ما يمثل جذور قضية الصراع العربي - الإسرائيلي الذي لاينتهي والذي تقع إسرائيل ضحية مسكينة له. أما فيما يتعلق بالولايات المتحدة، فهي لاتملك شيئا حيال لعنة الإرهاب الشريرة « في أمريكا الوسطى حتى لبنان، وما وراءهما .

أما الحركة القومية اليهودية والدولة التي نتجت عنها فلم تحدث أي تغيير في السجل المؤثر لعمليات الإرهاب الوحشية، باستثناء الحصانة التي تتمتعان بها في ظل الرأي العام الغربي المستنير ويكفي الأمريكيون أن يتذكروا أن أدولف هتلر أشاد بالولايات المتحدة القيامها بحل مشكلته الشعوب الأصلية كما يفعل الذين يستخدمون أساليب هتلر في أمريكا الوسطى اليوم بتأييد في الولايات المتحدة غير أن التعليقات الراهنة علىوالإرهاب في الدول المتحضرة تنضع بالنفاق، ولا يمكن إلا أن تكون موضع احتقار بين أناس محترمين .

الفصل الثالث

ليبيا في عالم الشرطة الأمريكى

.لا يقوم أحد، داخل النظام المذهبي الأمريكى بتجسيد بلاء الإرهاب الشرير مثلما يفعل معمر القذافي، الكلب المسعوره في العالم العربي؛ بحيث أصبحت ليبيا تحت زعامته أكثر النماذج تعبيرا عن الدولة الإرهابية .

إن وصف ليبيا في ظل حكم القذافي بأنها دولة إرهابية وصف عادل بالتأكيد فقد أوضح التقرير الأخير لمنظمة العفو الدولية أن هذه الدولة الإرهابية قامت بقتل 14 مواطنا ليبيا، أربعة منهم كانوا بالخارج، خلال عام 1985، كما أن معظم الأعمال الإرهابية الكبيرة تلقى مسئوليتها على عاتق ليبيا وفي إطار موجة الهيستريا الموجهة لخدمة أغراض أخرى، يتم توجيه كافة أنواع التهم، غير أن السجلات تؤكد التصريح الذي أصدره مسئول كبير في المخابرات الأمريكية في أبريل ١٩٨٩ وجاء فيه أن القذافي ظل حتى أسابيع قليلة يستخدم رجاله أساسا في اغتيال المعارضين الليبيين ويضيف هذا المسئول الكبير بالمخابرات أنه منذ أسابيع قليلة اتخذ القذافي قرارا واضحا باستهداف الأمريكيين إن هذا القرار المزعوم، الذي اكتسب هالة الحقيقة الثابتة داخل النظام المذهبي على الرغم من أنه لم ترد بعد أدلة مادية تثبت ذلك كما سنرى فيما يلي، جاء في أعقاب حادثة خليج سرت عندما قام الأسطول الجوى والبحري الأمريكي بإغراق بعض السفن الليبية مما أسفر عن سقوط عدد من القتلى، واعتبر ذلك عملا مشروعا تماما ، بل ومتأخرا عن موعده، وفقا للنظام المذهبي المتشكك الذي تعتنقه الإدارة الأمريكية، والذي يتولى الدفاع عنه المعلقون المحترمون، الذين تحدثنا عن بعضهم فيما سبق، وسننتقل الآن للحديث عن البعض الآخر .

فقد ذكرت منظمة العفو الدولية أن عمليات القتل الإرهابية الليبية بدأت في أوائل الثمانينيات، في الوقت الذي شن فيه جيمى كارتر حربا إرهابية في السلفادور، حيث قام خوسيه نابوليون دوارتى متطوعا بدور الغطاء، لضمان وصول الأسلحة للقتلة وفي حين كانت ليبيا تقوم بقتل أربعة عشر شخصا من مواطنيها فضلا عن عدد قليل من غيرهم، كان النظام العميل للولايات المتحدة في السلفادور يقوم بقتل نحو خمسين ألفا من مواطنيه، في إطار ما وصفه في أكتوبر ١٩٨٠، الأسقف ريفيرا ى .داماس، الذي خلف رئيس الأساقفة روميرو بعد اغتياله، أي بعد سبعة أشهر من الإرهاب، بأنه حرب ابادة وقتل جماعي موجهه ضد سكان مدنيين بلا حول ولا قوة وقد أشاد دوارتي بعد ذلك ببضعة أسابيع بقوات الأمن التي قامت بهذا العمل الضرورى، لوقوفهم بشجاعة الى جانب صفوف الشعب ضد التخريب، في حين اعترف بأن الجماهير كانت تؤيد رجال حرب العصابات عندما بدأت هذه الممارسات في ظل تحالف كارتر ودوارتى وقد صدرت عن دوارتي هذه الاشادة بعمليات القتل الجماعي لدى توليه رئاسة الطغمة الحاكمة، في محاولة لإضفاء الشرعية عليها، وضمان تدفق الأسلحة بعد مقتل أربع سيدات أمريكيات من أعضاء الكنيسة، وهو عمل ينظر إليه في الولايات المتحدة عادة على أنه غير لائق؛ وعلى الرغم من ذلك تولى كل من جين كيركباتريك والكسندر هيج مهمة إيجاد المبررات حتى لمثل هذه الأعمال الوحشية ومن ناحية أخرى، أكدت لنا أجهزة الإعلام أنه ليس ثمة حقيقة تفيد أن معظم من يقدر عددهم بنحو عشرة آلاف من القتلى السياسيين في عام ١٩٨٠ كانوا ضحايا للقوات الحكومية أو للقوات غير النظامية التابعة لها ، على حد تعبير صحيفة الواشنطون بوست، وإن كان قد تم في وقت لاحق الاعتراف بهدوء بأن المسئولين في ادارة كارتر كانوا في ذلك الوقت يصرحون لوسائل الإعلام بأن قوات الأمن هي المسئولة عن نحو تسعين

في المائة من الأعمال الوحشية، وليست الجماعات اليمينية التي تتعذر السيطرة عليها ، كما كانت تذكر الصحف ومنذ الأيام الأولى لعمليات الإرهاب التي قام بها كارتر وريجان في السلفادور، كان الدور الأساسي الذي يقوم به دوارتي هو ضمان إزالة أي عقبات تعوق القيام بالمذابح، في حين يجرى نفي القيام بالأعمال الوحشية المسجلة بالوثائق والمستندات، أو إيجاد مبررات لها على أساس أن الضحايا كانوا من الشيوعيين وقام دوارتي بهذا الدور وسط إشادة متزايدة به في الولايات المتحدة، من سائر أطراف الساحة السياسية، في حين أدى الهجوم الوحشي على السكان المدنيين الهدف المرجو منه، وهو القضاء على خطر التيار الديمقراطي الحقيقي الذي بدأ في الظهور في السبعينيات مع ظهور جماعات المساعدة الذاتية التي انطلقت من الكنائس، واتحادات الفلاحين والنقابات وغيرها من المنظمات الشعبية وقد لاحظ المراسل المحافظ المجلة سبيكتاتور اللندنية في أمريكا الوسطى أن فرق الموت قامت على الوجه الأكمل بما كان المفروض أن تقوم به: فقد ضربت عنق النقابات العمالية والمنظمات الشعبية، ودفعت الناجين إما الى الهرب من البلاد، أو الانضمام الى رجال حرب العصابات، وعند هذه النقطة وصلت الحرب الأمريكية ضد الجماهير الريفية الى أعلى درجاتها مع تصعيد أعمال الإرهاب والمذابح وكان من الطبيعي تماما في ذلك الوقت أن ينظر محررو مجلة نيوريبليك، الذين كانوا قد حثوا ريجان على مواصلة المذابح دون أي مراعاة لحقوق الانسان فهناك أولويات أمريكية أهمه، وبغض النظر عن عدد القتلى، أن ينظروا الآن بسعادة إلى هذه الإنجازات التي تحققت في السلفادور، فهي لنموذج الحقيقي لدعم التوجه نحو الديمقراطية في العالم أما أعمال الإرهاب المستمرة والمسجلة بالوثائق لدى منظمة الرقابة الأمريكية المعنية بحقوق الإنسان ومنظمة العفو

الدولية وفيما ندر - في أجهزة الإعلام، فهى أمر غير ذي أهمية على الإطلاق هنا .

أن المذابح في السلفادور ليست مجرد إرهاب دولة ينفذ على نطاق هائل، بل إنها إرهاب دولى من حيث التنظيم والإمداد والتدريب فضلا عن المشاركة المباشرة من جانب حاكم نصف الكرة الأرضية والولايات المتحدة وينطبق الشيء نفسه على المذابح التي راح ضحيتها سبعون ألف شخص في جواتيمالا خلال العام نفسه، حين كانت الأسلحة الأمريكية تتدفق على القتلة بمستويات قريبة من المستويات العادية على عكس ما يشاع، وإن كان من الضروري مع ذلك الاستعانة بوكلاء الولايات المتحدة - الجنرالات النازيون الجدد من الأرجنتين وتايوان، أساسا - إسرائيل التي قدمت خدماتها وخبراتها بحماس للقضية - للقيام بالمذابح بشكل أكثر فاعلية، وقامت الحكومة الأمريكية كإضافة لذلك بإنشاء خط إمداد للأسلحة يشمل بلجيكا وغيرها من الدولة المتواطئة، تحت الإدارة غير الشرعية للبنتاجون ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومن ناحية أخرى، ومع وصول أعمال الإرهاب إلى ذروة الوحشية، راح ريجان وحلفاؤه يشيدون بالقتلة والقائمين بأعمال التعذيب لتقدمهم في مجال حقوق الإنسان والتزامهم المطلق بالديمقراطية، متجاهلين فيض الوثائق عن الأعمال الوحشية على أنها اتهامات لا أساس لها من الصحة ويحظى الإرهاب الدولي الذي تمارسه الولايات المتحدة في السلفادور بالتمجيد باعتباره إنجازا رائعا عبر كافة أجنحة الساحة السياسية الرئيسية في الولايات المتحدة، لأنه وضع الأسس لما يسمى بالديمقراطية في اللغة الغربية: ألا وهي حكم جماعات النخبة التي تخدم حاجات المهيمن العالمى الولايات المتحدة، في حين يقتصر دور العامة على مجرد التصديق العرض على قرارات النخبة، بعد أن ضربت أعناق المنظمات الشعبية، التي كان من الممكن أن تشكل قاعدة للديمقراطية

الحقيقية وفي عامى ١٩٨٢، ١٩٨5 نظمت الولايات المتحدة ما أسماه كل من أدوارد هيرمان وفرانك برودهيد بالانتخابات الشكلية لتهدئة الجبهة الداخلية، وهي التي أجريت في جو من الرعب واليأس، والشائعات المروعة والحقائق المفزعة، على حد تعبير مراقبي المجموعة البرلمانية البريطانية لحقوق الإنسان، في حين أشادت الصحافة الأمريكية بهذا الإظهار لالتزامنا المشبوب بالديمقراطية، كما قد تفعل صحيفة البرافدا في ظل ظروف مشابهة وبعد ما تم في جواتيمالا كذلك نجاحا، لأسباب مماثلة عندما يساق نصف الشعب بالفعل إلى صناديق الاقتراع بعد أن تم إرهابه بأعمال العنف التي تدعمها الولايات المتحدة فإن المعلقين المستنيرين هنا يشعرون بسعادة بالغة لهذا الإظهار المتجدد لحبنا للديمقراطية، دون أن يقلقهم ارتفاع عدد ضحايا فرق الموت، والاعتراف الصريح الذي أدلى به الرئيس المنتخب حديثا عن أنه لا يملك شيئا مع امتلاك العسكريين والأوليجاركية للسلطة الحقيقية، ومع كون الحكومة المدنية مجرد مديرين للإفلاس والبؤس، ومع حقيقة أن رد الفعل في الولايات المتحدة يساعد على تحويل الانتخابات إلى وسيلة تشارك بها الولايات المتحدة بشكل أكبر في إرهاب الدولة والقمع في السلفادور. وفي الواقع فإن الانتخابات التي تجري في دول الإرهاب الأمريكى تكون غالبا إما نقمة لاتخلو من مزايا أو كارثة محققة لسكان البلد المحليين، لهذا السبب الجوهرى إن هذين المثالين بالطبع لايمثلان سوى جزء من الدور الذي تقوم به الولايات المتحدة في الإرهاب الدولي خلال الثمانينيات؛ أما السجل المروع فقد بدأ منذ سنوات عديدة ويلاحظ اثنان من المعلقين، في استعراضهما للدراسة التي أعدتها منظمة العفو الدولية عن إرهاب الدولة، أن السمة البارزة في الأعمال الوحشية الليبية هي أنها الأعمال الوحشية الوحيدة التي تكون محدودة بشكل كاف لإحصاء الحالات الفردية، على العكس تماما من الحال في الأرجنتين أو

أندونيسيا أو دول أمريكا الوسطى حيث ينهب الامبراطور العالم برمته وباختصار فإن ليبيا هي بالفعل دولة إرهابية، ولكنها في عالم الإرهاب الدولي لاتكاد تعد حتى لاعبا ضئيلا ويظل هناك أولئك الأبرياء الذين يعتقدون أن من الممكن وجود حد للسوقية التي يمكن أن تبرر بها المطبوعات الغربية المحترمة عمليات القتل الجماعي والإرهاب غير أنهم يمكن أن يتخلصوا من هذا الوهم بالنظر إلى العديد من الأمثلة التي وقعت خلال أسوأ سنوات الإرهاب في أمريكا الوسطىأو بالنظر إلى صحيفة المحافظين الجدد ذا ناشيونال انترست والمصلحة القومية حيث يمكنهم أن يقرأوا انتقادا موجها إلى صحيفة الواشنطن بوست التهاونها مع ليبيا، يقولون فيه إنه ليس ثمة شك في أنه، على سبيل المثال، إذا كانت حكومة خوسية نابوليون دوارتي في السلفادور أو أي حكومة حديثة في تركيا قد نفذت عمليات إعدام تقترب في عددها من تلك التي نفذها القذافي، فإن صحيفة الواشنطن بوست كانت ستمدنا بقدر كبير من التفاصيل، وكانت ستكتب عن وجود قدر لا يستهان به من المعارضة إن الأمر لا يقتصر على أن تعريف الإرهاب يتم بحيث يخدم أيديولوجية معينة، كما بحثت من قبل، بل إن معايير التدليل كذلك تعرض بشكل لائق بحيث تحقق أهداف الامبراطور .إن إظهار ليبيا كدولة إرهابية لن يحتاج إلا إلى أوهن الأدلة، أو حتى عدم وجود أدلة على الإطلاق فعناوين افتتاحية صحيفة النيويورك تايمز التي تبرر الهجوم الإرهابي الذي قامت به الولايات المتحدة على ليبيا، والذي أسفر عن مقتل نحو مائة شخص وفقا لما ورد في التقارير الصحفية من موقع الأحداث كانت تقول : تى ننقذ حياة ناتاشا سيمبسون أخرى في إشارة إلى الفتاة الأمريكية التي تبلغ من العمر 11 عاما، والتي راحت ضحيةاللهجمات الإرهابية التي وقعت على مطارى روما وفيينا في ٢٧ ديسمبر ١٩٨٠، فهؤلاء الضحايا يخولوننا الحق في قصف المدن الليبية،

وحتى نوقف أعمال الإرهاب التي تدعمها الدولة، هذا ما يقوله محررو النيويورك تايمز بجدية وأنه لمجرد خطأ صغير أنه لم يتم تقديم أي دليل يثبت تورط ليبيا في هذه الهجمات .

فقد صرحت الحكومتان الايطالية والنمساوية بأن الإرهابيين قد تلقوا تدريباتهم في مناطق من لبنان يسيطر عليها السوريون، وأنهم قد قدموا عن طريق دمشق، وهي الخلاصة التي ظل يكررها وزير الدفاع الإسرائيلي اسحاق رابين وبعد ذلك بأربعة أشهر، وردا على المزاعم الأمريكية بشأن تورط ليبيا في الهجوم على مطار ثيينا، صرح وزير الداخلية النمساوي بأنه ليس هناك أقل دليل يثبت تورط ليبيا، وأكد مرة أخرى أن سوريا هي حلقة الوصل، مضيفا أن واشنطن لم تقدم أي دليل على التورط الليبي بعد أن كانت قد وعدت السلطات النمساوية بذلك كما أضاف كذلك التعليق الصحيح وإن كان لايمكن التعبير عنه في الولايات المتحدة - وهو أن مشكلة الإرهاب الذي يأتي من قواعد لبنانية إنما تكمن إلى حد كبير في الفشل في حل مشكلة فلسطين، التي دفعت الشعب اليائس إلى التحول إلى أعمال العنف، وهي بالضبط النتيجة التي يسعى إليها الإرهاب الأمريكي الإسرائيلى كما أوضحنا وبعد ذلك ببضعة أشهر، كرر وزير الداخلية الإيطالي أثناء توقيعه اتفاقية مع الولايات المتحدة للتعاون في مجال مكافحة الإرهاب كرر الموقف الذي أعربت عنه إيطاليا منذ شهر يناير، والمتمثل في أنها تشتبه في أن عناصر سورية هي التي كانت وراء الهجمات على مطارى ثيينا وروما وقد نشرت صحيفة النيويورك تايمز تصريح الوزير دون أن تشعر بحاجة إلى التعليق على الضربة الانتقامية المبررة أخلاقيا والموجهة ضد ليبيا والتي كانت الصحيفة قد أشادت بها في شهر أبريل، والتي تعد وفقا لتقاريرهم الإخبارية من قبيل أعمال الإرهاب السافر التي ليس هناك مايبررها وإذا ما قام شخص متورط في عمل إرهابي بزيارة لليبيا، أو

ترددت مزاعم عن تلقيه تدريبا أو معونة مالية من ليبيا في الماضي، فإن هذا يكفي لإدانة القذافي باعتباره الكلب المسعور الذي يتعين القضاء عليه إن نفس هذه المعايير يمكن أن تثبت تورط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في حالات الاستغلال الإجرامي للكوبيين الذين يعيشون في المنفى، من بين العديد من الأمثلة الأخرى وإذا ما انتصرنا على ماحدث في عام ١٩٨٠، نجد أن أحد المشتبه فيهم في عملية تفجير طائرة الجامبو التابعة للخطوط الجوية الهندية بالقرب من أيرلندا، والتي اعتبرت أسوأ عمل إرهابي وقع في ذلك العام، حيث أدت إلى مقتل ٣٢٩ شخصا، كان قد تلقى تدريبات في مدرسة مناهضة للشيوعية تعد جنود المرتزقة في ولاية ألاباما الأمريكية؛ وكان النائب العام الأمريكى ادوين ميس، الذي قام بزيارة للهند بعد ذلك بتسعة أشهر، قد أدلى بتصريح لم يكد يذكر في الصحف عن أن الولايات المتحدة تتخذ خطوات لمنع الإرهابيين من تلقي التدريبات أو الامدادات داخل الولايات المتحدة، مشيرة إلى معسكرات التدريب العسكرى الخاصة التي كانت الهند قد اتهمتها بتدريب المتطرفين السيخ؛ إن هذا التصريع لم يكن حقيقيا، كما هو معروف، على الرغم من أن الصحف لم تهتم بالتحقيق في الأمر وقد اعتبر العمل الإرهابي الذي أدى إلى سقوط أكبر عدد من الضحايا في الشرق الأوسط هو حادث سيارة ملغومة وقع في بيروت في شهر مارس، وأدى إلى مقتل ثمانين شخصا وإصابة مائتين آخرين؛ وقد قامت به وحدة من المخابرات اللبنانية تلقت التدريب والدعم من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في اطار محاولة لقتل زعيم شيعي يعتقد أنه كان متورطا في هجمات إرهابية موجهة ضد منشآت أمريكية في بيروت إن كلمة إرهاب تستخدمها عادة الجيوش الأجنبية في إشارة إلى الأعمال التي توجه ضدهم من جانب السكان المحليين الذين يرونهم كقوات احتلال تحاول فرض تسوية سياسية كريهة تستند إلى الغزو الأجنبي - وهي

في هذه الحالة النظام الجديد، الذي تسعى إسرائيل لفرضه وبتطبيق معايير الأدلة التي تستخدم في حالة ليبيا، نجد أن الولايات المتحدة هي مرة أخرى أبرز قوة إرهابية في العالم في عام ١٩٨٠، حتى إذا استبعدنا الإرهاب بالجملة الذي لايعتبره النظام الدعائي من قبيل الإرهاب .

ووصولا إلى عام ١٩٨٩، نجد أن أكثر الأعمال الإرهابية خطرا في منطقة البحر المتوسط، حتى وقت كتابة هذه السطور، وبصرف النظر عن الإرهاب الإسرائيلي المتواصل في لبنان، كان يتمثل في القصف الأمريكي لليبيا، وعمليات التفجير التي وقعت في سوريا، والتي أسفرت وفقا لما ذكرته إذاعة حزب الكتائب الموالي للرئيس اللبناني أمين الجميل عن مقتل ما يزيد على ١٠٠ شخصا في شهر أبريل والتي اتهمت سوريا عملاء إسرائيليين بالقيام بها بدون أن تذكر أدلة على ذلك؛ غير أن هذا الاتهام لايقل في مصداقينه عن الاتهامات الأمريكية المماثلة التي توجه ضد من ينصادف أن يلعب دور الشرير في لحظة ما - وهو ماينذرج، بالمناسبة ضمن بلاء الإرهاب الشرير ولاتعترف الولايات المتحدة، بالطبع، بمسئولية الأعمال الإرهابية التي قامت بتدريب القائمين بها: من الكوبيين واللبنانيين، ومرتكبي القتل الجماعي مثل ريوس مونت رئيس جواتيمالا، وعديدين غيره في أمريكا اللاتينية وغيرها. وفي حالة التفجير الذي وقع في لبنان على سبيل المثال، نفت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تورطها ، على الرغم من أن هذا النني قد تم التشكيك فيه من جانب المسئولين في الحكومة والكونجرس، ممن قالوا إن الوكالة كانت تتعامل مع هذه الجماعة في وقت حدوث التفجير وهي النتيجة التي خلص إليها أيضا التحقيق الذي أجرته صحيفة الواشنطون بوست والذي أكد أن واشنطون قد ألغت عمليتها السرية بعد أن تم التفجير دون تصريح من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وحتى إذا قبلنا الزعم القائل بأن وكالة المخابرات المركزية

الأمريكية لم تصرح بالتفجير، وأنها أنهت تورطها مع تلك الجماعة الإرهابية التي قامت بتدريبها، فإن العذر الذي ساقته الحكومة يعد مرفوضا على الفور بتطبيق المعايير التي يطبقها على الأعداء الرسميين أولئك المدافعون عن الإرهاب الأمريكي - الإسرائيلي في كل من الحكومة وأجهزة الإعلام ويجب أن نتذكر هنا أن المسئولية الأخلاقية عن هذه الأعمال الوحشية تقع كلها على عاتق ياسر عرفات، لأنه كان ولا يزال، الأب المؤسس للعنف الفلسطيني المعاصر؛ ولذلك فإن الولايات المتحدة سوف تعتبر عرفات مسئولا عن أعمال الإرهاب الدولي بشكل عام، سواء كان متورطا فيها أم لا ومن هنا فإن المسئولية الأخلاقية الأوسع، في الحالات التي ذكرناها والعديد غيرها إنما تقع كلها على عاتق واشنطون، أيا كانت الحقائق المتعلقة بالتورط المباشر .

وكما ذكرنا في المقدمة، فإن حملة ريجان ضد الإرهاب الدولي كانت اختيارا طبيعيا للنظام الدعائى، تنفيذا لجدول أعماله الأساسي الذي يشمل : التوسع في القطاع الحكومي من الاقتصاد، وتحويل الموارد من الفقراء إلى الأغنياء، وانتهاج سياسة خارجية أكثر نشاطا أي أكثر إرهابا وعدوانية. وتتطلب مثل هذه السياسات أن يتم تخويف الرأي العام لكي يخلد إلى الطاعة، ومن خلال اختلاق عدو رهيب يهدد بتدميرنا: غير أنه يكون من الضروري تجنب الدخول في مواجهة مباشرة مع الشيطان الأعظم نفسه باعتبار ذلك أمرا بالغ الخطورة والمرشح الواضح للقيام بهذا الدور هو الإرهاب الدولي الذي يمارسه وكلاء امبراطورية الشر؛ وقد تحول خبراء العلاقات العامة في الإدارة الأمريكية على الفور إلى مهمة تحضير الخلطة الملائمة من أنصاف الحقائق والخداع السافر، وهم يتوقعون عن حق أن يأخذ المعلقون الجادون هذه الخلطة مأخذ الجد إن ليبيا ملائمة لهذه الاحتياجات تماما، فالقذافي شخص تسهل كراهيته، ولاسيما في ضوء

النزعة العنصرية العارمة المناهضة للعرب في الولايات المتحدة والالتزام العميق لدى الطبقات المثقفة بنزعة الرفض والعنف الأمريكية - الإسرائيلية، دون أية استثناءات إلا في أقل القليل. فقد خلق القذافي مجتمعا قبيحا وتمعيا، وهو مذنب حقا بتهمة الإرهاب بالتجزئة، وبخاصة ذلك الذي يمارسه ضد الليبيين كما أشرنا من قبل .ويقول المحللون بالمخابرات الأمريكية والإسرائيلية أنه كان من الممكن الحيلولة دون قيام القذافي بإعدام المعارضين الليبيين، وهو ما يعد أكبر عمل إرهابي في سجله، ولكن كان من النتائج المحتملة لذلك كشف أن الشفرة الليبية التي من الواضح أنها لم تكن مستعصية قد تم فك رموزها وقد أوضح محلل إسرائيلي ذلك بشكل أكثر صراحة بقوله :لماذا نفضع مصادرنا وأساليبنا من أجل بضعة ليبيين إن ليبيا دولة ضعيفة بلا حول ولاقوة، بحيث يسهل القيام بعمل عسكرى ضدها، وإذا تطلب الأمر، يتم قتل الليبيين بدون عقاب، وقد خدم الانتصار العسكري العظيم في جرينادا، الذي يمثل ذروة النزعة العدائية والعدوانية المتطرفة لادارة كارتر - ريجان، بعد أن هددت حكومة رئيس الوزراء موريس بيشوب بالاهتمام بحاجات أغلبية الفقراء، خدم هذا الانتصار غايات مماثلة. ويحظى هذا المعني بالقبول الفوري في الخارج. فيعلق الصحفي الأمريكي دونالدنيف، الذي كتب في بعض المطبوعات البريطانية عن حادثة خليج سرت التي وقعت في مارس ١٩٨٩، يعلق قائلا : إنها لم تكن عملية تمت على طريقة رامبو بقدر ما كانت عرضا لثور متنمر ينصيد معركة على الساحة وكان ذلك نموذجا لأسلوب ريجان فطوال فترة حكمه ، كان يستبد مرارا بصغار الشأن وهذا مافعله هذه المرة أيضا من الحقائق التي تثير الاهتمام بشأن الثقافة الأمريكية أن هذا الإظهار الدائم للجبن وأعمال اللصوصية التافهة يلقي استجابة، كما يحدث في بعض الأحيان في الخارج أيضا وعلى سبيل المثال فقد شجب بول جونسون رائحة الجبن

الخالص الذي يتنافى مع الذوق والتي تصاعدت في الجو، عندما يثير المتقاعسون، الشكوك بشأن القصف الأمريكى للقواعد الإرهابية، أي الأهداف المدنية في ليبيا ويعرب جونسون عن تقديره لقوة راعى البقر، الذي أظهر شجاعته بإرسال قاذفاته لقتل مدنيين بلاحول ولاقوة. وقد أدرك خبراء العلاقات العامة في إدارة ريجان مدى فائدة العدو الليبي، ولم يضيعوا وقتا كبيرا في مواجهة هذا العدو الخطر فقد اعتبرت ليبيا على الفور العميل الرئيسي الشبكة الإرهاب، التي تشكلت بإيعاز من السوفيت، وفي يوليو ١٩٨١، تسربت إلى الصحف أنباء عن خطة لوكالة المخابرات المركزية للإطاحة بالقذافي، وربما قتله، عن طريق إثارة حملة إرهاب داخل ليبيا ويمكن أن نشير في جملة اعتراضية إلى أنه بالمعايير الأمريكية، فإن هذه الخطة تعطى الحق للقذافي في أن يقوم بعمليات إرهاب ضد أهداف أمريكية ودفاعا عن النفس ضد هجمات قد تحدث في المستقبل، - وهذه هي كلمات لارى سبيكس المتحدث باسم البيت الأبيض في عرضه للتبرير الرسمي لقصف طرابلس وبنغازى وقد كرر كل من فيرنون والترز وهربيرت أوكون نفس هذا التبرير في الأمم المتحدة بل وبلغت الوقاحة بالإدارة إلى حد أنها راحت تقول بأن هذا الحق الذي - لم يزعمه حتى هتلر لنفسه - والذي إذا تبنته دول عنيفة أخرى، سوف يقطع إربا القليل المتبقي من النظام العالمي والقانون الدولي - إنما يتمشى مع ميثاق الأمم المتحدة وليس هناك أي شكل من أشكال المغالطة القانونية يمكن أن يرأب هذه الفجوة، إلا أن الإدارة قد افترضت افتراضا صحيحا وهو أنها يمكنها أن تحرز نجاحا في

•كافة أنحاء البلاد في كمبريدج ونيويورك وواشنطون وقد أشاد انطونى لويس بشكل لائق بالرئيس ريجان لاعتماده على سند قانوني، وهو أن العنف الموجه ضد الذين يقومون بشكل متكرر بأعمال العنف، إنما هو مبرر باعتباره دفاعا عن النفس أما السبب في أن الولايات المتحدة فبررت

الهجوم على أساس أنه اجهاض لهجوم محتمل، وهو مايرى باعتباره شكلا من أشكال الدفاع عن النفس أكثر من كونه عملا انتقاميا، فقد فسره مسئول في وزارة الخارجية حيث أشار إلى أن ميثاق الأمم المتحدة يمنع بوضوح استخدام العنف إلا في حالة الدفاع عن النفس - والمقصود في الواقع، هو الدفاع عن النفس ضد الهجوم المسلح، حتى تتصرف الأمم المتحدة بعد أن تتقدم الدولة التي تعتبر نفسها ضحية لهجوم عسكرى مفاجيء وساحق بطلب رسمى لمجلس الأمن. وفي حين قوبل هذا والسند القانوني بالتقدير داخل البلاد، فإنه قوبل بـرفض عام في الخارج، حيث إن قلة قليلة نحسب هي التي اختلفت مع جورج إيجناتييف السفير السابق لكندا في الأمم المتحدة، وعضو الوفد الكندي الأول لدى الأمم المتتحدة، ويعمل مستشارا لجامعة تورنتو، والذي رفض الاستناد إلى الحق في الدفاع عن النفس المتضمن في ميثاق الأمم المتحدة، باعتباره أمرا لاسند له وقد علق إدوارد مالي في دراسته لعلاقات الولايات المتحدة مع ليبيا والتي انطوت على معاداة مريرة للقذافي أنه في أغسطس ١٩٨١ تم تعزيز الموقف المناهض للقذافي عن طريق المصيدة التي أعدت لليبيا في خليج سرت وهي مصيدة تم التخطيط لها بدقة وأحكام من جانب الولايات المتحدة ، بهدف خلق مواجهة يمكن فيها إسقاط الطائرات الليبية، وهو ما حدث وكان أحد الأهداف المحددة، التي عرضها هالي بشكل يبعث على الإعجاب، يتمثل في استغلال والتهديد الليبي بهدف كسب التأييد للخطوات التي ترغب الادارة في اتخاذها انتهاجا اللاجماع الاستراتيجي الذي ينادى به وزير الخارجية هيج ضد الاتحاد السوفيتي، وكعنصر في الترتيبات الضرورية لتشكيل قوة انتشار سريع وهي قوة تدخل تستهدف الشرق الأوسط في المقام الأول وفي نوفمبر، قامت الإدارة بتلفيق قصة مضحكة عن فرق الاغتيالات الليبية التي تجوب شوارع واشنطون لأغتيال زعيمنا الأعظم ريجان، مما أثار تعليقات

محمومة في الأجهزة الإعلامية، فضلا عن بعض التشكك، الذي كان محدودا في ذلك الوقت وعندما سئل ريجان عن المؤامرة، قال: لدينا الدليل، وهو القذافي، يعرف ذلك وتبددت القصة عندما أدت الغرض منها ، وكانت الصحافة منضبطة بما يكفي لعدم ذكر أي أنباء عن ما كشفته الصحف البريطانية من أن المهاجمين، الذين وردت أسماؤهم في القائمة الأمريكية الرسمية، التي تسربت أنباؤها إلى انجلترا، كانوا أعضاء بارزين في حركة أمل اللبنانية المعادية لليبيا بشكل قوى ، ومن بينهم نبيه برى زعيم الحركة والزعيم الديني الأكبر للطائفة الشيعية وترددت قصص أخرى، من بينها قصة عن تهديد ليبى بغزو السودان عبر ستمائة ميل من الصحراء دون أن تفعل تلك القوات الجوية المصرية والأ مريكية شيئا لوقف نوبة الهياج هذه ! ومؤامرة للإطاحة بالحكومة السودانية في ١٩٨٣، اكتشفت في الوقت المناسب بينما كان الرجعيون من أنصار الإدارة الأمريكية يتهمونها بالتخاذل - وكانت مؤامرة بارعة لدرجة أن المخابرات السودانية والمصرية لم تعرف عنها شيئا بينما اكتشفها على الفور الصحفيون الأمريكيون الذين كلفوا أنفسهم عناء الذهاب إلى الخرطوم للتحقيق في الأمر وردت الولايات المتحدة على المؤامرة الملفقة باستعراض واضع للقوة، مما أتاح لوزير الخارجية شولتز، الذي كان قد تعرض للانتقادات لشدة جبنه أن يتخذ أوضاعا بطولية وهو يعلن في التليفزيون أن القذافي وعاد إلى القفص الذي ينتمي إليه، لأن ريجان تصرف بسرعة وحسم في مواجهة هذا التهديد لنظام العالم ومرة أخرى، راحت هذه القصة في غياهب النسيان بعد أن أدت الغرض منها وهناك سلسلة من الأمثلة المماثلة فقد قامت أجهزة الإعلام بشكل عام بالدور الموكل إليها، حيث لم يكن هناك سوى القليل من الاختلافات العارضة إن أحداث مارس - أبريل ١٩٨٩ تخدم بشكل كامل النموذج المعتاد فمن الواضح أن توقيت عملية خليج سرت التي تمت في

مارس كان مدبرا بهدف إثارة هيستريا شوفينية قبل التصويت الحرج في مجلس الشيوخ على المعونة المقدمة إلى الكونترا مباشرة، كما تزامنت مع القصة الملفتة عن» زو، نيكاراجوا لهندوراس، وتمت هذه العملية التي نفذت بإيعاز من خبراء العلاقات العامة، بنجاح باهر كما يتضح من رد الفعل الغاضب من جانب الحمائم من أعضاء الكونجرس وأجهزة الإعلام بشكل عام، ومن تصويت مجلس الشيوخ وقد أتاحت هذه التمثيلية كذلك للإدارة أن تقدم معونة عسكرية تبلغ قيمتها عشرون مليون دولار إلى هندوراس، والتي قالت هندوراس رسميا بأنها لم تطلبها، والتي ضاعته دون شك في معسكرات الكونترا، فيما بعد اسلوبا آخر تستخدمه الجماعة التي لاتخضع للقانون في واشنطون في مراوغة قيود الكونجرس الضعيفة وإخضاعها للصوصيتهم كما أن عملية خليج سرت الاستفزازية كانت ناجحة أيضا، حيث مكنت القوات الأمريكية من إغراق عدد من السفن الليبية، وقتل ما يزيد على خمسين ليبيا؛ وكان يؤمل أن تؤدي إلى دفع القذافي للقيام بأعمال إرهاب ضد الأمريكيين، وهو ما تردد بعد ذلك .

وفي حين نجحت القوات الأمريكية في قتل العديد من الليبيين، فإنها عجزت بشكل ملحوظ عن انقاذ الناجين ويبدو أن المهمة لم تكن مستحيلة، حيث نجحت ناقلة بترول أسبانية في إنقاذ ستة عشر من الناجين من الهجوم الأمريكى فى قارب للنجاة لايعتبر نبيه برى زعيما دينيا شيعيا وكان الهدف الرسمي من العملية العسكرية الأمريكية يتمثل في اقرار حق المرور في خليج سرت، وهو هراء محض، حيث إن إرسال أسطول بحري صغير لم يكن يعد بالكاد الأسلوب اللائق أو الضروري لتحقيق هذه الغاية: فقد كان يكفي مجرد إصدار إعلان بذلك ولو كان اتخاذ خطوات أكثر من ذلك قد اعتبر ضروريا لسبب ما، فإن الأساليب القانونية لذلك كانت متاحة فإذا كان لأحد نزاع مع جاره بشأن شيء ما، فإن هناك طريقتين للتعامل في هذا

الأمر الأولى هي أن يعرض الأمر على المحكمة، والثانية هي أن يلتقط الجبار بندقيته ويقتل جاره وكان الخيار الأول متاحا بالتأكيد في حالة خليج سرت وما أنه من الواضح أن الأمر لم يكن يتطلب العجلة، فقد كان من الممكن الالتزام بالأسلوب القانوني لإقرار حق المرور البري. غير أن دولة إرهابية خارجة على القانون سيكون من الطبيعي أن تراعى أولويات مخالفة لذلك وقد أجاب بريان هويل مدير مكتب قانون البحار والسياسة البحرية في وزارة الخارجية، لدى سؤاله عن السبب في أن الولايات المتحدة لم تعرض الأمر على محكمة العدل الدولية، أجاب بأن ذلك كان من شأنه أن يستغرق سنوات وسنوات وما كنت أعتقد بأننا كان يمكن أن نتحمل ذلك انطلاقا من الضرورة الواضحة المتمثلة في أن تقوم القوات البحرية الأمريكية بعملياتها في خليج سرت، إذا ما أريد للولايات المتحدة أن تحافظ على بقائها كدولة واستنادا إلى أسس أضيق من ذلك، فإن الموقف الأمريكى يكون مشكوكا فيه فالصحف تتحدث باستمرار عن قانون البحار، غير أن الولايات المتحدة لاتقف بالكاد على أرض صلبة في التزامها بهذا المبدأ، إذا اكتفينا فقط برفض إدارة ريجان لمعاهدة قانون البحار. فضلا عن ذلك فإن ليبيا أطلقت النار على طائرات أمريكية، وليس على سفن أمريكية، القانون الجوى، لايزال بعيدا عن أن يكون منظما بشكل جيد. فالدول تطالب بحقوق مختلفة في هذا الصدد فالولايات المتحدة، على سبيل المثال، تعلن مساحة مائتي ميل كمنطقة دفاع جوى، يكون من حقها أن تمارس فيها الدفاع عن النفس ضد الطائرات المتسللة التي تقدر أنها معادية وليس هناك شك في أن الطائرات الأمريكية كانت داخل مسافة المائتي ميل من الأراضي الليبية أربعين ميلا وفقا لما ذكره البنتاجون - وكانت طائرات معادية، وفقا للمعايير الأمريكية، إذن، كان من حق ليبيا أن تعترضها وقد أشار إلى هذه النقطة الباحث القانوني المحافظ الفريد روبين الذي يعمل بمدرسة فليتشر

في جامعة تافت، الذي علق بقوله :من الواضح أننا بارسالنا طائراتنا، قد تجاوزنا الحد المسموح لنا بمقتضى قانون البحار، فيما يعد استفزازا لاضرورة له، غير أنه بالنسبة لدولة تنتهج أساليب العصابات، فإن مثل هذه الأمور تعد غير ذات أهمية؛ وكانت العملية ناجحة، على الأقل على المستوى المحلى الأمريكى ولقد أوضح روبرت سيمز المتحدث باسم البنتاجون مدى الاستفزاز الذي انطوت عليه عملية خليج سرت، حيث قال إن السياسة التي تنتهجها الولايات المتحدة هي أن تطلق النار على أي سفينة ليبية تدخل المياه الدولية في خليج سرت طالما كان الأسطول الأمريكي يقوم بتدريباته في تلك المنطقة بصرف النظر عن المسافة التي تبعدها هذه السفينة عن السفن الأمريكية ويضيف سيمز قائلا: إنه في ضوء النوبة العدوانية، التي أظهرتها ليبيا عندما حاولت إسقاط الطائرات الأمريكية، فإن أي سفينة حربية ليبية تمثل تهديدا لقواتنا وباختصار، نجد أن الولايات المتحدة تتمسك بحقها في أن تهاجم فيما بعد دفاعا عن النفس، أي سفينة ليبية تقترب من اسطولها البحري قبالة الساحل الليبي، ولكن ليبيا ليس لها الحق في الدفاع عن النفس في مسافة من الفضاء الجرى مماثلة لتلك المسافة التي تعلنها الولايات المتحدة كمنطقة دفاعية لنفسها .

ولاتزال للقصة بقية؛ فقد أجرى المراسل البريطاني دانيد بلاندى حديثا مع المهندسين البريطانيين الذين كانوا يقومون بإصلاح نظام الرادار السوفيتي هناك وذكر أحدهم، الذي يقول إنه كان يتابع الحادثة على شاشات الرادار التي على عكس مزاعم البنتاجون، لم يتم تعطيلها ، ذكر أنه رأي الطائرات الحربية الأمريكية تتخطى ليس فقط مسافة الأثنتى عشر ميلا من المياه الإقليمية، بل وتحلق فوق الأراضي الليبية كذلك وقال لقد شاهدت الطائرات تحلق على مسافة نحو ثمانية أميال تقريبا داخل المجال الجوي الليبي. وأضاف : ولا أعتقد أن الليبيين كان أمامهم خيار سوى التصدي لها وفي

اعتقادي أنهم كانوا مكرهين على القيام بذلك، وأضاف المهندس قائلا: إن الطائرات الحربية الأمريكية تمكنت من الاقتراب بأن سلكت الطريق الطبيعي لمرور الطائرات المدنية، وسارت في أعقاب طائرة مدنية ليبية، بحيث تحجب نبضتها الرادارية الطائرات الأمريكية على شاشات الرادار الليبية،ولم ترد أي إشارة عن تلك المعلومات في أجهزة الإعلام الأمريكية، على حد معلوماتى، باستثناء تقرير ممتاز كما هو معهود من الكسندر كوكبيرن، قام فيه بدوره المعتاد كترياق شخصي للخنوع والتشويه الذي تتسم به أجهزة الإعلام. ولم تغفل مقاله بلاندى بشكل غامض من الصحف الأمريكية فقد اقتبس منها جوزيف ليليفيلد في النيويورك تايمز، ولكن بعد حذف وتجاهل متعمد لأهم مافيها إن إحدى النتائج المرجحة - والمنتظرة بشئ من التلهف دون شك - لعملية خليج سرت كانت تتمثل في إثارة أعمال إرهابية ليبية كرد انتقامى وكان من شأن ذلك عندئذ أن يشيع حالة من الرعب في الولايات المتحدة، وفي أوروبا كذلك إذا حالفهم الحظ، ليهيئوا الساحة لاستقبال التصعيد التالي فمسئولية تفجير ملهى لابيل في برلين الغربية في الخامس من أبريل، مما أسفر عن مقتل جندي أمريكي أسود وآخر تركى ألقيت على الفور على عاتق ليبيا، ثم استخدم ذلك عندئذ كذريعة لقصف طرابلس وبنغازي يوم 14 أبريل، مما أسفر عن مصرع العديد من الليبيين، معظمهم فيما يبدو من المدنيين نحو مائة شخص، وفقا لتقديرات الصحف الغربية، وستين شخصا وفقا للتقرير الليبي الرسمي وقد اختير موعد القصف بدقة اليسبق بيوم واحد تصويت مجلس النواب بشأن المعونة المقدمة للكونترا واهتم من يكتبون خطب ريجان بتوضيح الأمر في حالة ما إذا كان ذلك قد غاب عن أذهان المشاهدين فقد قال في خطابه أمام مؤتمر رجال الأعمال الأمريكيين في 15 أبريل :سأذكر المجلس الذي سيقترع خلال هذا الأسبوع أن هذا الإرهابي الكبير قد أرسل أربعمائة

مليون دولار وترسانة من الأسلحة والخبراء إلى نيكاراجوا حتى يصل بحربه إلى الولايات المتحدة. لقد كان يتباهي بأنه يساعد سكان نيكاراجوا لأنهم يحاربون أمريكا على أرضها ، وكانت فكرة أن الكلب المسعور يصل بحرب إلى الولايات المتحدة عن طريق تقديم السلاح لشعب تقوم الولايات المتحدة بمهاجمته باستخدام جيش إرهابي عميل، كانت لفتة ظريفة مرت دون تعليق يذكر؛ غير أن جهاز العلاقات العامة لم ينجح لمرة واحدة، في التأثير على الكونجرس، وإن كان قصف ليبيا قد ألهب المشاعر الشوفينية

وربما ترجع هذه النتيجة بشكل أساسي إلى انتشار النزعة العنصرية المعادية للعرب، والغياب النسبي لأي رد فعل عاقل على الروايات السابقة المتعلقة بنوبة الهيستريا الملفقة حول جرائم القذافي الحقيقية والمزعومة إن هجوم 14 أبريل يعد أول هجوم في التاريخ يتم ترقيته ليتناسب مع وقت ذروة الاقبال على مشاهدة الإرسال التلفزيوني : فكما أوضح مانشر بعد ذلك، فقد تم اختيار توقيت الغارة الجوية بدقة في الساعة السابعة مساء بتوقيت شرق الولايات المتحدة - وهذا ما حدث فعلا؛ وهذا بالتحديد هو الوقت الذي تقدم فيه قنوات التلفزيون القومية الثلاث برامجها الإخبارية الرئيسية، التي كانت مجهزة بالطبع بحيث ينتقل المذيعون المحمومون بمشاهديهم إلى طرابلس لنقل تقارير عيانية مباشرة لتلك الأحداث المثيرة وفور انتهاء الغارة، تحدث لارى سبيكس المتحدث باسم البيت الأبيض أمام مؤتمر صحفي، وتبعه عدد من كبار المسئولين، بما كان يضمن السيطرة الكاملة على النظام الدعائي خلال الساعات الأولى الحرجة وقد يجادل المرء قائلا: إن الإدارة الأمريكية قد دخلت في مقامرة في تلك العملية الواهية من عمليات العلاقات العامة، حيث إن الصحفيين كان بإمكانهم أن يسألوا بعض الأسئلة الصعبة، غير أن البيت الأبيض كان يثق تماما في أنه لن يحدث أي شيء غير موات؛ وقد ثبت أن ثقته في أجهزة الإعلام كانت

ثقة في محلها تماماغير أنه كان يمكن بالتأكيد أن تطرح بعض الأسئلة ولنقتصر على أكثر هذه الأسئلة وضوحا، فقد صرح لارى سبيكس بأن الولايات المتحدة كانت تعلم في الرابع من أبريل أن المكتب الشعبي الليبي في برلين الغربية قد أبلغ طرابلس بعد ذلك بأن عملية تفجير ملهى لابيل قد تمت، كما كان مخططا لها وهكذا، يزعم البيت الأبيض بثقة أكيدة أن الولايات المتحدة كانت تعرف بشكل مؤكد يومي الرابع والخامس من أبريل أن ليبيا كانت مسئولة بشكل مباشر عن تفجير الملهى ويمكن أن يتساءل المرء إذن لماذا كانت الأنباء الواردة عن التحقيقات في الولايات المتحدة وألمانيا الغربية، منذ الخامس من أبريل وحتى وقت الهجوم على ليبيا، لماذا كانت تتمسك دائما بالقول بأن هناك أكثر من مجرد اشتباه في التورط الليبي وفي الواقع، ومالم نفترض أكبر قدر من القصور لدى العاملين في أجهزة الإعلام فإن أي صحفي استمع إلى رواية الإدارة الأمريكية، كان يحمل بين يديه النبأ الذي أوردته وكالة أنباء الاسوشيتدبرس من برلين والذي أذيع مساءا بتوقيت شرق الولايات المتحدة، أي قبل ساعة من القصف، والذي يفيد أن القيادة العسكرية للحلفاء اني برلين الغربية ذكرت أنه ليس هناك أي تطور في التحقيق في عملية تفجير الملهى، وأن المسئولين الأمريكيين والأمان الغربيين ذكروا أنه يشتبه في تورط ليبيا في عملية تفجير ملهى لابيل ربما عن طريق سفارتها في برلين الشرقية التي يحكمها الشيوعيون خط التشديد للمؤلف وكان من الممكن أن يتساءل بعض الصحفيين إذن، كيف أنه قبل دقائق قليلة من وقوع الهجوم، كانت كل من الولايات المتحدة وألمانيا الغربية لا تزال على الأكثر تشتبه في تورط ليبيا - مثلما كان الحال طوال الفترة السابقة على الهجوم في حين أنهم كانوا يومي الرابع والخامس من أبريل، أي قبل عشرة أيام، متأكدين من تورطها غير أن أيا من هذه

الأسئلة لم يطرح في ذلك الوقت، ولا بعد ذلك، وتم التعتيم على تلك الحقائق البديهية بشكل كبير

وفي مساء يوم 14 ابريل صرح ريجان بأن أدلتنا مباشرة ومحددة ولا تدحض تماما كما قال في حالة فرق الاغتيالات الليبية: إن لدينا الأدلة، والقذافي يعرف ذلك؛ ناهيك عن غير ذلك من أقاويله الخاطئة مثل حديثه عن تورط الساندينيستا في تهريب المخدرات وإعلانهم عن ثورة بلا حدود ، وحديثه عن تأييد كل من هيلموت كول وبتينو كراكسى للهجوم الأمريكى على ليبيا وهو ما شجبه بغضب المسئولون المصدومون في ألمانيا وايطاليا وغير ذلك من التلفيقات العديدة التي حاكتها حكومة تخطت إلى حد بعيد المعايير المعتادة للكذب والخداع، ومع ذلك فهي تستمر في ارتكاب أي جريمة، وتكذب وتخادع على حد تعبير هذا الزعيم الأسمى ريجان في إشارة إلى النماذج الستالينية التحقيق غاياتها، وهي على ثقة من أن ماينشر عرضا من حقائق بشكل محدود بعد وقوع الأحداث، لن يمنع تيار الأكاذيب المستمر من تحديد قواعد النقاش وترك الانطباعات الملائمة وغرسها بعمق، وهو ما حدث بالضبط غير أن هذا الانضباط لايسود خارج الحدود ففي ألمانيا، وبعد أن أعلنت واشنطون معرفتها الأكيدة قبل عشرة أيام في الرابع والخامس من أبريل عن مسئولية ليبيا عن تفجير الملهى، ذكرت مجلة دير شبيجل الصادرة في ٢١ أبريل أن العمليات الذائعة الصيت للتنصت على الاتصالات التلفونية لم تحدث فيما يبدو، وأن المخابرات الألمانية الغربية ليس لديها سوى بعض الشكوك حول تورط ليبيا، وأنها تشتبه كذلك في جماعات تهريب المخدرات المتناحرة، ضمن احتمالات أخرى من بينها جماعات كوكلركس كلان العنصرية أو النازيون الجدد ، مثلما يشتبه البعض، فالملهى كان يرتاده بانتظام مجموعات من جنود المشاة الأمريكيين السود والمهاجرين من دول العالم الثالث وأضافت مجلة دير

شبيجل تقول إن الحرب التي تشنها واشنطون هي وسيلة سياسية طالما كان العدو صغيرا في حجم جرينادا أو ليبيا، وطالما كان الخصم نموذجا مثاليا للوفد كالقذافي، وأضاف المحرر رودلف أوجستين يقول يجب ألا يتوهم أي زعيم أوروبي أن المصالح والاهتمامات الأوروبية سوف تؤخذ في الاعتبار، إذا ما قررت الولايات المتحدة تصعيد العنف الدولي ليصل إلى مستوى حرب عالمية نهائية وذكر مانفريد جاتشو، رئيس شرطة برلين وقائد فريق المائة رجل الذين يحققون في عملية تفجير الملهى، في حديث أجراه مع محرر في صحيفة ستارز آند ستراييس التابعة للجيش الأمريكي، قال ليس لدي أدلة على أن ليبيا لها أي صلة بتفجير الملهى أكثر مما ذكرته عندما اتصلت بي أول مرة بعد وقوع الحادثة بيومين - أي ليست هناك أدلة ووافق جانشر على أنها حالة سياسية إلى حد كبير، وأعرب عن شكوكه بشأن مايقوله السياسيون وما قد يقولونه في هذا الصدد وقد أخفت الصحافة الأمريكية الشكوك التي أعربت عنها الأوساط الإعلامية والفرقة التي تجرى التحقيق في ألمانيا، غير أن القارئ القادر على التمييز يستطيع رصد تلك الشكوك في التقارير التي ترد عن مجريات التحقيق، حيث كان يجري التحقيق مع مشبوهين لهم صلات بسوريا وغيرها، وجرى التقليل من شأن مزاعم الحكومة الأمريكية عن معرفتها الأكيدة يومي الرابع والخامس من أبريل عن طريق استخدام كلمات مثل تردد أن و زعم أنه وهو مايشير إلى أن أجهزة الإعلام كانت على يقين تام من أن هذه المزاعم مشكوك فيها أو ملفقة، غير أنها تشعر بولاء عميق أو بخوف شديد - يحول دون أن تذكر ذلك بحيث تكشف دون قصد عن تواطؤها في عملية القصف الإرهابية إن التردد والتراجع عن التأكيدات المسبقة الموثوق فيها، والعرض غير المباشر للحقائق التي تقوض مزاعم الإدارة - كانت هذه هي الوسائل التي استخدمتها أجهزة الإعلام لتشير إلى أنها كانت على علم بأنه لم تكن هناك

أبدا أي مقومات للقضية التي تبنوها بحماس عندما طلب منهم الاحتشاد تحت العلم وقد أكد شاول بكاش في مجلة نيويورك ريفيو أوف بوكس على أن الأخوين هنداوى الأردنيين هما المسئولان عن تفجير الملهى في برلين الغربية، وأن هناك الآن دليلا مقنعا على أنهما كانا مجندين من قبل سوريا وليس ليبيا كما يمكن أن يعتقد المرء من خلال بعض التصريحات الرسمية الصادرة في ذلك الوقت وبصرف النظر عن حقيقة أنه يتخطى الأدلة المتاحة، فإن هذه الصياغة تثير التعجب، إذ أن المسألة ليست متعلقة ببعض التصريحات الرسمية، التي تجعل المرء يعتقد أن ليبيا متورطة؛ بل الأحرى أن جميع التصريحات الرسمية، التي كانت أجهزة الإعلام تنقلها بشكل مؤكد وقاطع ومتكرر، حتى بدأت القضية تتضح بعد بضعة أسابيع كانت تؤكد بثقة مسئولية ليبيا، وتبرر قصف وقتل المدنيين الليبيين على هذا الأساس بل والأكثر من ذلك، أنه لا التراجع من جانب أجهزة الإعلام، ولا ماقاله بكاش، قد أدى بأحد إلى النتيجة الواضحة، وهي أنه إذا كانت إدارة ريجان تكذب بشأن الدليل المباشر والمحدد ، والذي لا يدحض، فإن قصف ليبيا بعد إذن عملا غير مبررا من أعمال إرهاب الدولة - تم التستر عليه من جانب أجهزة الإعلام التي تدين بالولاء للحكومة، والتي تجنبت طرح الأسئلة البديهية، في الوقت الذي كانت تتبنى فيه بحماس قضية الهجوم على ليبيا، في حين تورد ذرائع معقولة خذ على سبيل المثال مقال محررى النيويورك تايمز عن ناتاشا سيمبسون أخرى، في سياق تبريرها لتواطؤها مع عمليات الإرهاب وقد حققت عملية العلاقات العامة نجاحا أكيدا، على الأقل في المدى القصير وعلى المستوى الداخلي، فهي كما ذكرت الصحف حققت نجاحا في كافة أنحاء البلاد ، فيما كان مثلا ناجحا على هندسة الموافقة الديمقراطية، التي يجب كما هو مخطط لها أن تقرى موقف الرئيس ريجان في التعامل مع الكونجرس بشأن قضايا مثل الميزانية العسكرية ومنع معونة

للكونترا في نيكاراجوا وقد أصبحت الولايات المتحدة بالنسبة لمعظم العالم، مصدرا من مصادر الخوف الشديد ، حيث يتورط زعيمها راعي البقر الغريب الأطوار، في أعمال جنونية، في تنظيم عصابة من السفاحين للهجوم على نيكاراجوا، والقيام بأعمال قصف مجنونة في مناطق أخرى، وذلك وفقا للكلمات التي وردت في أبرز صحف كندا، التي تتسم بوجه عام بضبط النفس والموالاة التامة للولايات المتحدة وتستخدم إدارة ريجان هذه المخاوف بنجاح، منفذة استراتيجية الرجل المجنون» التي وضعها نيكسون وفي مؤتمر قمة الدول الديمقراطية الصناعية المتقدمة الذي عقد في طوكيو في شهر مايو، وزعت إدارة ريجان دراسية للموقف ذكرت فيها أن أحد الأسباب التي تدعو أوروبا للوقوف في الصف ضمن الحملة الصليبية الأمريكية، إنما يتمثل في الحاجة إلى القيام بشي، حتى لا ينفرد الأمريكيون المتهورون بالتصرف من تلقاء أنفسهم مرة أخرى، وينجح هذا التهديد في استصدار بيان ضد الإرهاب كانت الدولة الوحيدة التي ذكرت فيه بالاسم في ليبيا وقد تم تجاهل هذا التهديد المباشر تماما ، حيث أخذت أجهزة الإعلام في التهليل لنجاح عملية تصف ليبيا في جعل الأوروبيين در المتخاذلين يتخذون في نهاية الأمر الإجراءات اللازمة لمواجهة التهديد الليبي للحضارة الغربيةوكان رد الفعل إزاء قصف ليبيا في داخل البلاد مختلفا تماما عنه في خارجها فالدول الأثنا عشر الأعضاء في المجموعة الأوروبية، كانت قد ناشدت الولايات المتحدة تجنب المزيد من تصعيد التوتر العسكري في المنطقة، مع كل ما ينطوي عليه ذلك من مخاطر ، وبعد بضع ساعات، وجهت الطائرات الحربية الأمريكية تصفها، في الوقت الذي كان فيه وزير الخارجية الألماني الغربي هانز ديتريش جينشر في طريقه إلى واشنطون لشرح موقف المجموعة الأوروبية وصرح المتحدث باسمه قائلا :إننا نريد أن نفعل مايمكن أن يؤدي إلى تجنب التصعيد العسكرى وأثار القصف

احتجاجا على نطاق واسع في معظم أنحاء أوروبا، بما في ذلك مظاهرات واسعة النطاق، ومقالات صحفية تدين هذا العمل في معظم أنحاد العالم .فقد شجبت صحيفة آل باييس المستقلة وهي كبرى صحف أسبانيا، أدانت الغارة، حيث كتبت تقول إن «هذا العمل العسكري الأمريكي ليس فقط انتهاكا للقانون الدولي وتهديدا خطيرا للأمن في منطقة البحر المتوسط، بل إنه كذلك استهزاء بالحلفاء الغربيين الذين لم يجدوا دوافع كانية لفرض عقوبات اقتصادية ضد ليبيا خلال الاجتماع الذي عقدوه يوم الاثنين، على الرغم من الضغوط غير الناجحة التي تعرضت لها في وقت سابق لفرض هذه العقوبات، وكتبت صحيفة ساوث تشاينا مورنينج بوست المحافظة التي تصدر في هونج كونج أن الدواء الذي استخدمه الرئيس ريجان لعلاج الكلب المسعور في الشرق الأوسط قد ثبت أنه أكثر ضررا من الداء نفسه، وحثت على اتباع الأساليب القانونية من خلال الأمم المتحدة. وهناك العديد من ردود الفعل المشابهة وعلى العكس من ذلك، كانت الصحف الأمريكية تؤيد هذا العمل الجماعي بحماس شديد فقد كتبت صحيفة النيويورك تايمز تقول انه حتى أكثر المواطنين تشككا لايسعهم سوى الموافقة على الهجوم الأمريكي على ليبيا والاشادة به، ووصفت الهجوم بأنه حكم عادل؛

فالولايات المتحدة قد حاكمت القذافي بدقة وبشكل متناسب - وعادل وقالت إن الأدلة على أن ليبيا مسئولة عن تفجير الملهى قد تم الآن عرضها بوضوح على الرأي العام ثم جاء المحلفون، وهم الحكومات الأوروبية التي خرجت الولايات المتحدة عن طريقها المعهود بأن أرسلت لهم مبعوثين ليعرضوا عليهم الأدلة ولحثهم على اتخاذ إجراء موحد ضد الزعيم الليبي وليس من الأهمية فيما يبدو، أن المحلفين لم يقتنعوا بالكاد بهذه الأدلة وأنهم أصدروا حكما، يدعون فيه إلى الامتناع عن اتخاذ أي إجراء - تماما كما أنه من غير

الضروري كتابة مقالات افتتاحية تعليقا على تلك الحقيقة، المعروفة الآن ضمنا، وهي أن هذا الدليل لم تكن له مصداقية كبيرة، إن كانت له أي مصداقية على الإطلاق وقد أدانت معظم هذه الحكومات، إن لم تكن جميعها، العمل الأمريكى نصف ليبيا .

فقد وافقت عليه كل من بريطانيا وكندا، على الرغم من أن رد فعل الرأي العام كان مختلفا تماما وكان هناك تأييد من جانب فرنسا في إطار حالتها الراهنة التي تتسم بتعصب ريجان، وذكرت هيئة الإذاعة الحكومية في جنوب أفريقيا أن الهجوم يؤكد الالتزام الذي قطعته زعيمة العالم الغربي على نفسها بأن تتخذ خطوات ايجابية ضد الإرهاب؛ وأن الولايات المتحدة كان لديها مايبرر الهجوم على القذافي، الذي يترادف اسمه بشكل فعلي مع الإرهاب الدولي في إسرائيل، صرح شيمون بيريز رئيس الوزراء بأن التصرف الأمريكى كان مبررا بوضوح باعتباره دفاعا عن النفس: فإذا كانت الحكومة الليبية قد أصدرت أوامرها بقتل الجنود الأمريكيين عن عمد، وفي منتصف الليل، في بيروت، فماذا تتوقعون أن تفعل الولايات المتحدة؟ هل تحتفل بالغناء ؟ أم تقوم بعمل دفاعى؟ إن الفكرة القائلة بأن الولايات المتحدة قد تصرفت من منطلق الدفاع عن النفس ضد هجوم تعرضت له قواتها في بيروت قبل ذلك بعامين ونصف عام، إنما يعد تجديدا مثيرا للاهتمام، حتى دون أن نأخذ في الاعتبار الظروف المحيطة بوقوع ذلك العمل الإرهابي السابق .

وفي الولايات المتحدة، شجب السيناتور مارك هاتفيلد، وهو أحد الشخصيات السياسية القليلة التي تتمتع عن حق بصفة المحافظ، شجب الغارة الأمريكية في قاعة مجلس الشيوخ المهجورة من أعضائها تقريبا ، كما شجبها في خطاب بعث به إلى صحيفة النيويورك تايمزوقد شجب الغارة كذلك زعماء عدد من الطوائف المسيحية الكبرى، غير أن الزعماء اليهود

قد أشادوا بها بشكل عام، وكان من بينهم الحاخام الكسندر شيندلر، رئيس اتحاد الطوائف اليهودية الأمريكية، الذي قال إن حكومة الولايات المتحدة قد ردت بشكل لائق وقوى على الإرهاب الذي لا يخضع للعقل الذي يقوم به القذافي وقال جوزيف ناى أستاذ الشئون الدولية بجامعة هارفارد أنه كان على ريجان أن يرد على الذليل الدامغ المتوافر في حادثة برلين فماذا غير ذلك يمكن أن نفعل لمواجهة إرهاب تدعمه الدولة؟ - مثل أعمال الإرهاب التي تدعمها الولايات المتحدة في أمريكا الوسطى والجنوب اللبناني، على سبيل المثال حيث الدليل الدامغ، متوافر بشكل أوضح وقد أيد يوجين روستو الغارة باعتبارها عملا محتوما ومتأخرا عن موعده ، كجزء من «عمل دفاعى أكثر نشاطا لمواجهة عملية التوسع السوفيتى وهو تعبير نمطى عن المزيج الغريب من الشوفينية غير العاقلة والأوهام الماوية التي تحظى بتقدير كبير في التعليقات الراهنة في الشئون الدولية وأوضح روستو قائلا: إن الإطاحة بنظام القذافي بالقوة، يمكن أن تكون مبررة تماما بمقتضى قواعد القانون الدولي القائمة، حيث إن القذافي كان ينتهك هذه القوانين على نحو سافر ومستمر، وأضاف قائلا: ولما كانت هذه هي الحال، فإن أي دولة أضيرت من أعمال القذافي يكون لها الحق، إما وحدها أو بالاشتراك مع آخرين، في أن تستخدم القوة التي تعد ضرورية بشكل معقول لوضع حد للتصرفات الليبية الخارجة على القانون. فليبيا من حيث الموقف القانوني، دولة قرصنة همجية كما حث منظمة حلف شمال الأطلنطي على إصدار إعلان بشأن مسئولية الدول عن الأعمال الخارجة على القانون التي ترتكب من داخل أراضيها ويجب إذن على حلف الأطلنطى من باب أولى أن يدين الامبراطور أيضا ، وليس القرصان فقط، كما يجب أن تقوم الدول، من الهند الصينية حتى أمريكا الوسطى والشرق الأوسط وغيرها ، بتنسيق جهودها لتستخدم القوة التي تجدها ضرورية، للهجوم على الولايات المتحدة

وإسرائيل وغيرها من الدول الإرهابية ويرى تشارلز جلاس مراسل شبكة تلفزيون اى.بى.سى الأمريكية الذي نقل أنباء القصف ونتائجه من موقع الأحداث، يرى أن هذا الحدث إنما يعبر عنه تماما خطاب بخط اليد، كتبته فتاة تبلغ من العمر سبعة أعوام، انتشلت من بين أنقاض منزلها، وكان المراسل قد زار عائلتها ذات الثقافة الأمريكية يقول الخطاب :

عزيزي السيد / ريجان لماذا قتلت شقيقتي الوحيدة رأفة وصديقتي رشا، ذات التسع سنوات فقط، وعروستى الصغيرة فراولة. هل حقيقي أنك تريد قتلنا جميعا لأن والدى فلسطينى؛ وأنك تريد قتل القذافي لأنه يرغب في مساعدتنا على العودة إلى موطن والدي وأرضه اسمي كنده ويرى آخرون الأمر بشكل مختلف فقد اختلف مايكل ثالترز مع الأوروبيين الذين انتقدوا قصف ليبيا باعتباره إرهاب دولة وقال إنه لم يكن كذلك حيث إنه كان يستهدف أهدافا عسكرية معينة، وأن الطيارين قد تعرضوا لشئ من المخاطر في محاولاتهم لقصف هذه الأهداف فقط وليس أي شيئ آخر». فإذا تصادف أن القصف الليلي للمدينة قد أدى إلى إصابة قطاعات ذات كثافة سكانية عالية في طرابلس، مما أدى إلى مقتل عدد من المدنيين، فهكذا فقط يمكن أن تتلف الطبخة وربما كان هذا القول هو مايمكن أن نتوقعه من ذلك المنظر والكاتب الأخلاقي، الذي يحظى بتقدير بالغ، والمدافع عن الحرب العادلة الذي أكد لنا أن الغزو الإسرائيلي للبنان يمكن تبريره وفقا لهذا المفهوم، فالعمليات العسكرية الإسرائيلية في الجنوب اللبناني كانت مثالا طيبا للحرب المتناسبة، وإذا كان بعض المدنيين قد تعرضوا للمخاطر خلال القصف الإسرائيلي لبيروت، فإن مسئولية هذه المخاطر ترجع إلى منظمة التحرير الفلسطينية إن تواطؤ أجهزة الإعلام في هذا العمل من أعمال إرهاب الدولة لم يقتصر على سلوكها القومي المواكب لعملية القصف، وهو ما يعد نتيجة طبيعية لتبنيها السابق لأي رواية خيالية تختار الإدارة تلفيقها.

بل كان من الضرورى كذلك أظهار أن القصف قد نجح في الحد من الإرهاب الليبي، كما يتضح من غياب الأعمال الإرهابية التي تنسب إلى القذافي بعد القصف وبالطبع، ولكي يتم استكمال النظرية، يكون من الضروري اخفاء حقيقة أنه لم تكن هناك كذلك قبل القصف أعمال إرهابية تنسب إليه بالاستناد إلى أدلة قوية، باستثناء تلك الأعمال التي ذكرناها من قبل، والتي من الواضح أنها تتسم بالأهمية لقد أثبتت أجهزة الإعلام حقا أنها تتمتع بكفاءة، تامة في الاضطلاع بالمهمة الموكولة إليها .

ويمجد محررو صحيفة الواشنطون بوست عملية تصف ليبيا على أساس أنه ليس هناك أعمال إرهابية جديدة نسبت إلى العقيد القذافي، الذي اقتصر دوره على انتهاج سياسة متهورة ويظل الأمر الأكثر أهمية هو تأثير ذلك على الحلفاء الغربيين، الذين كان معظمهم بحاجة للصدمة، المتمثلة في ذلك المثال للحسم، وتلك الدقة التي لاتنكر في معلومات المخابرات، وما تلا ذلك من إظهار العزلة ليبيا، وأخيرا وليس آخرا .ذلك الانخفاض في حجم حركة السياحة - وكذلك أيضا التهديد بأن الأمريكيين المتهورين قد يضربون بحماس في أي مكان أخر انظر ماسبق، وهو التهديد الذي أكده نشر سفن الأسطول الأمريكي على بعد بضعة أميال من الساحل السوفيتي المطل على البحر الأسود في الوقت نفسه ولنلاحظ أنه في هذا التاريخ المتأخر، كان المحررون لا يزالون يجدون من الممكن الإشارة إلى الدقة التي لاتنكر في معلومات المخابرات، رقد كتب دافيد اجناتيوس يقول إن عملية القصف قد نجحت بشكل مذهل ضد معمر القذافي الليبي، محققة بعض التغيرات العظيمة والمفيدة جدا - في ليبيا والشرق الأوسط وأوروبا، فقد أثبتت أن القذافي كان ضعيفا ومعزولا ومكشوفا به، بل كان مكشوفا إلى درجة أن الطائرات الحربية الأمريكية تمكنت من إتمام مهمتها بحرية داخل مجاله الجوي الذي يتمتع بحماية مكثفة - إنه لانتصار عظيم بحق، وأكتشاف مذهل

عن تلك الدولة العظمى ولم يذكر اجناتيوس أية أعمال محددة للتدليل على السيكولوجيا التي مكنت القذافي من تخويف معظم العالم - لأنه يعرف تماما أنه ليس هناك أمثلة تستند إلى أسس موثوق فيها تدل على أنه قام بأعمال تخويف - وبدلا من ذلك، فإنه يقول، بصورة أقرب إلى الضعف، أنه حتى إذا تورط الليبيون في أعمال إرهابية مرة أخرى، فلن يكون ذلك بالمستوى الذي كانوا ينتهجونه منذ بداية العام، عندما علمت المخابرات الأمريكية أن ليبيا قد أمرت مكاتبها الشعبية، بتصعيد الهجمات الإرهابية في أكثر من عشر مدن ويعلم إجناتيوس، وهو صحفي بالغ الكفاءة، أن مزاعم الحكومة الأمريكية حول ما عرفته المخابرات لاقيمة لها، وأن التعبير عن نجاح العملية ، من حيث المخططات التي كان من المتعذر القيام بها ثم تم إحباطها إنما هو أسلوبه الحذر في القول بأن نتائج هذا العمل القبيح، كانت صفرا ، وكذلك يشير جورج مونيت إلى أن الهجمات الليبية الإرهابية قد وصلت إلى ما يقرب من التوقف، - ويعني ذلك أنها انخفضت إلى ما يقرب من الصفر - وهي أحد التطورات الإيجابية التي يبدو أنها تثبت حق سياسة الإدارة الأمريكية في الانتقام العسكرى ويعلق زميله جون هيوز بلهجة منتصرة أنه منذ شن الغارة الجوية التأديبية ضد ليبيا لم تنسب إلى معمر القذافي أية عملية إرهابية كبرى ضد الأمريكيين- تماما كما لم تقع أي عمليات من هذا النوع من قبل، كما هو معروف إن الرسالة الموجهة لمن يقومون بإرهاب الدولة واضحة تماما : إننا سوف نتبع أوامركم عندما تلفقون سجلا للإرهاب الذي أشاع الخوف في العالم، وعندما تقومون بعمل إرهابي لمعاقبة هذا المعتدي، وعندما تعلنون أنه نتيجة لأعمالكم البطولية تم قمع المجرم ما الحقائق المجردة ، فلن تجعلنا نحيد أبدا عن طاعتنا لكم .

وتعلق مجلة الإيكونوميست في إطار إشادتها بالعمل الشجاع الذي قام به ريجان قائلة أنه فيما يتعلق بسجل الإرهاب، فقد وقعت نحو عملية إرهابية

موجهة ضد الأمريكيين في أوروبا الغربية والشرق الأوسط خلال الأشهر الثلاثة التي أعقبت الغارة على ليبيا، مقارنة بنحو 15 عملية إرهابية وقعت خلال الثلاثة أشهر ونصف شهر السابقة عليها في حين أنه على مستوى العالم ككل، يبدو أن معدل العمليات الإرهابية الموجهة ضد الأمريكيين لم يكد يتغير عن العام الماضى، كما أشار أحد أبرز المتخصصين في شئون الإرهاب في مؤسسة راند إلى أن العمليات الإرهابية التي وقعت بعد الغارة كانت على نفس مستوى العمليات التي وقعت قبلها واستكمالا لهذا السجل، نشر مكتب التحقيقات الفيدرالي في الثالث من يوليو تقريرا يقع في 41 صفحة، يشمل العمليات الإرهابية التي وقعت في الولايات المتحدة خلال عام 1985 وشملت القائمة سبع عمليات، قتل خلالها شخصان. أما خلال عام1984 ، فقد وقعت ١٣ عملية إرهابية وكان عدد هذه العمليات ينخفض من عام لآخر منذ عام ١٩٨٢، حيث سجل وقوع ٩١ عملية إرهابية وما يثير الاهتمام، ذلك الأسلوب الذي اتبعته أجهزة الإعلام في تغطيتها لهذا التقرير فقد ذكرت صحيفة تورونتو جلوب أندميل نبأ نقلته عن وكالة أنباء الأسوشيتدبرس في الرابع من يوليو تحت عنوان: متطرفون من اليهود متهمون بقتل شخصين وكانت الفقرة الأولى منه كالتالي :ذكر مكتب التحقيقات الفيدرالي أمس أن المتطرفين اليهود مسئولون عن ارتكاب أربع من العمليات الإرهابية السبع التي أسفرت عن قتل شخصين في الولايات المتحدة خلال عام 1985، ويوالى النبأ سرد تفاصيل الأحداث . التي نسبت إلى المتطرفين اليهود ، والتي أسفرت عن مقتل شخصين واصابة تسعة أشخاص وفقا لما ورد في التقرير، أي كانوا مسئولين عن حالتي القتل الوحيدتين اللتين وقعتا خلال كل العمليات الإرهابية في ذلك العام، بالإضافة إلى حوادث أخرى وفي المقابل لم تنشر صحيفة نيويورك تايمز أي مقال عن تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالي ووردت إشارتها الوحيدة للتقرير في

الفقرة الحادية عشرة في عمود في عددها الصادر في 17 يوليو، كتبت فيه وفقا لما ذكره التقرير السنوي لمكتب التحقيقات الفيدرالي عن الإرهاب، يعتقد أن جماعات إرهابية يهودية متورطة في أربعة من أحداث الإرهاب المحلي السبعة التي وقعت في عام 1985 ولم تصدر أي دعوى للاتهام خلال أي من التحقيقات التي أجريت أما الصحيفة القومية الثانية، وهي الواشنطون بوست، فقد نشرت مقالا عن التقرير في عددها الصادر في الخامس من يوليو، تحت عنوان انخفاض معدل الإرهاب المحلي في العام الماضي، وفقا لما ذكره تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالي وأشارت ضمن هذا المقال إلى أن عمليتى القتل وإصابة الأشخاص التسعة ترجع مسئوليتها إلى أربع عمليات إرهابية قام بها متطرفون من اليهود، من بين سبع عمليات إرهابية وقعت خلال العام، وقد تكرر ذلك ضمن مانشر في 17 يوليو حول التحقيقات التي أجراها مكتب التحقيقات الفيدرالي عن مقتل اليكس عودة، مع الإشارة إلى الاشتباه في جماعة من المتطرفين اليهود وهذه العبارات الثلاث تشكل مجمل التغطية الإعلامية في الصحف القومية عن نتائج تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالي عن مصادر الإرهاب المحلي في عام 1985ولم ألحظ نشر أي مقالات افتتاحية أو تعليقات تدعو الولايات المتحدة إلى قصف تل أبيب أو القدس الاستئصال هذا السرطان أو لقمع الكلاب المسعورة التي أتت ببلاء الإرهاب إلى ديارنا وللمرء أن يتساءل لماذا لم يحدث ذلك؟ من الطبيعي أن تنفي إسرائيل مسئوليتها عن أعمال المتطرفين اليهود ، وأن تدين هذا العمل الإرهابي، كما فعل الحاخام كاهانا عضو الكنيست الذي كان مكتب التحقيقات قد اتهم حلفاءه السابقين في رابطة الدفاع اليهودى بالقيام بهذه العمليات، تماما كما نفت الولايات المتحدة مسئوليتها عن الأعمال الإرهابية التي قام بها أشخاص قامت بتدريبهم وتشجيعهم ولكن كما ذكرت من قبل، فإن هذه الأعذار لاتعد ذات قيمة إذا ما طبقنا عليها المعايير التي

تطبق على كل من معمر القذافي وياسر عرفات ، اللذين أدانا كذلك العمليات الإرهابية ونفيا مسئوليتهما عنها ولنتذكر هنا مرة أخرى المبدأ القائل بأن المسئولية الأخلاقية الكبرى عن الأعمال الوحشية تقع جميعها على عاتق عرفات، لأنه كان ولا يزال الأب المؤسس للعنف الفلسطيني المعاصر ولذلك تعتبر الولايات المتحدة أن عرفات هو المسئول عن أعمال الإرهاب الدولي بشكل عام، سواء كان متورطا فيها أم لاإذن فالمسئولية الأخلاقية الكبرى عن أعمال المتطرفين الصهاينة إنما تقع كلها على عاتق إسرائيل .
والجدير بالذكر أن الصحافة كانت دائما ما تتجاهل إدانة عرفات للأعمال الإرهابية الفلسطينية .ولنذكر على سبيل المثال حادثة هامة بعينها؛ ففي الثالث من يوليو ١٩٨٢، حاولت جماعة إرهابية برأسها أبو نضال الذي كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد أصدرت ضده حكما بالاعدام، حاولت اغتيال شلومو أرجوف السفير الإسرائيلي في لندن، وهو الأمر الذي أدى إلى الاسراع بالغزو الإسرائيلي للبنان كرد انتقامى اعتبره كل من الحكومة الأمريكية وأجهزة الإعلام والرأي العام المتعلم انتقاما مشروعا وعلقت صحيفة الواشنطون بوست بأن محاولة اغتيال أرجوف تعد مدعاة للحرج لمنظمة التحرير الفلسطينية، والتي تزعم أنها تمثل جميع الفلسطينيين ولكنها تميل إلى أن تكون انتقائية بالنسبة لما تعترف بمسئوليتها عنه من أعمال العنف التي يقوم بها الفلسطينيون ٧ يونيو ١٩٨٢

فإذا كان عمل إرهابي قامت به جماعات تخوض حربا ضد منظمة التحرير الفلسطينية بعد مدعاة للحرج للمنظمة على هذا الأساس، فإن من البديهي أن تكون الأعمال الإرهابية التي تقوم بها جماعة من اليهود المتطرفين في الولايات المتحدة وتسفر عن مقتل اثنين وإصابة تسعة أشخاص مدعاة للحرج لإسرائيل، التي تعد بمقتضى قانونها دولة الشعب اليهودى بما في

ذلك الذين مازالوا يعيشون في الشتات وليست دولة المواطنين الذين يعيشون فيها، وسدسهم من غير اليهود ومن هنا، وبتطبيق منطق الحكومة الأمريكية وكبار المعلقين وأجهزة الإعلام بوجه عام، يكون من حق الولايات المتحدة بالتأكيد، إن لم يكن من واجبها، أن تقوم بقصف تل أبيب دفاعا عن النفس ضد هجوم قد يقع في المستقبل وقد شك البعض في أن الحرج من هذه النتيجة المنطقية التي تترتب على مبادئهم المزعومة هو الذي يفسر الأسلوب الغريب الذي تناولت به أجهزة الإعلام الأمريكية تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالي، على الرغم من أن هذا الظن يقلل على الأرجح من شأن قدرة هذه الأجهزة على التعامل مع تناقضاتها مع نفسها وللمرء أن يتخيل أيضا رد فعل أجهزة الإعلام لو كان معظم الأعمال الإرهابية التي وقعت في الولايات المتحدة، ومن بينها أعمال القتل، قد ارتكبها أمريكيون من أصول عربية مرتبطين بعناصر متطرفة تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، أو أشخاص يشتبه في أنهم أعضاء في جماعة إرهابية أسسها عضو في الحكومة الليبية إن القصف الأمريكي لليبيا لا علاقة له بالإرهاب بأي حال من الأحوال، حتى بالمعنى الغربي المنافق للكلمة .بل في الواقع لقد كان من الواضح بما فيه الكفاية أن عملية خليج سرت وقصف المدن الليبية كان من شأنها أن تؤدي إلى القيام بمثل تلك العمليات من إرهاب التجزئة، وهو أحد الأسباب الأساسية التي جعلت المناطق التي يرجح أنها مستهدفة من هذه العمليات في أوروبا تناشد الولايات المتحدة الإحجام عن القيام بهذه الأعمال وليست هذه بالكاد المرة الأولى التي يتم فيها تنفيذ أعمال عنف يكون من المتوقع أن تشجع على القيام بعمليات الإرهاب بالتجزئة الغزو الإسرائيلي للبنان، والذي كانت تسانده الولايات المتحدة، إنما يمثل حالة أخرى لذلك، فالهجوم على ليبيا قد يؤدي إن عاجلا أو آجلا إلى إثارة بعض الأعمال الإرهابية، التي سوف تساعد على تعبئة الرأي العام الداخلي

والخارجي لتأييد الخطط الأمريكية في الداخل والخارج فإذا رد الأمريكيون، كما فعلوا، بحالة هستيرية عامة، تشمل الخوف من السفر إلى أوروبا، حيث الزائرون في أمان بأكثر من مائة مرة مما لو كانوا في أي مدينة أمريكية، فإن ذلك أيضا سيكون مفيدا تماما ، لنفس الأسباب إن الأسباب الحقيقية للهجوم الأمريكي على ليبيا لاعلاقة لها من قريب أو بعيد بالدفاع عن النفس ضد الهجمات الإرهابية، على القوات الأمريكية في بيروت في أكتوبر ١٩٨٣، كما ذكر شيمون بيريز، أو بأي من الأعمال الأخرى التي نسبت سواء عن حق أو عن خطأ إلى ليبيا، أو كدفاع عن النفس ضد هجوم قد يقع في المستقبل تماشيا مع المبدأ الرائع الذي أعلنته إدارة ريجان، والذي قوبل بكثير من الاشادة في الداخل فالإرهاب الليبي يعد عامل ازعاج ضئيل الشر، ونحن القذافي كان قد وقف في طريق المخططات الأمريكية في شمال أفريقيا، والشرق الأوسط وفي مناطق أخرى مثل تأييده لجبهة البوليساريو والجماعات المناهضة للولايات المتحدة في السودان، وسعيه لاقامة وحدة مع المغرب، وتدخله في تشاد وتدخله بوجه عام في الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة لخلق إجماع استراتيجي في المنطقة، ولفرض ارادتها في مناطق أخرى هذه هي الجرائم الحقيقية التي يجب أن يعاقب عليها وفضلا عن ذلك كانت الغاية والأثر المرجو من الهجوم على ليبيا، هو إعداد الرأي العام داخل البلاد وخارجها لتقبل المزيد من أعمال العنف الأمريكية حيث إن رد الفعل الأولى قد يكون سلبيا، ولكن طالما تم استيعابه، فإن مستوى التوقعات يرتفع، بحيث تستطيع الولايات المتحدة مواصلة تصديها للعنف إذا ما تطلبت الضرورة وهناك منطقتان كبيرتان من المرجح تصعيد العنف فيهما المنطقة الأولى هي أمريكا الوسطى ففي حين نجع الجيش العميل للولايات المتحدة في مهمته الكبرى، وهي راجبار الساندينستا على تحويل موارد هم القليلة في اتجاه الحرب بدلا من المشروعات الاجتماعية كما

أوضح مسئولو الإدارة في لحظة صراحة نادرة، فإنه ليس من المرجح كذلك أن ينجح هذا الجيش العميل في استئصال السرطان، إذا ما استخدمنا هذا التعبير النازى كما يفعل جورج شولتز وغيره ومن هنا فإن التهديد المتمثل في إحداث تنمية مستقلة وناجحة بشكل قد يؤثر على معاناة شعوب الدول العميلة للولايات المتحدة، سيظل قائما، إلا أن الضغوط المحلية والدولية تمنع الولايات المتحدة من القيام بهجوم مباشر، كما فعلت عندما قامت بمهاجمة فيتنام الجنوبية في عام ١٩٩٢، ثم هاجمت الهند الصينية بأسرها في وقت لاحق؛ أما وسائل الإرهاب غير المباشرة، فهي رغم نجاحها الكبير في السلفادور، قد تثبت أنها غير كافية في نيكاراجوا ويكون من الطبيعي في هذه الحالة، أن تنتقل الولايات المتحدة إلى ساحة أخرى يكون من المرجح بشكل أكبر أن تسود فيها وفي ساحة المواجهة الدولية فقد نجحت الولايات المتحدة في إجبار معظم حلفائها على الإحجام عن تقديم أي مساعدة حقيقية لنيكاراجوا وبذلك تحقق الهدف المنشود بنجاح، وهو دفع الساندينستا إلى الاعتماد بشكل كامل على الكتلة الشرقية لتضمن بقاءها أما المناقشات التي دارت في الكونجرس بشأن المعونة، فقد كانت في جوهرها عرضا جانبيا ، فالدولة التي لا تخضع للقانون يمكنها أن تجد سبيلا بطريقة ما لتمويل جيشها الإرهابي، بغض النظر عما يشرعه الكونجرس إن مايهم هو تحقيق انتصار آخر : هو تصريح الكونجرس لوكالة المخابرات المركزية بالتدخل المباشر لتصعيد الأحداث بأساليب أخرى كانت الأساليب الواضحة في تهديد السفن السوفيتية والكوبية فنيكاراجوا لم تتمكن من القيام بأي رد فعل، ولكن الاتحاد السوفبتى وكوبا ربما كان بمقدورهما الرد فإذا ما حاولتا الدفاع عن سفنهما، في هذه الحالة يمكن الاعتماد على النظام الدعائي الأمريكى للقيام برد فعل عنيف إزاء هذا الدليل الجديد على عدوانية الشيوعيين، مع السماح للإدارة بافتعال أزمة دولية، يتراجع فيها

الاتحاد السوفيتي كما هو مفترض، بما يطبق الحصار على نيكاراجوا بشكل فعلي أما إذا لم يقم الاتحاد السوفيتي وكوبا برد فعل فإن نفس النتيجة ستتحقق وبالطبع فإن ذلك قد يؤدي إلى اندلاع النيران في العالم كله، ولكن هذا أمر لا يدعو إلى القلق مقارنة بالحاجة إلى استئصال السرطان ولابد من تهيئة الرأي العام الأمريكي والأوروبي لتقبل هذه النتائج إن الهجوم على ليبيا يعد خطوة أخرى لتحريك الأحداث في هذا الاتجاه أما المنطقة الأخرى التي يجب أن تتم تهيئة الرأي العام للتصعيد المحتمل فيها، فهي الشرق الأوسط فالولايات المتحدة كانت قد أعاقت التوصل إلى أي تسوية سياسية في الصراع العربي - الإسرائيلي، منذ عام ١٩٧١ على الأقل، كما بحثنا من قبل، ومازالت تفعل ذلك. وفي حالة المواجهة العسكرية التي تنتج عن الرفض الأمريكى- الإسرائيلي، فإن إسرائيل لايمكن أن تسمع بأن تقترب قوة الدول العربية مجتمعة من قوتها العسكرية، لأنها بذلك ستواجه خطر التدمير الكامل وقد نجحت اتفاقيات كامب دافيد في استبعاد الدولة العربية الكبرى، مصر، من الصراع، بما يسمح لإسرائيل أن توسع خطواتها في اتجاه إدماج الأراضي المحتلة ومهاجمة جارتها الشمالية غير أن سوريا لاتزال تشكل تهديدا متزايدا، وإن عاجلا أو آجلا سيكون على إسرائيل أن تقوم بعمل للقضاء عليه إن الحديث عن الحرب يجري بشكل متواصل في إسرائيل، حيث تتردد المزاعم بشكل عام عن الاستعدادات الحربية والتهديد من جانب سوريا ، ولكن مع إخفاء النوايا الإسرائيلية في القضاء على خصم عسكرى محتمل - أو بالأحرى ماتحتاجه إسرائيل، طالما تتجنب التسوية السياسية وتحذو أجهزة الإعلام الأمريكية حذر إسرائيل في خنوع، كما هو معتاد ومن ناحية أخرى ترغب الحكومة الأمريكية بالتأكيد في أن تظل الخيارات أمامها مفتوحة، وقد يكون من المفيد لضربة إسرائيل ضد سوريا أن تتواكب مع عملية قصف أمريكية، بحيث يجرى تصوير الضربة

الإسرائيلية على أنها ضربة وقائية دفاعا عن النفس ضد هجوم يحتمل أن يقع، دفاعا عن النفس ضد أعمال الإرهاب التي تتم بإيعاز من سوريا أما الهدف من المشاركة الأمريكية المباشرة فيتمثل في تحذير الاتحاد السوفيتي من أن حربا عالمية ستنجم عن أي محاولة من جانبه لدعم حلفائه السوريين وسيتعين تهيئة الرأي العام الأوروبي والأمريكى المثل هذه التحركات المحتملة وقد ساعد الهجوم على ليبيا، وما تلاه من حملات دعائية، في تهيئة مسرح الأحداث، بما ترك الولايات المتحدة أكثر حرية في التفكير في هذه الخيارات إذا ما ارتأت ضرورة لذلك فيما بعد ومرة أخرى، فإن احتمال نشوب حرب نووية ليس بالاحتمال الضئيل، إلا أن الولايات المتحدة قد أوضحت مرارا أنها على استعداد لمواجهة هذا الخطر لكى تحقق أهدافها في الشرق الأوسط، مثلها في غير ذلك من أنحاء العالم إن الخداع والنفاق الذي اتسمت به الحملة الدعائية عن الإرهاب الدولي قد تم فضحه لدى الجمهور المحدود الذي يمكن أن يصل اليه أصحاب الرأي المخالف في الولايات المتحدة أمام الحملة نفسها فقد كانت نجاحا مشهودا في مجال العلاقات العامة ومع التزام أجهزة الإعلام الجماهيرية بخدمة احتياجات النظام الدعائي الحكومي واستبعادها بشكل منظم لأية تعليقات يكون من شأنها أن تكشف مايحدث أمام أعينهم، أو يجري أية مناقشة عقلانية له، فإن احتمالات تحقيق مزيد من النجاح في المستقبل تظل كبيرة وهذه الخدمة التي تؤديها الطبقات المتعلمة الإرهاب الجملة الدولي إنما تسهم في قدر هائل من المعاناة الوحشية، وتنطوي في المدى البعيد على خطر جاد بنشوب مواجهة بين القوتين العظميين واندلاع حرب نووية نهائية غير أن هذه الاعتبارات لاتتسم بكثير من الأهمية، بالمقارنة بالحاجة لضمان ألا يكون هناك تهديد للاستقرار، والنظام، وألا ينشأ أي تحد للامتيازات والقوة الأمريكية وليس في كل ذلك مايدهش أي دارس نزيه للتاريخ

الفهرس

مقدمة 3
بين اللغة والسياسة 13
الفصل الأول :التحكم في الأفكار..... 23
حالة الشرق الأوسط
الفصل الثاني :ارهاب الشرق الأوسط..... 55
والنظام الايديولوجي الأمريكى
الفصل الثالث:ليبيا في علم الشيطنة الأمريكى..... 125
الفهرس 163